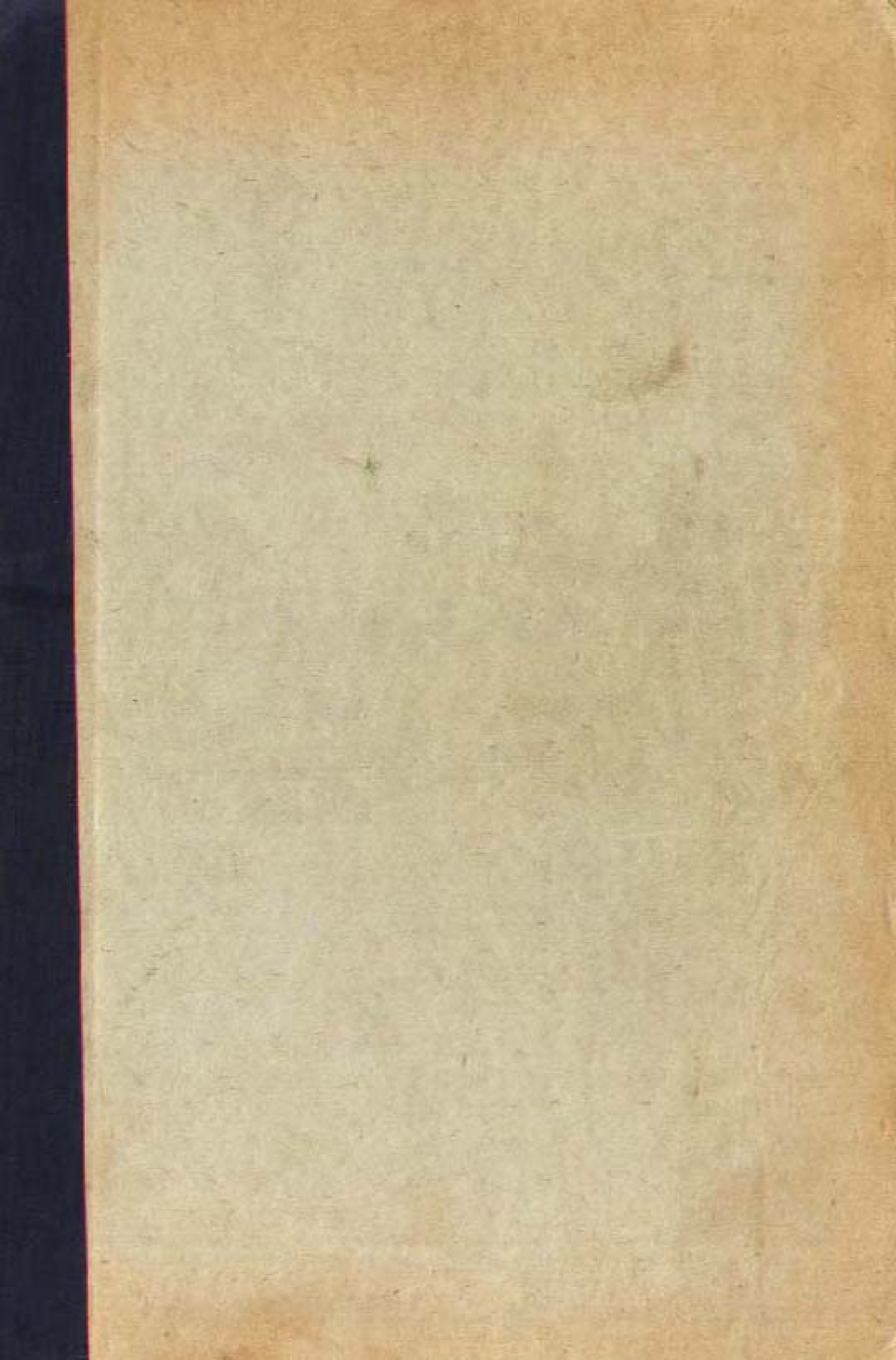
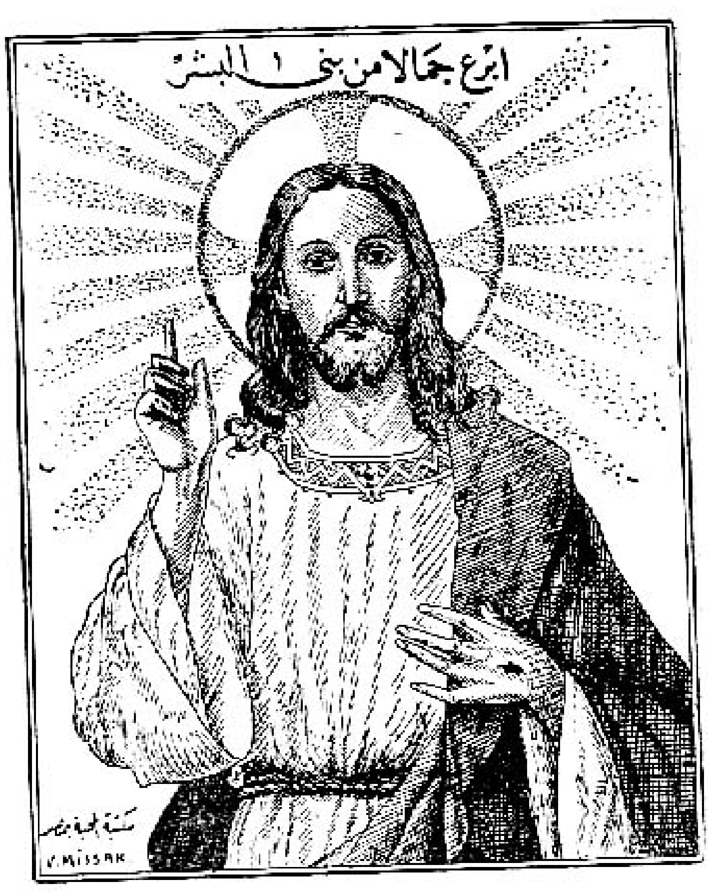
الايغومانس
ميخائيل مينا



المجلد الاول

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة





صورة ربنا والهنا ومخلصنا

يسوع المسيح





بحسب معتقد الكنيسة القبطية الارثوذكسية

المجلد الاول

الطبعة الرابعة

١٦٦٤ ش - ١٩٤٨ م

تأليف

الايغومانس

ميخائيل مينا

مدير كلية اللاهوت بحلوان

مطبعة الامانة ٥٨ شارع الفجالة بمصر



حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الانبا يوساب الثانى
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية



طرس بركة

لقد تفضل غبطة البابا المعظم الانبا يوساب الثانى بابا وبطريرك الكرازة المرقسية حفظه الله وابقاه ذخراً للكنيسة وسطر بيمينه الكريمة الدرر الآتية فى تقريظه الطبعة الأولى لهذا الكتاب

قال غبطته : —

« لاشك ان كتابكم « علم اللاهوت » جاء فى ثوبه القشيب ومعناه الجزل السديد اكبر شاهد وافصح ناطق بما لكم من سعة الاطلاع بل هو نفحة يتضوع بطيبها افق الكنيسة وتتعطر بذرات اريجها الارثوذكسية فاذا ما كان البشر لا يقومون بقسطهم فى مكافأتكم عنها ففى مكافأة الله ما يغنى ويكفى »

اهداء الكتاب

حضرة صاحب الغبطة والقداسة السيد الجليل والحبر الاعظم النبيل مولانا البابا المعظم الانبا يوساب الثانى بابا وبطريرك الكرازة المرقسية أطال الله حياته وأجزل فى دار المجد والسعادة مكافأته .

بكل اخلاص وولاء أتشرف بان أرفع لسدتكم الرسولية كتابى (علم اللاهوت) الذى بذلت فى تصنيفه قصارى جهدى لعلى بذلك أحصل على سامى رضاكم وأكون قد وفقت لتأدية خدمة الكنيسة التى ائتمنكم الروح القدس على رعايتها وأقامكم مهيمنا وحارسا لعقائد ايمانها :

ويسرنى ان انهى لغبطتكم ان كتابى علم اللاهوت هذا كان بنعمة الله منهلا عذبا ارتشف منه ابناؤكم الرهبان خريجى كلية اللاهوت بحلوان منذ وضعه ، كما ان الشعب الكريم اقبل على اقتنائه اقبالا عظيما حتى انى قمت بطبعه للمرة الرابعة

وانى يامولاى بكل اخلاص وولاء أضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ ذاتكم الكريمة ويكلأكم بعين عنايته ورعايته ويجعل عهد غبطتكم السعيد عهد نجاح وارتقاء للكنيسة ورفعة لكلية اللاهوت التى شملتموها غبطتكم برعايتكم الكريمة واهتمامكم المتوالى بشؤونها مما جعل ابناؤكم طلبة المدرسة ان يقابلوا ذلك بالمحبة والاخلاص والدعاء الحار الى الله ان يجعل حياتكم السعيدة مقرونة بالعز والنصر والتأييد

ولالهنا المجد الى الأبد آمين .

ابنكم المخلص
القمص ميخائيل مينا
مدير كلية حلوان اللاهوتية

مقدمة

الحمد لله الذى اضاء بنور معرفته عقل بنى الانسان ، وأقام الأدلة الناطقة بوجوده فى كل زمان ومكان ، وانزل كتابه الأقدس على فم انبيائه الكرام ، ورسله الاعلام ، ليكون نبراسا لعقول الأنام ، وحارسا لهم من التيه فى بيداء الشبه والاوهام .

أما بعد . فلى جزيل الفخر والشرف ان اعلن بأن كنيستنا ذات المجد التليد ، والتاريخ المجيد ، غنية بالمصنفات اللاهوتية والمؤلفات الجدلية ، غير ان تلك المصنفات مع كثرتها ، وغزارة مادتها ، وسداد براهينها لم تتناول الرد على الآراء الفاسدة الحديثة التى طغى سيلها على العالم فى هذه الايام ، فأضلت البسطاء والعوام وكادت دولة الكفر والالحاد ، ان تتسلط على عقول سائر العباد .

ولما كان شخصى الضعيف من الذين أسعدهم الحظ ليكون مديراً للكلية اللاهوتية بحلوان ، فقد رأيت أنه لا مناص من وضع مؤلف واف يجمع بين دفتيه أهم الموضوعات اللاهوتية الخطيرة ، والرد على الآراء الكفرية الحديثة ، ليسهل على سائر ابناء الكنيسة ولا سيما طلبة هذه الكلية الاطلاع على تلك الموضوعات الهامة والرد على ذوى البدع والاضاليل الفاسدة .

وبما ان البحث فى لجة هذا العلم الفائق الادراك يسمو على مدارك الضعفاء أمثالى . لذلك اعتصمت بقوة الله واعتمدت على مؤازرة الروح الكلى قدسه وأخذت فى تصنيف هذا الكتاب معولا فيه على أشهر الآراء لاصحاب التآليف القديمة والحديثة فى هذا العلم الجليل ولا سيما مؤلفات علماء كنيستنا الاعلام

وقد انجزت بعونه تعالى المجلدات الثلاثة لهذا الكتاب . وهذا هو المجلد الاول منها فى طبعته الرابعة وهو يشتمل على مقدمة فى اصول علم اللاهوت والرد على اقوال الماديين والطبيعيين وشرح الايام الستة . واثبات وجود الله جل شأنه . والتثليث والتوحيد . ولاهوت الاقنوم الثانى وسر التجسد . وعمل الفداء المجيد . وحل بعض المشكلات الكتابية وغيرها

ولفادينا أدوم الشكر وأبلغه أولا وآخرا

المؤلف
القمص ميخائيل مينا
مدير كلية اللاهوت بحلوان

فهرس



بسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد

الباب الأول

في

اصول علم اللاهوت

وفيه سبعة مباحث

المبحث الاول

فى

ماهية علم اللاهوت (١) — أقسامه (مصادره)
علم اللاهوت الطبيعى — علم اللاهوت الفائق الطبيعة

* * *

(ماهيته) علم اللاهوت هو علم يبحث فيه عن الله جل شأنه من حيث وجوده وصفاته وتوحيد جوهره . وتثليث اقانيمه وأعمال عنايته . وتجسد ابنه يسوع المسيح ربنا ونسبته للانسان ونسبة الانسان اليه . وبالاجمال فانه يبحث فى سائر التعاليم والعقائد الايمانية المعلنة فى كتابه الالهى الذى هو مصدر وينبوع هذا العلم السامى المجيد .

(اقسامه) — ينقسم علم اللاهوت الى قسمين (مصدرين) احدهما طبيعى والآخر فائق الطبيعة :

(الطبيعى) — علم اللاهوت الطبيعى هو العلم المستمد من الضمير والعقل وشهادة الطبيعة وبه نستطيع ان نحصل على معرفة الله ومحبته وعبادته، الا انه غير كاف لايضاح جميع الحقائق الدينية وبيان ارادة الله الصالحة . وارشادنا لما يجب علينا أن نعمله فى هذه الحياة وما نتوقعه فى الحياة العتيدة.

(الفائق الطبيعة) — أما علم اللاهوت الفائق الطبيعة فهو كلام الوحى الوارد فى كل اسفار الكتاب المقدس الذى يعلمنا ما لا يستطيع ان يعلمنا اياه النور الطبيعى من الاسرار الغامضة والحقائق الهامة .

---

(١) ماهية كل شىء حقيقته

المبحث الثانى

فى

ماهية الوحى ــ كيفيته ــ دلائله ــ حد المعجزة وشرطها ــ حد النبوة وشرطها ــ معنى كون كل الكتاب موحى به من الله ــ اعتقاد اللاهوتيين فى وحى الكتاب ــ عدم تغيير الوحى ــ طبيعة الكتبة وقواهم العقلية ــ حالة الملهم وقت الوحى

* * *

(الوحى لغة) ــ المكتوب او الرسالة وكل ما القيته الى غيرك ليعلمه كيف كان فهو وحى . ثم غلب استعمال الوحى فيما يلقى الى الانسان من عند الله كما يؤخذ من تعريفه شرعا

(الوحى شرعا) ــ كلام الله تعالى المنزل على افواه انبيائه القديسين ورسله المكرمين فى كتابه الالهى بما يفوق الطبيعة لاعلان حقائق الحية للبشر خالية من كل زلل ونقص . وهو وأن كان مكتوبا بلغات الناس لكن كلماته كلمات الذى تكلم من السماء : وقد انزل فى البدء شفاها على آدم ثم استكتبه موسى وغيره من الانبياء والرسل

وقد استعمل بعض اللاهوتيين الوحى والالهام بمعنى واحد وبعضهم جعل فرقا بين مدلول كل منهما

فالوحى مداره على النبوات والاسرار . والالهام يجرى على الامور التاريخية التى سبق معرفتها بغير الوحى

(كيفية الوحى) ــ قد يوحى الله الحقائق لعبيده الامناء بوسائط وطرق متنوعة : ــ

(ا) إما بوحى شفاهى كأن يخاطب الله نبيه فما لفم كما خاطب موسى كليمه (عدد ١٢ : ٨)

(ب) أو بحلم نبوى يلقيه الله على قلب عبده كالحلم الذى أوقعه على قلب يوسف فأشار به الى ما سوف يرقى اليه من ذرى المجد والرفعة (تك ٣٧ : ٥)

(ج) أو برؤى يراها النبي وهو بين يقظان ونائم فتؤتيه معرفة الغيب او بغير ذلك من الوسائل المتنوعة التي يختارها جل شأنه حسب قصد نعمته لاعلان مشيئته الصالحة لبني الانسان (انظر عد ١٢ : ٦ و ٢٤ : ٢ - ١٦ وبق ٢ : ٢٨ واع ١٠ : ١١ ورؤ ١ : ١٠)

(دلائل الوحي) — دلائل الوحي هي العلامات التي يتميز بها الوحي الحقيقي من خداعات البشر وادعاءاتهم الكاذبة

وأخص هذه العلامات اثنتان احداهما المعجزات والاخرى النبوات ومن ثم نجد ربنا يسوع المسيح مع انه هو الله نفسه ولكنه أيد أقواله بالمعجزات والنبوات (يو ٥ : ٣٦)

(حد المعجزة) — المعجزة (١) ويقال لها الاعجوبة وهي حادث خارق للعادة أو لنواميس الطبيعة يصنع بقوة الله لاثبات أمر إلهي

وتتميز المعجزة الصحيحة من شعوذات السحرة وخزعبلات الانبياء الكذبة بالشروط الآتية :

«١» تكون قابلة لامتحان الحواس فيستطيع الانسان ادراكها والحكم بصحتها

---

(١) يسمى العمل الخارق للمادة فى الكتاب المقدس بأربعة أسماء وهى (معجزة - آية - أعجوبة - قوة) فسمى (معجزة) لانه يعجز البشر عن الاتيان بمثله و (آية) لانه وضع بمثابة علامة لصحة دعوى صانعه ودليلا عليها و (أعجوبة) لانه يلقى في نفس المشاهد العجب لكونه خارقا للعادة و (قوة) لانه لا يمكن الا بقوة الله

(٢) تكون لغاية حكيمة ولائقة كاثبات رسالة صانعها (خر ٤: ٨) أو لجذب الناس لمعرفة الله (مر ١٦ : ٢)

(٣) تكون مما لا يقدر على صنعه الا الله وحده كاقامة الموتى وابراء الأكمه (١)

وحيث أن الغرض من المعجزة انما هو تصديق الله لصحة دعوى المرسل فالمعجزة التي تتم فيها هذه الشروط تكون دليلا صحيحا على صدق الوحي المنزل على فم صاحبها وأنه مرسل من الله حقا ولذلك اتخذ الكتبة الملهمون المعجزات دليلا صحيحا على صدق ارساليتهم من الله

قال بولس الرسول « أن علامات الرسول صنعت بينكم في كل صبر بآيات وقوات » ٢ كو ١٢ : ١٢ وقال أيضا « ثم تثبت لنا من الذين سمعوا شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب ارادته» (عب ٢ : ٣) وقال بطرس الرسول « يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون» (اع ٢٢ : ٢٠) وقال مرقس الانجيلي عن التلاميذ « وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة» (مر ١٦ : ٢٠) وقال جل شأنه « وأما أنا فلي شهادة أعظم من

---

(١) قال العلامة اوريجانوس في هذا الصدد (توجد وسائط اكيدة يتميز بها سحر ابليس من المعجزات الحقيقية التي هي عمل الباري تعالى وهذه الوسائط تقوم بالفحص عن آداب صانعيها وتعاليمهم والمفاعيل التي تبرزها هذه المعجزات. فموسى والانبياء ويسوع المسيح وتلاميذه لم يعملوا الا ما كان مطابقا كل المطابقة للصواب وجزيل الفائدة للآداب الصالحة للجمهور . فهم أول من وضعوا بالعمل ما علموه وكان التأثير عظيما ومستديما . اما موسى فهذب امة برمتها وساسها بنواميس مقدسة ، ويسوع المسيح ضم جميع الامم الى معرفة الاله الحقيقي والى مباشرة كامل الفضائل . اما الخبثاء والكذبة فلا يبتغون اصلاح الناس ولا لسحرهم ومكرهم نتائج حسنة)

يوحنا لان الاعمال التى أعطانى الاب لأكملها ، هذه الاعمال بعينها التى انا اعملها هى تشهد لى بان الاب قد ارسلنى » (يو ٥ : ٣٦)

(حد النبوة) — أما النبوة فهى (١) أنباء يقين بحوادث مستقبلة لايمكن أن يهتدى الى معرفتها باسبابها ومقدماتها بمجرد استدلال العقل . وانما هى اعلانات تسرى خفية الى عقول الانبياء بفعل الروح القدس . وبهذا تعتبر معجزة المعجزات لانه كما أن المعجزات هى اظهار قوة فوق القوة البشرية كذلك النبوات الصحيحة هى اظهار قوة فوق المعرفة البشرية ومن ثم فالانباء بكسوف الشمس أو خسوف القمر بعد اعوام كثيرة ليس من ضروب النبوة لانه يهتدى الى معرفة كل منهما بأسبابه

قال ابن كاتب قيصر فى حد النبوة : النبوة (٢) فيض الهى بتوسط العقل الفعال على النفس الناطقة ثم بها على القوة المتخيلة (وهى مرآة العقل)

ووارد النبوة إما أن يرد فى حال النوم ويختص باسم الحلم وهو أول اقسام النبوة واضعفها كحلم يوسف وفرعون (تك ٣٧ : ٥ و ٤١ : ٤٥) واما الذى يرد فى حالة اليقظة فان كان معه سبات قيل له رؤيا — ومرأى النبوة — ومنظر — وسهو — ووحى كرؤيا أشعياء ، وان لم يكن مع السبات فهو التجلى وهذا القسم اقوى من الاول ، والخطاب وهو غاية طبقات البشر كخطاب الله لادم وابراهيم وموسى (تك ٢ : ١٦ و ١٢ : ١ وخر ١٩ : ٣)

(شروط النبوة) — (١) أن يكون الانباء يقينا بأمر غامض تتعالى معرفته عن كل انسان من قبل ان يقضى اليه الوحى به

---

(١) ذخيرة الالباب

(٢) جاء فى التلمود عن فرقة الانبياء ما يأتى — لانبياء بنى اسرائيل مراتب منها مرتبة (حوزية) اى البصـــير وهى الاعظم ويتلوها مرتبة (رؤية) اى الرائى وبعدهما مرتبة (نبى) وهذا اللقب الاخير جامع — وكانت علامة النبوة عندهم فقدان كل الحواس اثناء نزول الوحى ماعدا النطق . فكان النبى يسرد اقواله ويتلو نبوته وهو غائب عن الوجود

(٢) وان يعبر عن ذلك الامر بكلام غير ملتبس ولا مشترك بين معنيين أي يجب الوضوح فى التعبير عنه وحمل الكلام على معنى مسمى معين . أما اذا عبر عنه بكلام معمى مبهم أو لفظ مشترك بحيث يصح انطباقه على حادثتين مختلفتين كان ذلك ظنا وحدسا لا نبوة

(معنى وحى الكتاب) ـ معنى كون كل الكتاب موحى به من الله أى أنه لم يكن من عند الكتبة أنفسهم ولا هم اقترحوه وأنشأوه . وانما كان عن القاء الروح القدس وتفهيمه . نعم لقد ورد فى الكتاب المقدس مما ليس من أقوال الله كلام الشيطان وأحاديث الكفرة والوثنيين (أنظر تك ٣ : ٤ و ١٢ : ١٨) الا ان هذه العبارات يصح لنا القول بانها من كلام الله من حيث ان كتبة الاسفار اذ كانوا يذكرونها على سبيل الرواية كان الروح يلهمهم وينزههم بامداده فى روايتها من الخطأ . ومن ثم قال بولس الرسول (كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر) ٢ تى ٣ : ١٦ ، (أنظر ايضا ٢ بط ١ : ٢٢ و ١ كو ٢ : ١٣ وأف ٢ : ١٣)

(اعتقاد اللاهوتيين فى وحى الكتاب) يعتقد بعض اللاهوتيين ان كل ما فى الكتاب المقدس برمته من جمل وعبارات ونسق قد أملاه الروح القدس نفسه على الكتبة الملهمين ويعتقد البعض الآخر ان الروح القدس لم يوح بالكتاب على نحو واحد . بل على أنحاء مختلفة وأساليب متباينة . فالناموس والنبوات القاها الروح القدس على الكتبة الملهمين بلفظها وعباراتها

أما ماعدا ذلك كالتواريخ والامور الادبية مما سبق ان عرفوها بانفسهم إما عن مشاهدة او سمع او مطالعة . فلم تكن هناك حاجة لان يعلمهم الروح القدس اياها لانهم كانوا بها عالمين غير ان هذه وتلك تعتبر من تلقين الروح القدس لانه :ـ

(١) حركهم وأثار عقولهم ليختاروا أمرا ويتركوا آخر بحيث انهم لم يهملوا شيئا مما أراد الله أن يكتبوه أو يزيدوا عليه بل كتبوا حسب مشيئته تعالى

(٢) دلهم على نسق العبارة وترتيب الكلام . أى ان يضعوا هذه العبارة اولا وبعدها العبارة الاخرى

(٣) آزرهم بامداده وعصمهم بقوته بحيث لم يخطئوا فى شيء مما كتبوه

(الوحى لم يغير طبيعة الكتبة) — ان الوحى وان كان قد عصم الكتبة الملهمين من الخطأ والزلل أثناء الكتابة ، الا أنه لم يغير شيئا من قواهم العقلية . بل كتب كل منهم بحسب ذكائه واهليته . وذلك واضح من التفاوت العظيم بين أقوالهم وطرق التعبير التى سلكها كل منهم للدلالة على معنى واحد . فالعالم منهم كان يعبر بكلام العالم كموسى النبى ، والعامى كان يعبر بكلام العامى كعاموص الراعى . وذو العواطف الرقيقة كان يتكلم برقة ولين كيوحنا وأرمياء . أما ذو العقل المنطقى الذى يرغب فى ايراد الادلة بغاية الضبط فكان يتكلم بما يتناسب مع درجة عقله كبولس وأشعياء

ومن ثم لم يكن أولئك الكتبة كآلات ميكانيكية فى يد الروح القدس بل كانوا نظير آلات حية ناطقة ذات ارادة حرة تسير بحسب مشيئة الله ومقاصده الصالحة

(حالة الملهم وقت الوحى) اما حالة الملهم وقت الوحى فقد وصفها علماء الكتاب بقولهم : ان النبى او الرسول الملهم يحصل له وقت الوحى سهو وهو ذهول وغيبوبة واختطاف عن الحواس . ويصدر ذلك لاستغراق عقله وتأمله فى الاشياء المستعظمة والاسرار العميقة استغراقا هذا حده حتى انه يتبين انه ترك جسده وغاب عن حسه واختطف عقله

المبحث الثالث

فى

ضرورة الوحى ولزومه للانسان

(١) أعلمه بما لم يتصل عقله الى معرفته (٢) أعلن له جودة الله وحكمته (٣) سن له الشرائع الدينية والأدبية

* * *

لقد رأى الله جل شأنه أنه إذا ترك الانسان بلا وحى ضل وعدم كل صلاحه الطبيعى ومن ثم أوجبت الحكمة الالهية بتنازل لا تدرك كيفيته هبوط وحى من لدن عرشه تعالى على بعض رجاله الصالحين لكى يرشده إلى علم الحقائق الآتية وهى : —

(١) أعلمه بما لم يتصل العقل البشرى الى معرفته ، كتوحيد ذات الله وتثليث اقانيمه ، وطبيعة الملائكة وعملهم ، وكيفية خلقة العالم ، وتكوين الانسان وتسلط الخطية على طبيعته ، وأصل الشر وعلة دخوله الى العالم ، ثم عناية الله الشاملة لسائر المبروءات وقيامة الاجساد والدينونة وحالة النفس بعد الموت والمجد المعد فى الملكوت للابرار ، والعـــذاب الخالد فى الجحيم للاشرار والى غير ذلك من الحقائق الجوهرية الهامة التى وان استطاع الانسان أن يعرف عنها بعض المعرفة بواسطة الغريزة الثابتة فيه ، لأن اموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى انهم بلا عذر ، رو١ : ٢٠ إلا ان ذلك ليس بكاف وحـــده لأن يمنحه المعرفة الكاملة للكشف عن غوامض تلك الاسرار

(٢) أعلن له جودة الله وحكمته وعدله التى تجلت فى تكوين العالم والعناية به ولا سيما فى تجسد الاقنوم الثانى ربنا يسوع المسيح له المجد

(٣) سن له الشرائع الدينية والادبية التي ارشدته الى كيفية العبادة والمطاليب الالهية وحفظ الحق ونشره على أقوم سبيل حتى لايتعرض لقبول التأثيرات المضلة بحكم فساد طبيعته وعمل الشيطان الذى لايفتأ يحرضه على فعل الشر واتيان المنكرات

نعم ان البشر وضعوا قوانين كثيرة لسلامة الاشخاص والشعوب . وحفظ معرفة الله وعبادته ولكن فساد الطبيعة غلب نور العقل . فبعد ان عرف الناس أن الله واحد وانه روح . عادوا فمثلوا صفاته بصور وتماثيل مختلفة . فتطرق الفساد الى عقيدة التوحيد . ثم اتخذوا لهم آلهة كثيرة . فنسوا الله وعبدوا الاوثان . ومن ثم انحطوا الى الدرك الاسفل من الدناءة والفحشاء

ومن يطلع على الوصف الذى وصف به بولس الرسول الامم الخالية من نور الوحى يقتنع تمام الاقتناع بأنه لا سبيل لاصلاح فساد البشر . وتقويم اعوجاجهم . وتهذيب العقائد والاعمال . إلا بتعليم يفوق تعليم الطبيعة حيث قال « مملوئين من كل اثم وزنى ، وشر ، وطمع ، وخبث ، مشحونين حسداً وقتلا وخصاما ومكراً وسوءا . نمامين مفترين . مبغضين لله ثالبين . متعظمين مدعين ، مبتدعين شرورا ، غير طائعين للوالدين بلا فهم ، ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة » (رو ١ : ٢٩ - ٣١)

ومن هنا تتضح ضرورة الوحى ويظهر خطأ العقليين والماديين الذين يعظمون شأن العقل وينكرون لزوم الوحى .

المبحث الرابع

فى

العقليين ونظريتهم فى الوحى - الرد على نظرية العقليين فى الوحى - حدود العقل فى المباحث الدينية — الرد على نظرية العقليين فى عدم ضرورة الوحى المستنتجة من ترك العالم بدون كتاب موحى به من آدم الى موسى

* * *

العقليون (١) — العقليون هم قوم عظموا قدر العقل وبالغوا فى سعة ادراكه حتى جعلوه ينبوعا لجميع الحقائق وأصلا لكل المعارف، كما أن فى استطاعته أن يدرك كل الحقائق الدينية كغيرها من الامور المألوفة بدون افتقار إلى الوحى وباعتقادهم هذا افتروا على الله الذى يكون على ذلك ارسال الرسل والانبياء عبثا ومن غير مقتضى

ولقد تشعبت نظرياتهم فى ذلك . واشهرها النظرية الآتية وهى « ان الوحى غير ضرورى لان العقل مصدر كل معرفة واعتقاد دينى »

الرد على العقليين — ان ابلغ رد على بطلان نظرية العقليين فى عدم ضرورة الوحى هو الادلة العديدة الصريحة التى قامت فى كل زمان ومكان برهانا حيا صحيحا على فساد العقل البشرى وزيغانه عن السبيل القويم . وليس أدل على ذلك من ان كل الشعوب الذين لم يكن لهم وحى يعتمدون

---

(١) للعقليين ثلاث نظريات : - (الاولى) قالت بعدم امكانية الوحى وجعلت العقل وحده مصدراً لكل عقيدة دينية (الثانية) قالت بامكانية الوحى - وللعقل التصرف المطلق فى تفسيره كما أن العقل يمكنه ان يتوصل الى تعاليمه (الثالثة) قالت يوجد بعض حقائق روحية لا يمكن للعقل الوصول اليها فتقبل كوحى من الله ولكن للعقل وحده ان يهيمن على تفسيرها

عليه فى كشف الحقائق الدينية سقطوا فى سحيق الضلالات والعبادات الفاسدة وتمسكوا بالاوهام والخرافات الكاذبة . وكان فلاسفتهم وعلماؤهم أول من عجزوا عن معرفة الحق . فضلوا سواء السبيل . ولا سيما فيما يتعلق بطبيعه الله . وخلود النفس والحياة العتيدة . وان بلغوا أقصى حدود العقل ولم يهتدوا لمعرفة الحق حينئذ اعترفوا بعجزهم وكان اعترافهم أبلغ دليل على لزوم الوحي وضرورته

قال افلاطون « ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الالهة أو من أنبياء الالهة وليست هناك وسيلة نعرف بها ارادة الالهة إلا بنبي يعلنها لنا »

وقال سيشرون « أن كل الاشياء محاطة بظلمة دامسة تسترها حتى لا تقدر قوة عقلية أن تكشفها

وقال سقراط « أن كل معرفة صحيحة عن الالهة انما هى من الالهة »

وقال ارسطو عند موته « لقد جئت الى هذا العالم عريانا وعشت فيه شقيا تعسا وأموت الآن فى حيرة لانى لست أعلم اين يكون مصيرى وانتهائى ، ولكن انت ياموجد كل الموجودات وعلة العلل ترأف عليّ وارفق بى »

هذه هى اعترافات جبابرة العقول فى هذا الموضوع وكفى بها شهيداً على عجز العقل البشرى وضعفه . وانه فى منتهى الحاجة الى وحى من الله لكشف الاسرار والغوامض الالهية ووضع القواعد الدينية والادبية التى تحفظ كيان الهيئة الانسانية من الفساد . وتكفل نظامها فى كل زمان ومكان

(حدود العقل فى المباحث الدينية) — انه ولئن كان العقل ليس مصدر كل معرفة واعتقاد دينى كما اثبتنا فيما سلف . الا ان له فى تلك المباحث حقوقا يجب ان يستوفيها ويستخدم فيها كفحص الأدلة المقامة لأثبات الوحى الالهى . والتمييز بين الحق والباطل والمحلل والمحرم . والى غير ذلك من

الامور التى لايجوز له حق التدخل فيها فحسب بل يجب ان يمعن فى فحصها وبحثها حتى يستريح لصحتها ويأمن شر الغش والخداع من جهتها . بشرط أن يخضع للوحى ويضع الايمان فوق العلم

(عدم انقطاع الوحى) — ولعمرى انه لقد ضل من زعم ان الله ترك العالم من آدم الى موسى بلا وحى واعلان . لانه كان يعلن لهم ارادته المقدسة فى ذلك الحين بخطاباته والهاماته المتنوعة التى كان يلقيها على الاتقياء منهم كآدم ونوح وابراهيم ، وتلك كانت تقوم مقام الكتاب فى حينها

ومما يثبت كون الله لم يهمل البشر قط بلا شريعة منذ ابتدأ التكوين هو إيقاعه طوفانا عليهم وتغريقهم به عن آخرهم إلا نوحا عندما أخطأوا الامر الذى لايمكن انكاره لكثرة الادلة عليه تاريخيا وجيولوجيا . فهل يمكن أن الله يعاقب خلقه عقابا عظيما كهذا فى دارى الدنيا والآخرة دون أن يكون مصرحا لهم بشريعة تأمر بالخير وتنهى عن الشر . حاشا لله من ذلك . إذن الوحى لم ينقطع منذ وجود الانسان لضرورته

المبحث الخامس

فى

الادلة على صدق الكتاب المقدس وانه موحى به من الله :

(١) من نبواته (٢) من عدم تكذيب الاعداء لما ورد فيه (٣) من شهادة الاعداء انفسهم له (٤) من مطاليبه الادبية (٥) من انتصاراته على مهاجمات اعدائه له (٦) من شهادة الآثار له

* * *

(النبوات) ـ لقد ورد فى الكتاب المقدس جملة نبوات على امم مختلفة كأدوم ، وموآب واليهودية ، وبابل ، ونينوى ، ومصر ، وصور وغيرها وكلها تمت بسائر اجزائها فجاءت برهانا قاطعا على صدقه وانه موحى به من الله اذ يستحيل على البشر مهما كانوا حصفاء حاذقين أن يسبروا غور المستقبل البعيد ويخترقوا حجب ظلامه الكثيف . لان النبوة الصحيحة هى خارجة عن دائرة ذكاء البشر وعلمهم السابق

وقد اقر الانبياء انفسهم مرارا كثيرة بانهم لم يفهموا الرؤى التى اعلنت لهم ، فقال دانيال النبى : وانا سمعت وما فهمت . فقلت ياسيدى . ما هى آخر هذه ، فقال اذهب يادانيال لان الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية (دا ١٢ : ٨ ، زك ٤ : ٥) ومن ثم قال الوحى الالهى ان النبوة لم تأت قط بمشيئة انسان (اى لم تصدر عن ذكاء البشر وفهمهم) بل تكلم بها اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١ : ٢١)

قال صاحب القواعد السنية ـ « أن النبوة الصحيحة تستلزم معرفة خارقة للعادة لانها تشير الى امور لا يمكن تعليل معرفتها قبل حدوثها الا بمساعدة انارة روحية فوق العادة ، وذلك يستلزم علم الله السابق الذى وحده يعرف المستقبل اكمل معرفة ويقدر ان ينبىء بالحوادث قبل حدوثها بمئات والوف من السنين ويدعو الاشياء غير الموجودة كأنها موجودة »

وبما انه ليس فى مقدورنا أن نذكر كل هذه النبوات تفصيلا فنذكرها اجمالا ونكتفى بتفصيل واحدة منها وهى التى تشير الى خراب مدينة صور مرتين . تلك النبوة المدهشة التى لغرابة اتمامها لايسع المطالع عليها الا ان يعتقد بان الانبياء الذين نطقوا بها كانوا مؤرخين أكثر منهم متنبئين واليك بعضها

(١) ادوم — لقد تنبأ أرميا على خراب بلاد أدوم بقوله « وتصير أدوم عجبا . كل مار بها يتعجب ويصفر بسبب كل ضرباتها كانقلاب سدوم وعمورة ومجاوراتهما يقول الرب لا يسكن هناك انسان ولا يتغرب فيها ابن آدم » ار٤٩ : ١٧

و (أدوم) هذه هى بلاد عيسو بن اسحق وقد امتدت من البحر الميت شمالا الى البحر الاحمر جنوبا وكانت بلاداً عامرة بالسكان مشهورة بثروتها وغناها معتزة برجالها وابطالها محصنة بقلاعها وابراجها . غير انه على اثر هذه النبوة أخذ دبيب الخراب والدمار يدب فيها وما كاد يأتى القرن السابع بعد الميلاد حتى سقطت سقوطها النهائى وصارت بلاداً مقفرة موحشة لايسكنها كائن من كان . وقد أثبت السائحون انه يوجد الان جنوب البحر الميت أكثر من ثلاثين مدينة مهدومة مقفرة بحالة مريعة محزنة

(٢) موآب — لقد تنبأ أشعياء بخراب موآب بقوله « وحى من جهة موآب انه فى ليلة خربت عار موآب وهلكت . انه فى ليلة خربت قير موآب وهلكت ... » الخ (انظر اش ١٥ و ١٦)

أن هذه النبوة الدالة على خراب موآب شغلت أصحاحين كاملين من نبوة أشعياء ووصفت ذلك الخراب وصفا دقيقا ذاكرة المدن التى خربت باسمائها . ومن زار بلاد موآب الآن وهى واقعة بالقرب من شاطىء البحر الميت الجنوبى الشرقى يشهد بصدق هذه النبوة حيث يرى هنالك قرى وآثار قرى لها نفس المواقع والاسماء الواردة فى الكتاب المقدس

(٣) اليهودية — لقد تنبأ موسى النبي عن حال اليهود وتشتتهم فى انحاء

العالم بقوله « أصير مدنكم ومقادسكم موحشة واذريكم بين الامم » لا ٢٦ : ١٤ وقد تمت هذه النبوة تماما مدهشا حيث خرب مقدس اليهود وعبثت بهيكلهم أيدي الزمن . أما هم فتفرقوا في سائر أنحاء العالم حتى لا توجد مملكة خالية منهم ومن نظر اليهم الآن يجدهم مشتتين في أوربا وأمريكا والعجم والصين حتى مجاهل أفريقيا . هذا فوق مايكابدونه من الاضطهاد والطرد والقتل والنفي والخزء فانه لاتوجد أمـــة على الأرض قاست من الاهانة ما تقاسيه هذه الامة . وما هو اعجب من ذلك اتمام نبوة ارميا عليهم حرفيا القائلة « لاني افني كل الامم الذين بددتك إليهم اما انت فلا افنيك » (ار ٤٦ : ٢٨) .

وهل من شك ان الله افنى كل الامم الذين تبدد بينهم اليهود كبابل واشور . وأما هم فلم يزالوا موجودين امة ممتازة بين اخلاط الجنس البشري ومن ذا الذي لايعترف بانه ظهرت في الوجود دول بلا عدد واستأثرت بالحكم ثم توارت وتركت مكانها لتخلفها فيه امة اخرى إلا الامة اليهودية التي قاومت الفناء وغالبت الموت حتى غلبته . ولاتزال الى اليوم في صراع دائم مع الفناء وهي رغم الكوارث التي تنزل بساحتها ما فتئت محتفظة بشخصيتها وكيانها حريصة على تراثها الذي يهزأ بالبلى ويعبث بالفناء . واذا سألت لِمَ اعتنى الله بهذه الامة هذه العناية الفائقة فأقول لك . لان هذه الامة كانت وسيلة الخلاص الى سائر امم الأرض لأن عبادتها كانت استعداداً للعبادة المسيحية ، وكان ابناؤها وكهنتها وملوكها وذبائحها رمزاً الى المسيح . وان المسيح نفسه ولد من عذراء يهودية وقدم نفسه ذبيحة اثم في قاعدة اليهودية . وكان اول المبشرين بدين المسيح يهوداً . واول انتصارات الانجيل كانت في اليهودية . كما ان في اليهودية انسكب الروح القدس وهناك انتظمت الكنيسة المسيحية .

(٤) بابل ـ لقد تنبأ النبيان أشعياء وأرميا على خراب هذه المدينة

وكيفية الاستيلاء عليها . ثم عين أشعياء اسم الملك الذى يفتتحها قبل ولادته بمائتى سنة وهو كورش الفارسى وذكر الحيلة التى يتمكن بها هذا الملك من دخوله المدينة وهى تحويل نهر الفرات الداخل ضمنها قاسما إياها شطرين عن مجراه ، وأشار أيضا إلى أن ملك بابل بلشاصر سيقتل هو ونساؤه وسراريه ورؤساؤه وهم فى حالة السكر واللعب . وهكذا حدث لهذه المدينة بحذافيره كما جاء فى تواريخ العالم الموثوق بصحتها

(٥) نينوى ـ أما نينوى فقد تنبأ عنها بأنها تخرب خرابا تاما وتبقى اطلالا بالية ورسوما دارسة حتى لم تعد تعرف بقعة مكانها الاصلية . وهكذا حدث لها بشهادة كل المؤرخين الصادقين

(أنظر ما جاء عن هاتين المدينتين فى الفصل الرابع من الباب الاول فى وجود الله سبحانه وتعالى)

(٦) مصر ـ اما مصر فلم يتنبأ الكتاب بخرابها بل بانحطاطها بقوله : تكون (اى مصر) اصغر الممالك (حز ٢٩ : ١٥) وذلك رغم ما كانت عليه فى زمن تلك النبوة من استقلال وقوة وعز ومجد لا تدانيها فيه اى امة فى العالم.

نعم لقد قيل عنها فى نفس هذا الاصحاح انها تكون خرابا (اربعين سنة) ولكن ذلك الخراب لم يقصد به الخراب الذى مآله ازالتها من الوجود كبابل ونينوى وانما قصد به الانحطاط والضعف المتناهى بدليل قول صاحب النبوة عنها فى الفصل التالى (فلا ترتفع بعد على الامم) اما الخراب الوقتى او الضعف الذى لحق مصر قديما فقد وصف نوعا منه صاحب تاريخ قطف الزهور ص ٢٠٧ بقوله (انه فى سنة ١١٧١ فى ايام المستنصر بالله كان الرجل يمشى من جامع طولون الى باب زويله ولا يرى فى وجهه انسانا الا نادرا) وهذا وصف لا يؤدى معناه الكامل كلمة انحطاط وانما تؤديه كلمة خراب كمنطوق النبوة الصحيح

(٧) صور - أما صور فهى اقدم واشهر مدينة فينقية واشهرتها الفائقة جاء عنها فى التاريخ ان تجارتها عمت كل نواحى بحرى الروم والاحمر . ومحيطى الهندى والاطلانطيقى وبلاد الهند وجزيرة مدغشقر . حتى ان بعض الملوك كانوا تحت الجزية لصور كما أن تجارها كانوا مثل الملوك فى الغنى والسطوة . ومن ثم قال عنها اشعياء النبى « من قضى بهذا على صور المتوجة التى تجارها رؤساء ومتسببوها موقرو الارض » اش ٢٣ : ٨

ولكن رغم هذه العظمة الفائقة نزل عليها قضاء الله العادل . فخربت خرابا مريعا بهجوم الشعب الكلدانى عليها مع ان ذلك الشعب كان فى زمن تلك النبوة ضعيفا جدا وليس فى مقدوره أن يفتح مدينة قوية كهذه

ولقد تنبأ حزقيال النبى عن خراب هذه المدينة وعن اسم الملك الذى يخربها بقوله « هانذا أجلب على صور نبوخذراصر ملك بابل من الشمال . ملك الملوك بخيل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير . فيقتل بناتك فى الحقل بالسيف ويبنى عليك معاقل .. ويهدم أبراجك بأدوات حربه» حز ٢٦ : ٧ - ٩

وقد حدث كل هذا تماما بعد ١٥٠ سنة حيث هجم ملك بابل المذكور بكتائبه الجرارة على صور . وحاصرها ثلاث عشرة سنة ثم افتتحها بعد ان هدم اسوارها ودك أبراجها وأهلك معظم سكانها

ومما يستدعى مزيد الاعجاب أن أشعياء تنبأ عن صور أنها ترجع الى حالتها الاولى بعد ٧٠ سنة من افتتاحها بقوله : ان صور تنسى سبعين سنة اش ٢٣ : ١٠ وهكذا حدث فان سكان تلك المدينة بعد ان أستعبدوا سبعين سنة كاملة رجعوا واستردوا مدينتهم ومجدهم كما هو ثابت من تاريخ صور نفسه .

هذا من جهة خرابها الاول أما من جهة خرابها الثانى فقد تنبأ عنه حزقيال بقوله « هأنذا عليك ياصور فاصعد عليك أمما كثيرة . كما يعلى البحر

أمواجه وينهبون ثروتك ، ويغنمون تجارتك ويهدمون بيوتك البهجة ويضعون حجارتك وخشبك وترابك فى وسط المياه فتكونين مبسطا للشباك «حز ٢٦ : ٣ — ٢١»

وتم ذلك جميعه بطريقة مريعة على يد الملك اسكندر المقدونى الذى بعد أن حاصرها سبعة اشهر افتتحها بحد السيف فقتل سكانها وأحرق هياكلها المرتفعة وأوقد النار فى جميع جهاتها وباع نحو ٣٠٠٠٠ (ثلاثين الفا)من النساء والاولاد عبيدا أرقاء . ومن ثم اخذت هذه المدينة العظيمة تتقهقر فى عظمتها يوما فيوميا الى ان احاطت بها قوات الدمار والخراب من سائر نواحيها ، واصبحت بعد ذلك المجد السامى والرونق البهى ، حقيرة الصيت خاملة الذكر ، وبدلت تلك التجارة الواسعة : بصيد الاسماك ونشر الشباك الى يومنا هذا

وقد جاء فى كتاب العلامة صاحب المطالب النظرية فى المواضيع الالهية صحيفة ٤٥٨ عن خراب صور ما يأتى : —

ولقد وصف مندول السائح الانجليزى مدينة صور التى رآها رأى العين بقوله « ان هذه المدينة قائمة على البحر فى جزيرة متصلة بالبر . وهى ترى من بعيد كأنها عظيمة جداً ولكن متى وصلت اليها لا تجد شيئا من ذلك المجد الذى اشتهرت به فى الايام القديمة ، والذى وصفها به حزقيال النبى فى نبوته فعلى الناحية الشمالية لاترى الا قلعة مهجورة كان المسلمون قد بنوها . وما عدا ذلك فهى اسوار واعمدة وأقبية مكسورة مطروحة بعضها فوق بعض . فلم يبق بيت واحد سالما من الخراب . واما سكانها فى هذه الايام فهم قليلون جدا وفقراء ينزلون بين الخرائب ويعيشون من صيد السمك وكأن العناية الالهية قد حفظتهم فى هذا المكان ليكونوا برهانا لايكذب على أن الله أكمل كلمته فى صور بحيث تكون كرأس صخرة ينشر الصيادون شباكهم عليه . »

وليت شعرى ألم يكن اتمام هذه النبوات بهذا الاسلوب العجيب

المدهش برهانا حيا صحيحا على صدق الكتاب المقدس وانه ليس من الخرافات الباطلة الملفقة بل هو كتاب الاله الحي الازلي العليم . وان كل ما دون فيه انما هو بالهامه تعالى وارشاد روحه القدوس ؟؟

(عدم تكذيب الاعداء للكتاب) — ان كل الامور والحوادث التي دونت فى الكتاب المقدس رآها بأعينهم قوم غير مؤمنين ، فلو كان اجتياز موسى للبحر الاحمر كاذبا ، وضربات مصر ملفقة ، ومعجزات السيد المسيح ورسله غير صحيحة ، لأنبرى الوف من الاعداء وقتئذ وكذبوها وشنعوا بتلفيقها وتزويرها لاسيما اليهود الذين قد كان عندهم فى ذلك الحين معلمون كثيرون ، وكان سهلا عليهم جدا ان يحققوا كذب الانجيليين ، ويوضحوه للجميع ، لو لم تكن تلك الحوادث ظاهرة علانية ومحققة بالحس عند كل انسان حتى انه ما كان ممكنا ان يستريب بها احد .

اما وان الاعداء لم يفعلوا شيئا من ذلك وهم كثيرون ما بين علماء واقوياء كما قلنا ، فسكوتهم ابلغ دليل على صدق ما ورد فى كتاب الله .

(شهادة الاعداء) — وانك اذا اطلعت على اقوال الفلاسفة والمؤرخين الوثنيين ، وكتب التلمود المتنوعة لألفيتها جميعها تشهد للمسيح شهادة تطابق ما ورد عنه فى الانجيل تماما ، حيث تصفه بانه نشأ فى اليهودية (ويدعى يسوع بن يوسف) وكان يعمل آيات ومعجزات باهرة غير ان اكثرهم لاسيما اصحاب التلمود يعزون ذلك لقوة الشيطان كما كانوا يقولون عنه وهو فى العالم « انه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » مت ١٢ : ٢٤

قال سلسوس وهو فيلسوف ابيكورى « ان يسوع جيء به طفلا الى مصر » ثم اعترف بآياته ومعجزاته غير انه نسبها الى أعمال سحرية .

وقال ثالوس ، وهو مؤلف يونانى عاش فى القرن الاول ، عن الظلمة التى حدثت يوم صلب السيد له المجد ، لما كانت السنة الثامنة عشرة لملك طيباريوس ارخى الظلام سدوله فغطى وجه البسيطة وكان ذلك فى نحو

منتصف النهار »

وقال ميكروب ، وهو مؤلف وثنى عاش فى القرن الرابع « ان تكون خنزير هيرودس افضل من ان تكون ابنه » وذلك لمناسبة تكلمه عن حادثة قتل هيرودس لأطفال بيت لحم.

ولنفرض ان الاعداء لم يشهدوا لما ورد فى الانجيل فان اعتناق العالم دين المسيح وهو اعدى عدو للشهوات . واشد مقاوم لاهواء النفس ورغباتها الفاسدة. هو فى ذاته اقوى دليل على صدق الانجيل وانه صادر من السماء لانه لايعقل ان العالم جميعه ، بما فيه الفلاسفة والحكماء ينخدع باقوال اثنى عشر صيادا من اجهل الناس واحطهم حسبا ونسبا ، لولا ان هناك قوة خفية سماوية كانت تعمل من وراء الستار بوساطتهم .

(مطاليبه الادبية) - ويستدل على صدق الكتاب ايضا من مطاليبه الادبية العجيبة كالأمر بمحبة الاعداء وانكار الذات والكرامة اللائقة للجميع وتفضيل الابدية على الزمنية والتسليم الكامل لله والطاعة لوصاياه وما الى ذلك من التعاليم الادبية الرائعة والشرائع التقوية الصحيحة التى من شأنها أن تهذب الاحساس وترقى العواطف . هذا فضلا عن ان الذى يقرأه بوقار دينى يجد فى تعاليمه وأوامره طهارة فائقة وروح عبادة حقيقى وقوة مقدسة وتعزية للقلب الحزين .

(انتصاراته على الاعداء) - ومن اقوى الادلة على صدق الكتاب المقدس انتصاراته العجيبة على مهاجمات الكفرة والاعداء له فى كل زمان ومكان وثبات عرشه الالهى بلا تزعزع حيال تلك الحروب والمقاتلات المتواصلة ، التى كان فى استطاعتها أن تلاشيه وتمحو أثره من الوجود لولم يكن صادراً من الله . ولكنه رغم القوة والسلطان والحكمة البشرية التى اتحدت لمقاومته فانه أزدهر وانتشر على كل ممالك العالم .

وان من يطلع على المساعى الجهنمية التى بذلها الملوك الكفرة فى سبيل

ملاشاته وفشلها المحقق ، لا يسعه الا الايمان والتصديق بانه كتاب إلهي . وان الله نفسه هو المهيمن عليه بقوته التي لا تقهر . ويا ليت شعرى ألم يشحذ عليه أهل المعاصي الألسنة ويشرعوا نحوه الأسنة وقد أبوا إلا عراكه ونطاحه ، لكنهم لم ينطحوا إلا صخرة لا تتزعزع .

فهذا ثلسوس (١) وبرفيروس (٢) وغيرهما من فلاسفة الوثنية الذين بذلوا قصارى جهدهم في تكذيب الاسفار المقدسة ودك اركان الدين المسيحي تارة بالكتابة ، وأخرى بالخطابة ، قد انخموا وباءوا بالفشل والخسران وانقرضت مذاهبهم وصارت في خبر كان .

وهذا انطيوخوس (٣) الملك الجبار ، الذي أقسم بأن يلاشي الكتاب المقدس من الوجود . قد ذهبت كل مساعيه سدى وباطلا . حيث هلك ذلك الطاغية وباد . اما الكتاب فقد انتشر بين الملأ وساد .

وقد قام بعدهم في كل جيل وزمن مبتدعون وملحدون ، تضافروا معا وتمالأوا على تزييف الكتاب وتكذيبه . فبددت شمس الحق غمام مذاهبهم العاطلة وسفاسفهم الباطلة . وقل ما بقي لها أثر بعد عين .

(شهادة الآثار للكتاب) — ان الآثار التي يعثر عليها من حين لآخر في المدن القديمة كبابل ونينوى ومصر تشهد لصدق الكتاب المقدس شهادة

---

(١) فيلسوف يوناني ألف رسالة ضد المسيحية فندها العلامة اوريجانوس وكان يعتقد ان العالم وجد بطريق الصدفة وان النفس ليست خالدة

(٢) فيلسوف يوناني ولد في القرن الثالث والف كتبا ضد المسيحية ثم اندثرت

(٣) هو احد ملوك مملكة سوريا اليونانية تولى الملك سنة ١٧٦ ق . م . اضطهد شعب اليهود اضطهاداً عنيفاً وتطاول على دياناتهم بقصد نزعها من الارض مع ملاشاة كتابهم المقدس ثم تكلم بتجاديف على الله وأخيرا مات شر ميتة معذباً في جسده وضميره

عجيبة مدهشة . فقد اكتشفت فى مدينة نينوى من عهد ليس ببعيد قطع من الاحجار مرسوما عليها صور ملوك اشور المذكورين فى الكتاب المقدس ، ووجد ايضا اسم حزقيا ملك يهوذا بين تلك الخرائب . ولم يوجد فقط اسم الملك الاشورى سنحاريب المذكور فى الكتاب بل صورته ايضا محفورة على حجر عظيم جداً جالسا على عرشه وبيده الصولجان . فاخرجت تلك الاحجار من بين الخرائب وارسلت الى انكلترا وهى موجودة الآن فى متحف لندن البريطانى ، والحال ان نينوى ظلت اجيالا طويلة مدفونة ومغطاة بخرائبها ولم يظهر لها اثر البتة ولم يعرف اين موضعها بالضبط حتى ظن الذين لا يؤمنون بالكتاب انه لا وجود لنينوى مطلقا ، وان ما قاله الكتاب عنها عار عن الصحة ولكن ابت قدرة الله الا اظهارها واخراج تلك الآثار من ظلمة جوف الارض الى النور بعد دفنها زمانا هذا مقداره لتكون آية من اعجب الآيات على صدق كتاب الله .

وخلاصة القول ان كثيرين من العلماء المشهورين صرفوا وقتا طويلا من سنى حياتهم فى دراسة هذه الكتب المقدسة وهم يفحصون كل جملة منها فحصا دقيقا قاصدين بذلك ان يوقعوا المقابلة بين النبوات والرموز التى اشارت إلى المستقبل وبين التواريخ والآثار التى تخبر عن الماضى فلم يمكنهم ان يجدوا شيئا من تلك النبوات والاشارات لم يدخل فى دائرة الصدق فحكموا اذ ذاك بكون الكتاب المقدس هو إلهى بلا ريب .

المبحث السادس

في

حفظ الكتاب المقدس بلا تحريف أو خلل بحسب ماصدر من أيدى كاتبيه حتى الآن ـ الوسائط الواقية له من التحريف ـ اختلاف القراءات

* * *

(عدم تحريف الكتاب) ـ لقد حفظ الكتاب المقدس بلا تحريف أوخلل بحسب ما صدر من أيدى كاتبيه حتى الآن لأن الوسائط التى استخدمت فى المحافظة عليه من كلتا الامتين اليهودية والمسيحية كفيلة لأن تحميه من كل تحريف وتبديل

فاليهود فضلا عما كان عندهم لذلك الكتاب من جليل المكانة وسمو الاعتبار قد حرصوا على رعايته وعنوا بدقة نسخه وكان ذلك امنع واق لبقاء نصه الاصلى مصونا منزها عن كل تغيير وتصحيف .

قال يوسيفوس المؤرخ « أن اليهودى يفضل إحتمال العذابات بل الموت على تغيير نقطة واحدة أو شرطة من كتابه المقدس ، وتداول على ألسنتهم أن من حرّف أى تحريف يحرم من النعيم » .

وقال صاحب كتاب مرشد الطالبين « كان العهد القديم محفوظا عند اليهود فى كل عصر بحرص وثيق ، واحترام عظيم لكلماته وحروفه أيضا . وكانوا اذا استنسخوا كتبهم المقدسة وقابلوها ، يحترسون فى ذلك غاية الاحتراس . حتى انهم تحققوا كم مرة تتكرر كل حرف فى كل سفر من العهد القديم . وعرفوا أيضا عدد الاسطر والكلمات والاحرف من كل نوع فى كل الكتاب » .

هذا فضلا عن ان اليهود كانوا منقسمين الى فرق وأحزاب معادية بعضها بعضا . فكان لا يمكن لفريق ان يحرّف بدون أن يفضح الفريق

الآخر ستره ويشنع فيه فكان يتعذر والحالة هذه التحريف والتبديل.

وفوق ما ذكر فان ترجمة العهد القديم الى جملة لغات من أقوى الادلة على تعذر تحريفه ، فانه ترجم (أولا) قبل العصر المسيحي بقليل الى اللغة الكلدانية ليتعبد بتلاوته اليهود الذين كانوا فى الشرق وذلك لعدم معرفتهم اللغة العبرية كما يجب (ثانيا) ترجم الى اللغة اليونانية نحو سنة ٢٨٨ ق . م (ثالثا) ترجم قبل نهاية الجيل الأول المسيحى الى اللغة السورية لأفادة المسيحيين السوريين ـ وهذه التراجم الثلاث محفوظة حتى عصرنا الحاضر وهى فى غاية الموافقة والمطابقة لبعضها وذلك ليست نتيجة تواطىء المترجمين بل ناشئة عن كون هذه التراجم أخذت من مصدر واحد.

أما المسيحيون فان انعكافهم على قراءة أسفار العهد الجـــديد علنا فى كنائسهم ومحافلهم (١) يوميا . ثم انتشارها بين طوائفهم المتباينة المذاهب فى سائر اقطار العالم . واستظهار رجال الدين اسفاراً منها برمتها عن ظهر قلب . كل هذه الوسائط الناجعة الوافية حفظت تلك الاسفار وصانتها من التغيير والتبديل ووقفت سداً منيعا فى سبيل من يريد تزويرها وتحريفها.

قال أحد علماء الكتاب « اما إذا قدر تحريف الاسفار المقدسة فلا يخلو من ان يكون قد حرفها إما اليهود وإما الوثنيون او النصارى ، والحال انه لا يمكن ان يثبت على احدهم شيء من ذلك التغيير والتحريف.

أما اليهود فلو رغبوا تحريف التوراة لاتجهت خواطرهم الى حذف الآيات الدالة على آلام المسيح وكفارته لشدة كراهيتهم له ولاتباعه . أو

---

(١) قال يوستينوس الشهيد الذى عاش فى أوائل الجيل الثانى المسيحى «جرت عادة المسيحيين سكان المدن والارياف أن يجتمعوا فى يوم الاحد للتعبد بتلاوة رسائل الرسل واقوال الانبياء » وقال ترتليانوس « ان المسيحيين يجتمعون لقراءة الكتب المقدسة فى يوم الاحد ويرتلون المزامير »

إلى الغاء ما شق عليهم من صعاب الواجبات المفروضة عليهم . أو حذف ما ذكره موسى من عتوهم وأصرارهم على العناد وانعكافهم على عبادة الاوثان وما سولت لهم نفوسهم من القبيحة والفحشاء لان تلك اولى بالحذف والتحريف لانها سجلت عليهم الخزى والعار فى كل زمان ومكان

أما الوثنيون فلو رغبوا تحريف التوراة لحذفوا من آياتها وتعاليمها ما أثبت وحدانية الله وانفراده بالالوهية .

أما النصارى فلو غيروا من التوراة حرفاً واحداً لقام اليهود ضدهم وقذفوهم بالكفر والضلال وسجلوا عليهم الكذب والبهتان .

وحيث أنه لم يثبت على احدهم شيء من ذلك فالكتاب المقدس لم يعتوره أقل تحريف أو تغيير .

(إختلاف القراءات) — أما اختلاف القراءات فى الكتاب المقدس فليس دليلا على تغييره او تحريفه . بل هو من اقوى الادلة على صحته وتنزهه عن كل تصحيف وتحريف وتواطىء وتدليس لاسيما وان اختلاف القراءات هذه لا يغير عقيدة من العقائد ولا حكما من الاحكام . ولا يمس قانونا فى الايمان أو الأعمال إذ لا يخرج عن زيادة أداة تعريف أو حذفها أو لحن فى النحو بسبب سهو النساخ . وهذه أمور تافهة طفيفة لا يعتد بها لانها لا تحدث تغييراً فى معنى الجملة ونحوها .

المبحث السابع

فى

الاسفار المقدسة فى كلا العهدين — الأسفار المحذوفة — الكنائس التى لاتعترف بقانونية «١» هذه الأسفار وحججهم فى ذلك والرد عليها — اعتراضات الملحدين على صدق الكتاب المقدس والرد عليها .

* * *

تشتمل الاسفار المقدسة على جزئين وهما العهد القديم والعهد الجديد «٢ كو ٣ : ٦ و ١٤»

فالعهد (أو الوصية أو الميثاق) الذى قطعه الله مع بنى اسرائيل بواسطة موسى يدعى عهدا قديما . والذى قطعه الله مع البشر جميعا بواسطة ربنا يسوع المسيح يدعى عهدا جديدا . ومن ثم عرفت أسفار العهد الاول (بالعهد القديم) وأسفار العهد الثانى (بالعهد الجديد)

وتنقسم أسفار كل عهد الى شرعية . وتاريخية . وحكمية . ونبوية

فالشرعية فى العهد القديم هى أسفار موسى الخمسة . والتاريخية هى سفر يشوع والقضاة وراعوث الى المزامير . والحكمية هى المزامير والأمثال وما يليها الى الانبياء . والنبوية هى أسفار الانبياء .

أما الشرعية فى العهد الجديد فهى الاناجيل (٢) والتاريخية أعمال الرسل والحكمية (التعليمية) رسائل بولس الرسول وباقى الرسائل والنبوية هى سفر الرؤيا .

---

(١) « قانون » لفظة يونانية معناها قاعدة ويعبر بها عن مجموع أو سلك تنتظم فيه الاسفار الالهية ومن ثم صار مجموع هذه الاسفار يدعى قانونا . وقانونية السفر عبارة عن كونه من الاسفار المقدسة .

(٢) ويصح اعتبار الاناجيل تاريخية أيضا لانها تحوى تاريخ ربنا يسوع المسيح

وهاك بيان أسفار العهدين بالترتيب :-

اولا - أسفار العهد القديم وهى :

(١) التكوين - كتبه موسى

يتضمن خبر تكوين السموات والارض وخلقة الانسان وسقوطه وهلاك العالم بالطوفان وتعميره مرة أخرى بنوح ونسله ثم تواريخ ابراهيم واسحق. ويعقوب. ويوسف بالتفصيل .وقد ورد فى هذا السفر النبوة الأولى التي نشأت منها كل النبوات الخاصة بالمسيح الفادى وهى (نسل المرأة يسحق رأس الحية) تك ٣ : ١٥ وهى وان كانت اشارتها شائعة غير مانعة ولا فاصلة ولا مخصصة بل هى وعد عام بالخلاص ولكنها لاتصدق الا على المسيح وحده (لانه ليس بأحد غيره الخلاص) وقد أشار اليها بولس الرسول بقوله (لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امرأة) غل ٤ : ٨

(٢) الخروج - كتبه موسى

يتضمن ترجمة حياة موسى من حيث ميلاده ونشأته واختياره قائداً لبنى اسرائيل وما أجراه الله على يديه من الآيات والمعجزات وما فى ذلك من الضربات واجتيازهم البحر الاحمر ثم تاريخ نمو بنى اسرائيل واستعبادهم وخروجهم من مصر بيد الله القوية وإعطائهم الشريعة . وبناء خيمة الاجتماع وظهور مجد الله فيها .

(٣) اللاويين - كتبه موسى

يتضمن الشرائع والانظمة الخاصة بالكهنة واللاويين والذبائح والسنن المتعلقة بالاعياد والمواسم كعيد الكفارة واليوبيل . وبيان دنس الانسان والحيوانات الطاهرة والنجسة وبعض المسائل الشرعية من أدبية وسياسة ورمزية .

(٤) العدد - كتبه موسى

يتضمن عد بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وإقامة الخيمة

وإعالتهم فى البرية أربعين سنة وتذمرهم المتواتر على الله وعبده موسى وإهلاكهم بالوباء والحيات وعزم بالاق على لعنهم بفم بلعام وانتصارهم على الامم المجاورة لهم.

(٥) التثنيـة ـ كتبه موسى

يتضمن الخطب التى ألقاها موسى على مسامع الشعب وهى عبارة عن كيفية معاملة الله لبنى اسرائيل . وتثنية الشرائع التى أعطيت لآباء الجيل الذى أوشك أن يدخل أرض كنعان . وموت موسى وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم إقامة يشوع خليفة له .

(٦) يشـوع ـ كتبه يشوع

يتضمن خبر عبور بنى اسرائيل نهر الاردن وافتتاح أرض كنعان على يد يشوع . وسقوط أسوار أريحا بمعجزة الهية وتقسيم تلك الارض بين الاسباط الاثنى عشر . وموت يشوع وهو ابن مائة وعشر سنين.

(٧) القضاة ــ كتبه صموئيل

يتضمن تاريخ قضاة بنى اسرائيل ، الذين كانوا أربعة عشر قاضيا (عدا عالى وصموئيل) وهم عثنيئيل ـ أهود ـ شمجر ـ باراق ـ جدعون ـ تولع ـ يائير ـ يفتاح ـ ابصان ـ إيلون ـ عبدون ـ شمشون (عالى ـ صموئيل) خبر قتل سبط بنيامين ما عدا ستمائة رجل .

(٨) راعوث ـ كتبه صموئيل

يتضمن قصة عائلة اسرائيلية مؤلفة من أبوين وهما (اليمالك ونعمى) وولدين وهما (محلون وكليون) : نزحت إلى بلاد موآب إبان المجاعة التى حدثت فى عهد القضاة . وهناك تزوج الولدان بامرأتين موآبيتين تدعى إحداهما عرفة والاخرى راعوث . ثم مات اليمالك وولداه ورجعت راعوث وحماتها إلى بلاد اسرائيل وهناك تزوجت راعوث من رجل يقال له بوعز فولد عوبيد وهو جد داود الملك

(٩) صموئيل الاول — كتبه صموئيل وجاد وناثان

يتضمن ترجمة حياة صموئيل من حيث ميلاده ونشأته ومدة حكمه. وخطية عالى وولديه وتتويج شاول ملكا وعزله. ومسح داود ملكا عوضا عنه. ومطاردة شاول لداود. ثم موت شاول ويوناثان ابنه فى موقعة حربية مع الفلسطينيين.

(١٠) صموئيل الثانى ـ كتبه صموئيل وجاد وناثان

يتضمن انتصارات داود وثبات ملكه. وخطيته بما أتاه مع امرأة أوريا الحثى. وتوبته الصادقة. وعصيان أبشالوم ابنه عليه وموته مقتولا. ثم فتنة شبع بن بكرى وموته مقتولا أيضا.

(١١) الملوك الاول ـ كتبه ناثان وجاد واشعيا ويعدو

يتضمن خبر شيخوخة داود وتتويج سليمان ابنه ملكا عوضا عنه وهو حى. وبناء الهيكل وتدشينه وظهور مجد الله فيه. وحكمة سليمان وكثرة نسائه. واسقاطهن اياه فى العبادة الباطلة وموته. ثم انقسام الامة اليهودية فى عهد رحبعام ابنه الى مملكتين: تدعى احداهما مملكة اسرائيل وتضم تحت لوائها عشرة أسباط؛ والاخرى مملكة يهوذا وتضم تحت لوائها سبطين.

(١٢) الملوك الثانى ـ كتبه ناثان وجاد واشعيا ويعدو

يتضمن بقية تواريخ ملوك اسرائيل البالغ عددهم ١٩ وهم يربعام بن نباط ـ ناداب ـ بعشا ـ ايله ـ زمرى ـ عمرى ـ أخاب ـ أخزيا ـ يهورام ياهو ـ احاز ـ يوآش ـ يربعام الثانى ـ زكريا ـ شلوم ـ منحيم ـ فقحيا ـ فقح ـ هوشع.

وملوك يهوذا البالغ عددهم ١٩ أيضا ما عدا (شاول وداود وسليمان) وهم رحبعام ـ أبيام ـ آسا ـ يهوشافاط ـ يهورام ـ أخزيا ـ يوآش ـ أمصيا ـ عزيا ـ يوثام ـ آحاز ـ حزقيا ـ منسى ـ أمون ـ يوشيا ـ يهوآحاز ـ

يهوياقيم ـ يهوياكين ـ صدقيا. ثم وصف خراب مملكة اسرائيل على يد ملوك آشور سنة ٧٢١ ق . م. وسبي مملكة يهوذا فى عهد نبوخذناصر ملك بابل سنة ٥٨٨ ق . م

(١٣و١٤) اخبار الايام الاول والثانى ـ كتبهما عزرا

يتضمنان ملخص تاريخ الامة اليهودية من آدم الى سبي بابل ويعتبران بمثابة تكملة لاسفار صموئيل الاول والثانى ، والملوك الاول والثانى .

(١٥) عزرا ـ كتبه عزرا

يتضمن تاريخ حادثتين : عظيمتين احداهما رجوع اليهود الى اورشليم بقيادة الوالى زروبابل بعد سبي بابل ، والاخرى رجوع عزرا مع اليهود الباقين واعادة بناء الهيكل .

(١٦) نحميا ـ كتبه نحميا

يتضمن رجوع نحميا الى أورشليم بأمر الملك أرتحشستا لترميم أسوارها المتهدمة ، واصلاح حالة الشعب الدينية.

(١٧) استير ـ كاتبه مجهول ويقال انه عزرا أو مردخاى

يتضمن تاريخ فتاة يهودية تدعى استير، وزواجها من أحشويرش أى (أرتحشستا) ملك فارس . ونجاة الامة اليهودية من مكيدة هامان بمعجزة إلهية هى ثمرة الصوم والتذلل امام الله .

(١٨) أيوب ـ كتبه أيوب أو موسى

يتضمن تاريخ ايوب بالتفصيل من حيث تقواه وغناه وتجربته التى اكتسحت أمامها أمواله وأولاده وصحته وتوبيخ أصحابه له وصبره العجيب وعاقبته الحسنة التى رجعت معها صحته واولاده وثروته مضاعفة .

(١٩) المزامير ـ نظم اكثرها داود والباقى نظمه موسى وهامان وآساف ويدثون وأنبياء آخرون

تتضمن تسابيح وأناشيد روحية ونبوات واضحة جلية عن ميلادى

ربنا الازلي والزمني . وصلبه . وموته . وقيامته . وصعوده الى السماء . وانتشار مملكته في سائر انحاء العالم .

ملاحظة ـ يشمل سفر المزامير مئة وخمسين[1] مزموراً ، منها ثلاثة وسبعون منسوبة صريحا الى داود والمزمور التسعون الى موسى ، أما المزامير الباقية فبعضها كتب في السبي وبعضها كتب في وقت الرجوع ، وبعضها لم يتفق العلماء على كاتبيها ولا على تاريخ كتابتها .

(٢٠) الامثال ـ كتبها سليمان

يتضمن حكما ونصائح من أجل ما سمعته آذان البشر

(٢١) الجامعة ـ كتبه سليمان

الجامعة أي الجامع والتاء للمبالغة ، وسمي هكذا لانه إما ان يكون جمع كثيراً من الحكم . أو لكونه ألقي على مسامع جموع محتشدة ومن ثم يعبر عنه بالخطيب (الذي يخطب على قوم) وهو يحض الناس على التقوى ومراعاة وصايا الله ويصف الدنيا بأنها مجموعة اباطيل ودار أكدار واحزان

(٢٢) نشيد الانشاد ـ كتبه سليمان

يحتوي على وصف وجائف حب متبادلة بين زوجين رأى فيها اليهود رمزاً الى الحب المتبادل بين الله وشعبه الاسرائيلي . ورأى فيها المسيحيون رمزاً لمحبة السيد المسيح لكنيسته التي هي عروسه الطاهرة .

(٢٣) أشعياء ـ كتبه أشعياء

يتضمن عدة نبوات تتعلق بقيام وسقوط مملكتي اسرائيل ويهوذا . وخراب ممالك آرام وبابل وأشور وموآب . وتفاصيل واضحة للغاية عن ميلاد المخلص من بتول عذراء وصلبه وموته وقيامته . حتى لقب هذا النبي بالنبي الانجيلي

---

(١) ٥٠ ١ مزموراً بحسب نسخ بيروت و١٥١ مزمورا بحسب النسخ الخطية في الكنيسة

(٢٤) أرميا – كتبه ارميا

يتضمن نبوات عديدة تتعلق باليهود وخراب هيكلهم . وتتناول كثيراً من الامم الاجنبية . ثم نبوات مختلفة عن السيد المسيح والبركات الروحية المفاضة على كنيسته

(٢٥) مراثى أرميا – كتبها أرميا

تتضمن حزنه العميق على خراب أورشليم ودمار هيكلها العجيب .

(٢٦) حزقيال – كتبه حزقيال

يتضمن عدة مناظر مدهشة . كمنظر كرسى العظمة . والكروبيم والساروفيم والحيوانات الاربعة ، ثم رؤى مختلفة كرؤيا العظام اليابسة التى ترمز الى انتقال الانفس من موت الخطية الى حياة البر . ورؤيا المياه المقدسة التى هى كناية عن البركات الروحية التى كان الانجيل عتيداً أن يفيضها على سائر الشعوب . وقوم جوج وماجوج الذين هم كناية عن اعداء كنيسة الله . ثم عدة نبوات تشير الى خراب أورشليم وصور وآشور ومصر كما أن به نصائح ثمينة لأصلاح الشعب الاسرائيلى من فساده .

(٢٧) دانيال – كتبه دانيال

ينقسم هذا السفر الى عدة اقسام . منها قسم تاريخى يتكلم فيه النبى عن نفسه وعن الفتية إخوانه . وما اصابهم وأصابه فى بابل . وموازرة الله لهم . وجنون نبوخذنصر الملك . وأكله العشب كالبهائم . والى غير ذلك . وقسم يشمل أحلاما ورؤى كثيرة متنوعة كحلم دانيال نفسه وحلم نبوخذنصر الملك ، وقسم نبوى كالنبوة التى تشير إلى قيام أربع ممالك كبيرة وسقوطها . وانقسام المملكة الرابعة وهى الرومانية الى عشر ولايات . والنبوة الشهيرة التى تحدد زمن مجيء يسوع المسيح ربنا (أنظر الفصل الخاص بشهادة الانبياء لالوهية ربنا يسوع المسيح)

(٢٨) هوشع — كتبه هوشع

يتضمن انذار ملوك اسرائيل ويهوذا بخراب وانقراض مملكتيهما. وجلاء الشعب اليهودى الى بابل لتركه الله وعبادته الاوثان .ثم الانباء بقيامة السيد المسيح فى اليوم الثالث ودعوته من مصر . ورجوع اليهود فى المستقبل مع الامم الى كنيسة المسيح.

(٢٩) يوئيل — كتبه يوئيل

يتضمن التنبؤ عن حدوث مجاعات عظيمة فى مملكة يهوذا التى كانت جميع نبواته متجهة اليها أكثر من مملكة اسرائيل . وأشهر نبواته اثنتان احداهما عن انسكاب مواهب الروح القدس بغزارة على التلاميذ فى يوم الخمسين . والاخرى عن ظهور الديان العادل على وادى يهوشافاط.

(٣٠) عاموس — كتبه عاموس

يتضمن التهديد بنزول القضاء الالهى على الاراميين والصوريين والعمونيين والموابيين وانذار اليهود بجلاء آت الى بابل وبنزول البلايا والشدائد عليهم جزاء شرهم وفسادهم .

(٣١) عوبديا - كتبه عوبديا

يتضمن إنذار الادوميين (نسل عيسو) الذين ارهقوا الامة اليهودية وساموها ذلا وخسفا بدمار قريب ثم مواعيد انجيلية ثمينة لتعزية الاتقياء والصالحين.

(٣٢) يونان - كتبه يونان

يتضمن تاريخ ارسال يونان الى نينوى لانذار سكانها وما حدث له لمخالفته أمر الله كطرحه فى البحر واقامته فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال (رمزا الى المدة التى مكثها ربنا فى بطن الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال) ثم نجاحه العظيم فى خدمته بين الامم.

(٣٣) ميخا - كتبه ميخا

يتضمن انذار الأسباط العشرة ، مملكة اسرائيل ، بجلائهم الى أرض

آشور . وجلاء السبطين الآخرين (مملكة يهوذا) الى بابل . ثم نجاتهما فى عهد كورش وترميم الهيكل وأورشليم . أما أشهر نبواته فهو ما كان فى شأن مولد ربنا يسوع المسيح فى بيت لحم اليهودية.

(٣٤) ناحوم — كتبه ناحوم

يتضمن الانذار بخراب نينوى وانقراض سلطة الأشوريين ومواعيد انجيلية هامة.

(٣٥) حبقوق — كتبه حبقوق

يتضمن الانذار بدمار مملكة يهوذا بسيف ملك الكلدانيين وخراب بابل وعقاب ملكها . ثم نشيداً رائع الطلاوة والبلاغة يحث فيه حبقوق الشعب اليهودى ليتكلوا على إله آبائهم .

(٣٦) صفنيا — كتبه صفنيا

يتضمن التنبوء عن أسر اليهود الى بابل ورجوعهم الى وطنهم مرة أخرى وخراب بلاد الفلسطينيين ، والموآبيين ، والعمونيين، والكوشيين «الحبشة» والاشوريين ، ونينوى التى تم خرابها نهائيا سنة ٦٢٦ ق . م.

(٣٧) حجى — كتبه حجى

يتضمن تعزية اليهود الذين شاهدوا رونق هيكل سليمان ومجده . وأن الهيكل الثانى ، وان كان أقل من الأول شأنا وزخرفا ، الا انه يفوقه عظمة وفخراً . لانه بمجد مخلصنا يسوع المسيح الذى هو مشتهى جميع الامم .

(٣٨) زكريا — كتبه زكريا

يتضمن حض اليهود على العمل فى ترميم هيكل الله بجد ونشاط ثم نبوات عجيبة عديدة عن مجىء سيدنا يسوع المسيح وامتداد ملكه الروحى فى العالم ودخوله الى أورشليم راكبا على جحش ابن أتان وأجرة يهوذا الخائن وترك التلاميذ المسيح فى ليلة آلامه .

(٣٩) ملاخي - كتبه ملاخي

يتضمن ذم كهنة اليهود وشعبهم على غمطهم نعمة الله وحسناته المفاضة عليهم وتطليق نسائهم بغير وجه شرعي . ثم يشير الى قدوم السيد المسيح له المجد وأنه يتقدمه سابق يدعى ايليا بقوله « هأنذا أرسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم » مل ٤ : ٥ و ٦

٭ ٭ ٭

(ثانيا) اما أسفار العهد الجديد فهي الاناجيل الاربعة : والاعمال ورسائل الرسل : بولس . ويعقوب . وبطرس . ويوحنا . ويهوذا . وسفر الرؤيا .

و « انجيل » كلمة يونانية . معناها بشارة مفرحة . والاناجيل عبارة عن تاريخ ربنا يسوع المسيح له المجد من حيث ميلاده الزمني في بيت لحم . وتعاليمه . واعماله . وموته . وقيامته . وصعوده الى السماء . أما هذا التاريخ فقد رواه اربعة اشخاص وهم . متى . ومرقس . ولوقا . ويوحنا

(١) متى - كتبه متى سنة ٣٩ م

يتضمن تاريخ تسلسل السيد المسيح جسديا من ابراهيم وداود . وميلاده الزمني في بيت لحم . ومجيء المجوس اليه . وعزم هيرودس على قتله وصومه واعتماده وموعظته الشهيرة وآياته ومعجزاته . ونبواته عن خراب الهيكل واليوم الاخير . ثم صلبه وموته . وقيامته . وارساله التلاميذ ليكرزوا في العالم أجمع .

(٢) مرقس - كتبه مرقس سنة ٦١ م

يفتتح هذا الرسول انجيله بخبر كرازة يوحنا المعمدان ثم يأخذ في سرد اعمال السيد المسيح ، كعماده ، وصومه ، وتعاليمه ، وآياته ، ومعجزاته ، ونبواته ، حتى يصل الى صلبه ، وموته ، وقيامته .

(٣) لوقا ـ كتبه لوقا سنة ٦٣ م

يتضمن هذا الانجيل عدا ما ذكر في انجيلي متى ومرقس ، خبر ميلاد يوحنا والسيد المسيح بالتفصيل واقامة ابن الارملة في نايين وشفاء المرأة المنحنية . ومثل السامري الصالح . والابن الشاطر . والفريسي والعشار . والغني ولعازر . واهتداء زكا . وتوبة اللص المائت . وصلاة السيد المسيح من أجل صالبيه . وحديثه بعد قيامته مع التلميذين المنطلقين الى عمواس ، وظهوره للاحد عشر ومخاطبته اياهم ووعده لهم بارسال الروح القدس ، وصعوده الى السماء .

(٤) يوحنا ـ كتبه يوحنا سنة ٩٨ م

يبتدىء بخبر الميلاد الازلي للابن ويتضمن اموراً شتى لم ترد في الاناجيل الثلاثة السابقة ، كتحول الماء خمراً ، ومحادثة نيقوديموس ، والمرأة السامرية . وابراء الاكمه واقامة لعازر . والوعد بمجيء الروح القدس ، والخطاب الوداعي . وعدم ايمان توما ، وظهور السيد لتلاميذه بعد قيامته على بحر طبرية

(٥) الاعمال ـ ويقال له الابركسيس وهي كلمة يونانية
معناها بالعربية (اعمال) كتبه لوقا سنة ٦٤ م

يبتدىء بصعود السيد المسيح الى السماء وحلول الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين ، ثم يتكلم عن انتشار المسيحية في العالم . وآداب المسيحيين الأولين المنزهة عن كل عيب ، واضطهاد الكنيسة . وهداية بولس واحتماله الشدائد العظيمة في سبيل الكرازة باسم المسيح وتأسيسه كنائس شتى في كل من قارتي أوربا وآسيا .

(٦) الرسالة الى رومية ـ كتبها بولس في كورنثوس سنة ٥٧ أو ٥٨م

تتضمن توبيخ اليهود والامم على ما وقع بينهما من النزاع . لان اليهود كانوا يحتقرون الشعوب كأنهم غير أهل للنعمة الالهية ويفتخرون بشريعة موسى . وأما الامم فكانوا يفتخرون بفلسفتهم ويعيرون اليهود باضطهادهم

الانبياء وقتلهم ابن الله جوراً فأصلح الرسول بين الفريقين وابطل تفاخرهم مبينا لهم ان التبرير لا يمكن الحصول عليه بناموس موسى ولا بحفظ الشريعة الطبيعية ولكن يؤتيه الله المؤمنين منة منه تعالى ، ثم بالحض على الاتحاد وحسن القيام بالفروض والواجبات لا سيما واجبات الحكام والرؤساء الدنياويين .

(٧) ١ كورنثوس — كتبها بولس فى افسس سنة ٥٥ أو ٥٧ م

تتضمن توبيخ أهل كورنثوس على ما قام بينهم من الاحزاب والفتن ، واغضائهم عن الزناة ، وحرم الرجل الكورنثوسي الذى تزوج من امرأة أبيه ، والاجابة على الاسئلة التى سألوا الرسول حلها فى شأن الزواج والتبتل وأكل ما ذبح للاوثان ثم الاستعداد اللازم لعشاء الربانى ، والتصدق على الفقراء والاهتمام بفضيلة المحبة وانتظار القيامة العتيدة .

(٨) ٢ كورنثوس — كتبها بولس فى مكدونية سنة ٥٧ أو ٥٨ م

تتضمن سبب تأخير القديس بولس عن المجيء الى كورنثوس ، وحل الزانى من حرمه ، وحض الكورنثوسيين على جمع الصدقات لفقراء اورشليم وتعداد الشدائد التى تعترضه فى سبيل خدمته ونجاته منها ، واختطافه الى الفردوس ، ومحاربة الشيطان اياه فى جسده ووعده بالقدوم اليهم .

(٩) غلاطية - كتبها بولس فى كورنثوس أو افسس سنة ٥٥ او ٥٨م

موضوع هذه الرسالة وقصد الرسول منها ان يثبت انه رسول حقيقى مبعوث من المسيح وليس من الناس . وانه لم ينقص عن الرسل شيئا ولم يكن مخالفا لهم أو أقل منهم علما . وان تعاليم الرسل الكذبة بحفظ الختان والرسوم الموسوية باطلة . لان البر لا يتحصل الا بالايمان بيسوع المسيح ، كما أثبت ذلك فى رسالته لأهل رومية ، من ثم اعتبر كثيرون هذه الرسالة بمنزلة خلاصة رسالة رومية لما بينها من المشابهة والمشاكلة فى العبارة والبينة ثم ختم الرسول هذه الرسالة بالحض على ترك افعال الجسد والتمسك باعمال الروح

(١٠) أفسس ـ كتبها بولس فى رومه سنة ٥٧ م

كتب بولس الرسول هذه الرسالة وهو أسير موثق بالقيود وضمنها الحض على الثبات فى الايمان ، وشرح سر التجسد واختيار الله المجانى وانتداب الامم الى الايمان . والتحذير من الجمع بين الانجيل والرسوم الموسوية . ثم واجبات الازواج والابناء والموالى والعبيد . وما يتعلق بالآداب العامة . والجهاد الروحى .

(١١) فيلبى ـ كتبها بولس فى رومة سنة ٦٢ م

ضمن القديس بولس هذه الرسالة حضه لأهل فيلبى على الثبات فى الايمان والصلاة ، وتحذيرهم من المعلمين الكذبة الذين كانوا يشركون بين الانجيل والناموس الموسوى ، وارساله أبفردتس اليهم بعد ابلاله من مرضه بهذه الرسالة ليطمئنوا عليه واظهار رغبته ان يبقى فى الجسد لمنفعة الكنيسة ، مع شرح مستفيض عن محبة المسيح وتواضعه فى أخـــذه طبيعة الانسان ، ثم مدحه لهم لاعتنائهم بحاجاته .

(١٢) كولوسى ـ كتبها بولس فى رومه سنة ٦٢ م

تتضمن ما خالج فؤاد الرسول من مزيد السرور لما علم بغيرة أهل كولوسى على الدين ، وصلاته من أجلهم ، وحثه اياهم على التمسك بتعاليم المسيح الذى فيه حل ملء اللاهوت وهو رأس الكنيسة وكل السلاطين السماوية ثم تحذيرهم من الرسل الكذبة الذين كانوا يعلمون بأن الخلاص هو من الملائكة لا من المسيح . وان الملائكة هم الوسطاء بين الله والناس . وتحريضهم على نبذ الفرائض اليهودية . واماتة شـــهوات الجسد . والعناية بالآداب والواجبات المسيحية .

(١٣) تسالونيكى الأولى ـ كتبها بولس فى كورنثوس سنة ٥٢ م

غرض الرسول من هذه الرسالة اظهار سروره لأهل تسالونيكى حيث

صاروا قدوة للكنائس التي حولها ، وعلة ارسال تيموثاوس اليهم وتعزيتهم فى موت الذين رقدوا بالمسيح من أهلهم . ثم حضهم على الثبات والكمال فى الايمان . وانتظار القيامة العامة ومجيء الرب.

(١٤) تسالونيكى الثانية ـ كتبها بولس فى كورنثوس سنة ٥٢ م

هذه الرسالة بمنزلة تتمة للرسالة الاولى وتتضمن تعزية الرسول لأهل تسالونيكى بسبب الضيقات التى اصابتهم . وتنبؤه بارتداد كثيرين عن الايمان . وعلامات ظهور الدجال . والحض على التيقظ والسهر والتمسك بالعيشة المسيحية الحقة . حتى لا يبغتهم مجيء الرب كاللص ليلا .

(١٥) تيموثاوس الأولى ـ كتبها بولس فى مكدونية أو رومه سنة ٦٤م

تتضمن وصية القديس بولس لتيموثاوس بأن يحذر من أصحاب البدع وأن يحسن القيام باعباء الجندية المقدسة وان يقيم الصلاة من اجل الولاة ثم يذكره بالصفات التى يجب أن يتصف بها من يرشحون للاسقفية ورتبة الشماسية ويخبره عن طرد هيمانوس والاسكندر من الكنيسة بسبب تجديفهما وارتداد بعض المؤمنين عن الايمان فى الازمنة الاخيرة .

(١٦) تيموثاوس الثانية ـ كتبها بولس فى رومه سنة ٦٥ و ٦٨ م

هذه الرسالة تشابه الاولى فحوى ومعنى من حيث أن بولس يذكر فيها واجبات الاسقف ويحث تيموثاوس على القيام باعباء وظيفته . ومواصلة القراءة والدرس . وملاقاة البلايا والمحن بلا خوف ولا وجل . والتحذير من اسكندر النحاس . والاهتمام بالمجيء اليه سريعا ومعه مرقس . ثم الانباء بقيام انبياء كذبة وبقرب انتقاله (بولس) من العالم

(١٧) تيطس ـ كتبها بولس فى نيكوبوليس او افسس سنة ٦٤م

فحوى هذه الرسالة يرادف فحوى رسالتى تيموثاوس لانها تضمنت حث تيطس على اقامة اساقفة فى كل مدينة توفرت فيهم الصفات والاخلاق التى يجب ان يتصف بها الاسقف ثم حض المسيحيين على الطاعة للولاة

والرؤساء وان كانوا وثنيين وان يوافيه (تيطس) الى نيكوبوليس لانه عزم ان يشتي هنالك .

(١٨) فليمون . كتبها بولس فى رومه سنة ٦١ م

تتضمن هذه الرسالة قصة خادم يقال له انيسيموس سرق امتعة سيده وهرب الى رومة فقيض له الله ان لقيه بولس فعلمه وعمده ثم رده الى سيده ومعه هذه الرسالة يستغفره فيها عن ذنب خادمه ويرغب اليه ان يعرض عن مؤاخذته .

(١٩) العبرانيين - كتبها بولس فى رومه سنة ٦٣ م

هذه الرسالة موجهة بنوع اخص الى العبرانيين الذين كانوا بأورشليم وتتضمن تفضيل الديانة المسيحية على الطقوس الموسوية . ورفعة المسيح الذى اشترع السنة الجديدة على الملائكة وعلى موسى الذى نزلت على يده الشريعة القديمة . وشرف كهنوت المسيح الممثل بكهنوت ملكيصادق على كهنوت هرون وذبائحه التى لم تكن إلا رمزاً وإشارة للذبيحة الجديدة . وموازنة ما كان فى العهد القديم وما صار فى العهد الجديد بمقابلة ورجحان هذا على ذاك . وتعزية المؤمنين من اليهود . وتصبيرهم على ما كانوا يلاقون من الاضطهاد والسلب من اخوانهم الذين لم يؤمنوا . ثم الحث على الثبات فى الايمان اقتداء بآباء العهد القديم . والاغراء بالمواساة واضافة الغرباء واجتناب التعاليم الفاسدة .

وهذه هى الرسالة الوحيدة التى لم يصرح الرسول باسمه فى صدرها ولا أبان عن شرف وظيفته كعادته فى سائر رسائله وذلك كما قال القديس اكليمنضوس (أنه لو دعا نفسه بولس لساء اليهود ذلك وكبر عليهم من حيث صار بولس بعدما كان شاول وانقلب شعوبيا رومانيا بعد أن كان يهوديا . ولو دعا نفسه شاول لظنه الشعوب يبغى التحول عنهم الى اليهود ويحاول الرجوع عن النصرانية إلى اليهودية ومن ثم استصوب السكوت

عن اسمه)

وقد كتب هذا الرسول أربع عشرة رسالة ضمنها من أساليب البلاغة والبيان مايعجز عن وصفه اللسان والجنان فكان اذا أطنب فى ايراد أدلته أبدع واذا أوجز أعجز

رسائل الكاثوليكون

سميت هذه الرسائل بالكاثوليكية اى العامة لانها لم ترسل الى كنيسة معينة بل ارسلت الى عموم المؤمنين لاسيما اليهود المؤمنين المتشتتين وهى سبع . واحدة منها ليعقوب الرسول واثنتان لبطرس وثلاث ليوحنا وواحدة ليهوذا .

(٢٠) يعقوب — كتبها يعقوب فى مدينة اورشليم سنة ٦١ م

تتضمن حض المسيحيين على احتمال التجارب . والاهتمام بالصلاة . والنهى عن المحاباة . وحفظ الايمان والاعمال . ووجوب الاعـــتراف . ودعوة قسوس الكنيسة للصلاة على المرضى ومسحهم بالزيت ليحصلوا على شفاء أنفسهم وأجسادهم

(٢١) بطرس الأولى — كتبها بطرس بين سنة ٦٣ و ٦٧ م

تتضمن الحث على الطهارة : والمحبة الاخوية . وممارسة كلمة الله والسهر فى الصلاة والصدقة وإضافة الغرباء . واجتناب شهوات الجسد . والصبر فى الاضطهاد . وقضاء الحقوق الزوجية . واهتمام الرعاة برعية المسيح لينال كل منهم اكليل الحياة

(٢٢) بطرس الثانية — كتبها بطرس بين سنة ٦٤ و ٦٨م

تتضمن الحث على ممارسة الواجبات المسيحية: وتجنيب المعلمين الكذبة الذين يهزأون بانتظار مجيء المسيح . ثم وصف زوال السماء والارض بأراجيف مخيفة . والثناء على رسائل القديس بولس أطيب ثناء

(٢٣) يوحنا الاولى — كتبها يوحنا فى افسس سنة ٩٨ م
تتضمن ايضاح حقيقة لاهوت السيد المسيح وناسوته وتحذير المؤمنين من الضلال وانكار كون يسوع هو المسيح وامتياز أولاد الله عن أولاد الشيطان

(٢٤) يوحنا الثانية — كتبها يوحنا فى افسس سنة ٧٠ م على ما يظن
كتبت هذه الرسالة لامرأة تدعى كيرية لتثبيتها هى وأبنائها فى المحبة والايمان . ولتحذيرها من مخالطة المضلين الذين يزرعون التعاليم الفاسدة (لاسيما باسليدس وأتباعه الذين لم يكونوا ينسبون للمسيح الا جسدا ظاهرا خياليا)

(٢٥) يوحنا الثالثة — كتبها يوحنا فى افسس سنة ٧٠ م على ما يظن
كتب يوحنا هذه الرسالة لرجل يدعى غايس . يمدحه لتقواه وثباته فى الايمان . ومواظبته على اضافة الغرباء والرأفة والاحسان ويثنى على ديمتريوس اطيب ثناء لكونه مسيحيا مشهودا له بالغيرة والوفاء . ثم يختتمها بأنبائه بالقدوم اليه قريبا

(٢٦) يهوذا — كتبها يهوذا بين سنة ٦٤ و ٦٦ م
تتضمن تحريض المؤمنين على الايمان والطهارة . وتجنب الذين يدنسون أجسامهم لئلا يصيبهم ما أصاب أهل سدوم وعموره . ثم يشير فيها الى نبوة أخنوخ عن مجيء المسيح . ومخاصمة ميخائيل رئيس الملائكة لابليس على جسد موسى .

(٢٧) الرؤيا — كتبها يوحنا بين سنة ٩٠ و ١٠٠ م
تنقسم محتويات هذا السفر الجليل إلى ثلاثة أقسام :
القسم الاول : يتضمن رؤيا يوحنا للسيد المسيح له المجد
القسم الثانى : يتضمن تحيته للكنائس السبع وهى افسس — وسميرنا

برغامس ـ ثياثيرا ـ ساردس ـ فيلادلفيا ـ اللاودكيين ـ وتحريضه إياها على الثبات فى الفضيلة

القسم الثالث : يتضمن حوادث الازمنة المستقبلة التى تتعلق بدين يسوع المسيح وانقضاء العالم

ثالثاً ـ الاسفار المحذوفة

أما الاسفار المحذوفة والتى تسميها بعض الكنائس المسيحية (الاسفار القانونية الثانوية) وبعضها تسميها (أسفار الابوكريفا) (١) فهى :

(١) سفر طوبيا (٢) يهوديت (٣) الحكمة (٤) ابن سيراخ (٥ و٦) المكابين الاول والثانى (٧) باروخ (٨) بعض قطع من سفرى دانيال وأستير .

(١) طوبيا ـ كتبه طوبيا

خلاصة هذا السفر أن رجلا يقال له طوبيا ، اشتهر بعمل الخير والاحسان . وكان له ابن يدعى طوبيا أيضا وامرأة تدعى حنة . واذ احس طوبيا الكبير بقرب أجله دعا اليه ابنه وارسله الى رجل يقال له غابيلوس ليستوفى منه وزنات الفضة التى كان أقرضه اياها . وبينما كان طوبيا يغسل رجليه فى النهر أثناء سفره هم حوت بابتلاعه فاستغاث بالملاك رافائيل الذى كان يرافقه فى زى انسان وطوبيا لم يعلم فخلصه الملاك وقتل الحوت وأخذ قلبه وكبده ومرارته واستأنفا سيرهما الى ان وصلا مدينة غابيلوس وهناك أوعز الملاك لطوبيا أن يتزوج من فتاة تمت اليه بصلة القرابة تدعى سارة ففعل . وبعد ذلك رجع طوبيا هو وامرأته إلى بيت أبيه ومعه

---

(١) الابوكريفا كلمة يونانية معناها خفى . وقد استعملت فى اوائل العصر المسيحى بمعنى حسن لانه قصد بها للدلالة على الكتب التى حوت تعاليم خفية لا يعرفها الا القليلون . وفى القرون الوسطى اطلقت هذه الكلمة على الكتب التى تحيط بها الشبهات والشكوك مع ان الآباء الاولين لم ينظروا اليها بهذا الاعتبار بل عنوا بكلمة (ابوكريفا) الاسفار غير المدرجة بين الاسفار القانونية فقط

مرارة الحوت . فأخذ أبوه من تلك المرارة ومسح بها عينيه فأبصر لانه كان ضريراً

(٢) يهوديت ـ كاتبه مجهول ونسبه بعضهم إلى يواكيم الحبر الاعظم

خلاصة هذا السفر . أن اليفانا رئيس جيش نبوخذنصر الملك زحف على اورشليم ليخربها . فلما شعر اليهود بذلك صاموا وصلوا إلى الله . وكانت حينئذ امرأة أرملة فاضلة جميلة تدعى يهوديت ، فتزينت وخرجت الى معسكر الاعداء ، فلما رآها اليفانا رحب بها واكرم مثواها وفى المساء شرب خمراً حتى سكر . فانتهزت يهوديت هذه الفرصة وقتلته وخلصت شعبها ومدينتها من الموت والعار

(٣) سفر الحكمة ـ يرجح ان كاتبه سليمان

ينقسم هذا السفر الى قسمين : ـ

الاول يتضمن ثناء طيبا على الحكمة الحقيقية التى هى الفضيلة ويحض الناس على التمسك بها

والثانى يتضمن امثالا يصف بها ما تؤتيه الحكمة من سعادة وما تجره الجهالة من التعاسة على ذويها

(٤) يشوع بن سيراخ ـ كتبه يشوع بن سيراخ

ينقسم هذا السفر إلى ثلاثة أقسام : ـ

الاول : يتضمن وصف الحكمة والثناء عليها

الثانى : ـ يتضمن مدح نوابغ اسلاف اليهود

الثالث : ـ يحض على محبة الحكمة والجد فى طلبها

(٥و٦) سفرا المكابين (١) الاول والثانى ـ كتبهما يهوذا المكابى

---

(١) مكابين من لفظة (مكبى) وهى رؤوس الكلمات العبرانية الآتية (مى كاموخا بالم يهوه) ومعناه (من مثلك بين الاقوياء يالله) وهذه العبارة هى شعار الدولة المكابية التى حكمت اسرائيل مئة وثلاث سنين

وخلاصة هذين السفرين ـ أن الملك انطيوخوس الذى تولى سورية سنة ١٧٥ ق . م لما زحف على أورشليم وسلب الهيكل ودنسه : وأحرق الكتب المقدسة ، وأقام التماثيل على مذبح الله وأمر الشعب اليهودى أن يسجدوا لها . وامتلأ متيتا الكاهن غيرة لله وجند جيشا عظيما من اليهود وقاتل بجيش الملك انطيوخوس . ولما مات متيتا خلفه أولاده واحداً بعد واحد ، واستمرت دولتهم تحكم اسرائيل مئة وثلاث سنين .

(٧) باروخ ـ كتبه باروخ

رجح العلماء أن باروخ هذا هو نفس باروخ كاتب ارميا ، وهو يمثل فى سفره أورشليم أرملة ثكلى تبكى بنيها وتتوجع لأسرهم واستعبادهم ، ثم يحض شعبه على الصبر والاحتمال ، معلنا لهم أن الحكمة الحقيقة انما هى فى حفظ شريعة الله والعمل بها

(٨) بعض أجزاء من سفرى دانيال واستير

كتسبحة الثلاثة فتية القديسين وقصة سوسنة وغيرهما

٭ ٭ ٭

٣ ـ الكنائس التى لاتعتقد بقانونية هذه الاسفار

أما الكنائس التى لاتعتقد بقانونية هذه الأسفار فهى الكنائس البروتستانتية ، فكلفن وانصاره رفضوها رفضا باتا . ولوثر قال انها لاتحسب فى مستوى واحد مع الاسفار المقدسة ولكنها صالحة للتعلم ورغب كثيراً ان يجمد سفر المكابين مع الاسفار القانونية . والكنيسة الانكليكانية تعتبرها ذات قيمة تاريخية ولكنها لم تعطها أى قيمة عقائدية ويبنون حجتهم فى رفض هذه الاسفار على ثلاثة أسباب :

(أولا) أن الامة اليهودية لم تضم هذه الأسفار ضمن الأسفار القانونية (ثانيا) أن كتبة العهد الجديد لم يستشهدوا بعبارة من هذه الأسفار (ثالثا) أن الكنيسة فى الاجيال الاولى لم تجعل لهذه الاسفار محلا للقبول مثل الاسفار الاخرى

الرد

(١) فنرد على السبب الاول بأن الداعى لعدم ضم اليهود هذه الاسفار فى سلك قانونهم هو ان عزرا والانبياء الذين كانوا معه لما نظموا قانون الاسفار المقدسة سنة ٥٣٤ ق . م لم ينظموا فى ذلك القانون إلا ما كان مكتوبا باللغة العبرانية فقط أما الاسفار التى كانت مكتوبة بغير العبرانية والاسفار التى كتبت من بعد ذلك العصر فلم تنتظم فى ذلك القانون لعدم ظهور أنبياء بين اليهود يخلف احدهم الآخر كما كان فى زمن عزرا وقبله غير ان تلك الاسفار كانت معتبرة عند اليهود ومصدقة . قال يوسيفوس المؤرخ (ان الاسفار التى وضعت بعد ايام ارتحشستا الملك كانت بمكانة عند اليهود غير انها لم تكن عندهم مؤيدة بالنص تأييد الاسفار القانونية . لان تعاقب الكتبة الملهمين لم يكن عندهم فى تمام التحقيق) هذا فضلا عن ان الترجمة السبعينية التى عملت فى الاسكندرية فى عهد بطليموس الثانى شهدت على ان اليهود نظموا هذه الاسفار ضمن اسفارهم القانونية . ومن ثم حوت الترجمة المذكورة كل الاسفار التى رفضها البروتستانت كما يتضح من النسخة المخطوطة فى مكتبة لندن .

قال ارسطوس المؤرخ وارسطوبولس اليهودى انه بعد ان فرغ الاثنان وسبعون شيخا من الترجمة تلوها حسب طلب ديمتريوس فاليروس الذى كان مديراً لمكتبة الملك فى الاسكندرية فى محضر حافل من كهنة اليهود ومشايخهم وعامتهم من كانوا فى مصر فاثبتها الجميع وشهدوا بصحة نقلها وضبطها ودعوا على من يزود شيئا او يغير شيئا منها . اما الاسفار التى لم تكن قد

كتبت بعد فسفرى المكابين فقد ترجمت فيما بعد من علماء اليهود الذين كانوا يتكلمون باليونانية فى جهة مصر ثم ضمت الى الترجمة السبعينية . وقد كانت هذه الترجمة من اهم الوسائط التى استخدمها الله فى حفظ كتاب العهد القديم نقيا خاليا من التحريف والتصحيف الجوهرى والعرضى اى المعنوى واللفظى ومنع الامة اليهودية من العبث فيما يختص بالنبوات المتعلقة بمجىء المسيح له المجد كما انها اعدت الامم الاخرى الى قبول الانجيل وفتحت لهم الى الايمان اقوم سبيل اذ استطاع ان يقرأها اليهودى والاممى على حد سواء . فوجد فيها كلاهما إلها بارا وشخصا عظيما موعودا به

(٢) ونرد على السبب الثانى بأن الاستشهاد بأسفار العهد القديم وايراد أقوالها فى اسفار العهد الجديد من السيد المسيح ورسله ليس بدستور مطرد لتميز الاسفار القانونية من غير القانونية . لان ايراد آية بلفظها او بمعناها من اى سفر كان ليس بحكم صريح بقانونيته ولا بدليل على ان غيره ليس بقانونى . فالمسيح ورسله لم يستشهدوا بأسفار أستير والجامعة ونشيد الانشاد وراعوث والقضاة وسفرى الايام الاول والثانى . ومع ذلك سلمت الكنيسة بقانونية هذه الاسفار واعتبرتها اسفارا مقدسة . فاذاً عدم استشهاد السيد المسيح ورسله بالاسفار المحذوفة ليس بدليل قاطع على عدم قانونيتها . على اننا لو بحثنا بتدقيق لوجدنا ان المسيح ورسله كثيرا ما ذكروا بعض معان وردت فى الاسفار المحذوفة كسفر الحكمة وابن سيراخ وطوبيا والمكابين . ومن ذلك ما جاء فى سفر طوبيا وهو (وكل ما تكره ان يفعل بك لا تفعله انت بأحد ٤ : ١٦) وهذا يشابه قول السيد المسيح وهو (كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضا بهم مت ٧ : ١٢) وقول ابن سيراخ وهو (ومن الناس من يستغنى ويقول لقد وجدت نفسى راحة فآكل الآن من خيراتى . وهو لا يعلم ان الموت يأتى فيموت ويخلف كل شىء لغيره) وهذا يشابه ما رواه لوقا الانجيلى عن ذلك الغنى

وهو(اقول لنفسي يانفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحي وكلي واشربي وافرحي . فقال له الله ياغبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي اعددتها لمن تكون) لو ١٢ : ١٩ .

(٣) اما السبب الثالث فنرد عليه بشهادة الآباء الأول الذين اثبتوا قانونية هذه الأسفار وادرجوها ضمن الأسفار المقدسة .

« سفر يهوديت » : نظمه فى سلك الاسفار المقدسة القديس اقليموس الرومانى فى القرن الاول والقديس اقليموس الاسكندرى . واوريجانوس وترتوليانوس فى القرن الثالث والقديس أمبروسيوس فى القرن الرابع والقديس أوغسطينوس فى القرن الخامس .

(سفر ابن سيراخ) : نظمه أقليموس الاسكندرى وأوريجانوس وترتوليانوس وكبريانيوس فى القرن الثالث وأثناسيوس وباسيليوس وأفرآم وأبيفانيوس وأمبراسيوس فى القرن الرابع وأغسطينوس فى القرن الخامس .

(سفر الحكمة) : نظمه أيريناوس فى القرن الثانى وأقليموس الاسكندرى وأوريجانوس وترتوليانوس وكبريانيوس فى القرن الثالث وأوسابيوس القيصرى وباسيليوس وايلاريوس وأبيفانوس فى القرن الرابع

(سفر طوبيا) : نظمه أقليموس الاسكندرى وكبريانوس وأريجانوس فى القرن الثالث وأيرنيموس وباسيليوس فى القرن الرابع وأغسطينوس فى القرن الخامس .

(سفر باورخ) : نظمه أوسابيوس القيصرى وأثناسيوس وباسيليوس وكيرلس الاورشليمى ويوحنا فم الذهب.

(سفرا المكابين) : نظمهما أقليمس الاسكندرى وأوريجانوس وترتوليانوس وكبريانوس فى القرن الثالث وأغسطينوس فى القرن الخامس

وفوق ما ذكر فان ترتيب قراءة بعض الفصول من هذه الاسفار فى الكنيسة منذ زمن بعيد فى أسبوع الآلام وغيره دليل قاطع على اعتراف الكنيسة بقانونية هذه الاسفار وانها أسفار جديرة بالتأمل والاعتبار لما تضمنته من جليل التعاليم وتاريخ الشعب اليهودى خصوصا سفرى المكابيين وسفر الحكمة وابن سيراخ .

قال العلامة صاحب كتاب ذخيرة الالباب (فان كنا نعتبر كتب المؤلفين الاقدمين الدنيويين صحيحة وذلك لان قوما كثيرين أم قليلين شهدوا بذلك وقد اتصلت بنا شهادتهم بسبيل النقل فلمَ نأبى ان نجعل هذه الاسفار المقدسة فى حكم الكتب المذكورة وقدشهد لنا بصحتها قوم ثقات اشتهروا بصدقهم وامانتهم .

٤ — (اعتراضات الملحدين على صدق الكتاب المقدس (والرد عليها)

يعترض الملحدون على صدق الكتاب المقدس بدعوى انه وردت فيه امور تدل على عدم ارشاد الله الذين كتبوه ومن ذلك أنهم : —

أولا — اعترفوا فى أسفارهم بانهم كانوا يكتبون من تلقاء أنفسهم . وليسوا تحت ارشاد الروح القدس . كقول بولس الرسول « الذى أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب» (٢ كو ١١ : ١٧) .

ثانيا — كتبوا اموراً تدل على الريب والشك كقول لوقا الانجيلى عن ربنا « وهو على ما كان يظن أنه ابن يوسف » لو ٣ : ٢٣ وقول يوحنا عن الاجران « يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة » يو ٢ : ٦ .

ثالثا — جاءت فى أسفارهم أوامر ووصايا يصعب عملها ويستحيل انجازها منها (١) أمر الله لاشعياء النبي أن يمشى معرى اش ٢٠ : ٢ (٢)أمره تعالى أيضا لحزقيال أن يتكىء على جنبه الايسر ٣٩٠ يوما (حز٤: ٤)

رابعا — أدخلوا إلى أقوالهم مايؤيد رأى الماديين كقول صاحب الجامعة (لان ما يحدث لبنى البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم . موت

هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للانسان ميزة على البهيمة لان كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد . كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما من يعلم روح بنى البشر هل هى تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هى تنزل إلى أسفل الى الارض) « جا ٣ : ١٩ — ٢٢ »

خامسا ـ وردت فى رواياتهم أقوال كثيرة يناقض بعضها بعضا

(ورداً على هذه الاعتراضات الكاذبة نقول) . —

أولا — الرد على الاعتراض الاول . ان هذه الآية . لاتدل على ان الرسول كتب أقواله من تلقاء نفسه . حاشا وكلا لاننا لو راجعنا الآيات السابقة لهذه الآية لوجدناه امتدح عمله مكرها من الرسل الكذبة وبما ان المدح لايوافق تعاليم ربنا فمن ثم قال (الذى اتكلم به لست اتكلم به بحسب الرب ٢ كو ١١ : ١٧) أى وما أقوله من امتداح نفسى فعلى ظاهر الامر يعتبر أنه مغاير لتعليم ربنا الذى يعلمنا الاتضاع بالقول والعمل .

ثانيا — الرد على الاعتراض الثانى ان العبارات التى يفهم فيها الملحد ظاهرة التردد ليس فيها مايتوهم الخطأ . ولا مما يشين الوحى فى شىء لانها نوع من أنواع التعابير المعروفة عند الناس وقد اعتاد جل شأنه ان يجارى الناس فى عاداتهم وتعابيرهم المألوفة عندهم فضلا عن أن هذه العبارة فى الحقيقة لاتفيد الريب ولكن الرجحان . لان معنى قوله (وهو على مايظن انه ابن يوسف) أى ان الناس كانوا يظنون او يرجحون انه ابن يوسف

اما معنى الاية الثانية وهى (يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة) اى ان هذه الاجران كان يسع الواحد منها اكثر من مطرين واقل من ثلاثة . وليس فى ذلك مايعيب كلام الوحى ويخرجه عن الحقيقة .

ثالثا — الرد على الاعتراض الثالث الذى يعتبرونه دالا على امور يستحيل عملها وانجازها . وهو الذى استنتجوه خطأ من أمر الله لاشعياء ان يمشى معرى (اش ٢٠ : ٢) وأمره لحزقيال أن يتكىء على جنبه الايسر

٣٩٠ يوما (حز ٤٠ : ٤)

فمعنى امره لاشعياء ان يمشى معرى اى انه يخلع كل ملابسه ولا يرتدى سوى قميص واحد او شعار(١) وليس فى ذلك غرابة البتة لانه لباس اكثر القرويين الفقراء فى بلاد الشرق خصوصا فى وقت العمل . حيث يكتفون بستر استاهم (اوساطهم) ويتركون سائر اعضائهم عارية والمقصود بهذا العمل بيان كون ملك اشور سيسوق أسرى مصر وكوش هكذا وذلك مما يقطع رجاء اليهود من طلب المساعدة منهم .

أما أمره لحزقيال ان يتكىء على جنبه الايسر ٣٩٠ يوما فقد اجمع علماء الكتاب عموما واليهود خصوصا على ان النبى كان يتكىء اثناء النهار فقط حتى يراه الناس أما فى الليل فكان يتحرك وينتقل من مكان الى آخر. وقد اراد الله بفعل حزقيال هذا ان يمثل لليهود تمثيلا حسيا ما سوف تؤول اليه حالتهم من التعاسة والشقاء فى السبي البابلى .

مع العلم أنه اذا كان يوجد فى الكتاب المقدس بعض مسائل تصعب على عقولنا البشرية المحدودة اذ تراها بعيدة عن احكامها الضعيفة فلا يجب ان نتخذها حجة لانكارها . لان كل مسألة أو قضية وجدت فى ذلك الكتاب غير واضحة للعقل ينبغى ان نضعها مابين قضايا كثيرة لم ندركها مع اننا نسلم بصحتها . فاذا كنا لم ندرك اشياء كثيرة من هذا العالم المخلوق فهل يكون عجيبا اذا لم ندرك بعض قضايا تختص بالخالق.

رابعا — الرد على الاعتراض الرابع الذى يظنون فيه باطلا أنه يؤيد رأى الماديين ـ أن هذه الاقوال الواردة فى سفر الجامعة ليست لها أدنى صلة بالمذهب المادى لان مدارها على الجسد الهيولى الذى يشترك فيه الانسان والحيوان معا . والانحلال الذى يحدثه الموت فى العناصر التى يتركب منها ذلك الجسد . أما الروح فقد صرح صاحب هذا السفر نفسه ونوه

---

(١) كل مايلى الجسم من الثياب فهو شعار

ببقائها حية من بعد انحلال الجسد فى ذات سفر الجامعة حيث قال (فيرجع التراب إلى الارض كما كان وترجع الروح الى الله الذى اعطاها)جا ١٢ : ٧

خامساً — الرد على الاعتراض الخامس المبنى حسب زعمهم على النصوص المناقضة بعضها بعضا . غير انه يحسن اولا ذكر تلك النصوص بالتوالى . ثم تعقيبها بالرد على كل منها وهاك هى : —

١ — ان ماجاء فى (تك ١١ : ٢٦) يناقض ماجاء فى (تك ١١ : ٣٢) لانه واضح من النص الاول (ان تارح عاش سبعين سنة . وولد ابرآم وناحور وهاران) ثم توفى وعمر ابراهيم ٧٥ سنة (اع ٧ : ٤) وعلى ذلك يكون عمر تارح ١٤٠.٥ سنة مع انه ثابت من النص الثانى (تك ١١ : ٣٢) ان ايام تارح كانت ٢٠٥ سنين (فالفرق بين القولين ستون سنة)

٢ — وان ماجاء فى سفر الخروج عن مدة غربة بنى اسرائيل يناقض ماجاء عنها فى سفر الاعمال . فالاول يذكر انها كانت ٤٣٠ سنة (خر ١٢ : ٤) واما الثانى فيذكر انها كانت (٤٠٠ سنة فقط اع ٧ : ٦)

٣ — وان ماجاء فى سفر العدد عن الذين ماتوا بالوبأ يناقض قول بولس الرسول الوارد فى رسالة كورنثوس الاولى حيث ذكر الاول أنهم (كانوا ٢٤ الفا عدد ٢٥ : ٩) وذكر الثانى أنهم (كانو ٢٣ الفا ١ كو ١٠ : ٨)

٤ — وأن ماجاء فى سفر صموئيل الثانى (٢٤ : ٩) عن عدد بنى اسرائيل يناقض ماجاء فى سفر الايام الاول (٢١ : ٥) حيث ذكر الاول أنهم كانوا (٨٠٠ الف رجل وأما الآخر فذكر انهم (كانوا الف الف ومائة الف)

٥ — وان ماجاء فى صموئيل الثانى (١٠ : ١٧) يناقض ماجاء فى سفر الايام الاول (١٩ : ١٨) حيث قيل فى الاول (ان داود قتل من آرام ٧٠٠ مركبه) . وقيل فى الثانى (انه قتل ٧٠٠٠ مركبه)

٦ — وان ما جاء فى صموئيل الثانى (٢٤ : ١) يناقض ما جاء فى سفر الايام الاول (٢١ : ١) حيث قيل فى الاول « ان الله القى فى قلب داود ليعد الشعب » . وقيل فى الثانى « ان الشيطان اغوى داود ليعد الشعب »

٧ـ وأن ما جاء فى الملوك الاول « ٤ : ٢٦» يناقض ما جاء فى سفر الايام الثانى « ٩ : ٢٥ » حيث ذكر الاول (انه كان لسليمان ٤ . الف مذود لخيل مركباته) وذكر الثانى انه كان لسليمان . . . ٤ مذود.

٨ — وان ماجاء فى سفر الملوك الثانى (٢٤ : ٨) يناقض ما جاء فى سفر الايام (٣٦ : ٩) حيث قيل فى الاول (ان يهوياكين الثانى كان عمره ١٨ سنة حين ملك . وقيل فى الثانى (ان عمره كان ٨ سنين)

٩ — وان نسب السيد المسيح الوارد فى انجيل متى ١ : ١ — ١٧ يناقض نسبه الوارد فى لوقا « ٣ : ٢٣ — ٣٨ » حيث قيل فى الاول « يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم » وقيل فى الثانى « يسوع المسيح بن يوسف بن هالى ».

١٠ — وأن ما جاء فى متى « ١٧ : ١ » يناقض ما جاء فى (لوقا ٩ : ٢٨) حيث ذكر الاول أنه (بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وذكر الثانى أنه (بعد ثمانية أيام أخذ بطرس واخوته)

١١ — وأن ماجاء فى (مت ٢٨ : ١) عن ذهاب النساء الى قبر السيد يوم قيامته يخالف ما رواه الانجيليون الآخرون . حيث عبر عنه متى بقوله (وبعد السبت عند فجر اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية مت ٢٨ : ١) وعبر عنه مرقس بقوله (باكر جدا فى اول الاسبوع .. اذ طلعت الشمس مر ١٦ : ٢) وعبر عنه لوقا بقوله (أول الاسبوع اول الفجر لو ٢٤ : ١) وعبر عنه يوحنا بقوله (جاءت مريم المجدلية الى القبر باكر والظلام باق

يو ٢ : ١)

١٣ -- وان ما جاء فى سفر الاعمال « ٩ : ٧ » يناقض ما جاء فى « ٢٢ : ٩ » من هذا السفر -- حيث قيل فى الاول (واما الرجال المسافرون معى فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً اع ٩ : ٧) وقيل فى الثانى (والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى اع ٢٢ : ٢٩)

هذه اشهر واعظم اعتراضات الملحدين على صدق الكتاب المقدس وهى اعتراضات واهية . ضعيفة سخيفة . لا يعتد بها لانها لم تتناول عقيدة من العقائد . ولم تمس قانونا فى الايمان والاعمال ولم تغير حكما من الاحكام اذ لم تخرج عن كونها اعداداً زادت فى رواية . ونقصت فى أخرى لاسباب صحيحة صادقة ستقف عليها فيما يلى :

وانا لو تأملنا بعين الحكمة والروية . لعلمنا أن وجود مثل هذا الشبه الخلافية فى الاسفار الالهية لاتؤخذ دليلا على كذبها وبطلانها . بل بالعكس تبرهن على نزاهتها وخلوها من الغش والتلفيق لان الغاش الملفق مهما بلغت منه البلاهة والسذاجة لابد وأن يحتاط لنفسه فى صغير الامور وكبيرها . حتى لايظهر غشه وخداعه لاسيما فى امور كهذه لاتخفى على أجهل الناس علما وقد كان فى وسعه ان يتلافاها لولا انها هكذا انزلت وهكذا نطق بها روح الله على افواه الكتبة الملهمين .

(واليك دفع تلك الشبه)

(١) ندفع شبهة الخلاف الأول -- بأن معنى ما قيل فى (تك ١١ : ٢٦) ان تارح عاش سبعين سنة وولد ابرام وناحور وهاران -- أى انه ولد هؤلاء الاولاد الثلاثة بعد ان بلغ سن السبعين وبما انه لم يعين زمن ولادة اولاده الثلاثة ويبعد عن الظن أن الثلاثة ولدوا فى يوم واحد أو سنة واحدة فليس هناك مانع من ان يكون بين الاكبر والاصغر ستون سنة أما كون

ابراهيم ذكر أولا مع أنه هو الاصغر فذلك لشهرته وسمو مقامه .

(٢) وتندفع شبهة الخلاف الثانى بان الاربعمائة وثلاثين سنة (مدة الاستعباد) تبتدىء من دعوة ابراهيم وتنتهى بخروج بنى اسرائيل من أرض مصر . أما الاربعمائة سنة فتبتدىء من ولادة اسحق وتنتهى بخروج بنى اسرائيل من أرض مصر .

(٣) وتندفع شبهة الخلاف الثالث « بأن الذين ماتوا بالوبأ جميعا كانوا ٢٤ الفا » كما جاء عنهم فى سفر العدد غير أنهم لم يموتوا كلهم فى يوم واحد بل ماتوا فى أيام متوالية أما بولس الرسول فلم يعن إلا بذكر الذين ماتوا فى اليوم الاول فقط لكثرتهم وترك الاخرين . وهذا واضح من قوله «فسقط فى يوم واحد ثلاثة وعشرون الفا »

(٤) وتندفع شبهة الخلاف الرابع بان الفرق بين عدد اسرائيل الوارد فى صموئيل الثانى ٢٤ : ٩ وبين العدد الوارد فى سفر الايام الاول ٢١ : ٥ هو هو أن الاول ذكر العسكر وترك القواد أما الثانى فذكر العسكر والقواد معا (أنظر ١ أى ٢٧)

(٥) وتندفع شبهة الخلاف الخامس « وهو أن كاتب سفر صموئيل ذكر بان داود قتل من آرام ٧٠٠ مركبة وسفر الايام ذكر أنه قتل ٧٠٠٠ مركبة » بان سفر صموئيل قصد بالمركبة الذين فيها وكان فى كل مركبة عشرة أنفار

(٦) وتندفع شبهة الخلاف السادس وهو « أن كاتب سفر صموئيل ذكر أن الله ألقى فى قلب داود ليعد الشعب . وكاتب سفر الايام نسب ذلك العمل لاغواء الشيطان . بان الذى أغوى داود حقا هو الشيطان ولكن سفر صموئيل نسب العمل لله مجازاً ليدل على انه لايقع شىء فى العالم الا باذنه وسماحه (أنظر اش ٤٥ : ٧)

(٧) وتندفع شبه الخلاف السابع وهو (أن سفر الملوك الاول ذكر أنه كان لسليمان (٤٠ الف مذود) وصاحب سفر الايام ذكر أنه كان له (٤٠٠٠

مذود) بأن المذود المذكور فى سفر الايام كان كبيراً بحيث يسع عشرة رؤوس من الخيل (كما يشاهد ذلك النوع كثيراً فى زرايب الدوائر الكبيرة)

(٨) وندفع شبهة الخلاف الثامن وهو (أن سفر الملوك ذكر بأن يهوياكين ملك وهو ابن ١٨ سنة وسفر الايام ذكر أنه كان ابن ٨ سنين) بان يهوياكين لما كان عمره ٨ سنين أشركه والده فى الحكم ليدربه على السياسة والادارة ولكنه لم يملك رسميا الا بعد أن بلغ ١٨ سنة.

(٩) وندفع شبهة الخلاف التاسع وهو أن نسب السيد المسيح الوارد فى انجيل (متى ١ : ١) يناقض نسبه الوارد فى انجيل (لوقا ٣ : ٢٣) بان متى ذكر نسب يوسف ولوقا ذكر نسب مريم ليوضحا أن السيد المسيح تناسل حسب الجسد من داود ليس من جهة يوسف خطيب مريم فقط . بل من جهة مريم أمه الحقيقية.

(١٠) وندفع شبهة الخلاف العاشر وهو « ان انجيل متى ذكر بأنه بعد ستة ايام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا واما لوقا فذكر انه بعد ثمانية ايام أخذ بطرس واخوته » بأن لوقا حسب فرق الايام الستة يوم الانباء ويوم التجلى واما متى فذكر المدة التى بين هذين اليومين فقط وترك يومى الانباء والتجلى.

(١١) وندفع شبهة الخلاف الحادى عشر وهو ان ماورد فى متى عن ذهاب النساء الى قبر السيد يوم قيامته يخالف مارواه الانجيليون الاخرون « بأن بعض الانجيليين ذكر وقت اعداد النساء للطيب وخروجهن من بيوتهن لزيارة القبر . وبعضهم ذكر وصول اولئك النساء للقبر.

(١٢) وندفع شبهة الخلاف الثانى عشر، وهو الخلاف بين روايتى بولس الرسول الواردتين فى سفر الاعمال، حيث قيل فى الاولى « وأما الرجال فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ـ وقيل فى الرواية الثانية « ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى » بان المراد (بالصوت) فى الرواية الاولى هو صوت

بولس نفسه أما المراد (بالصوت) فى الرواية الثانية فهو صوت السيد المسيح الذى كان يكلمه .

ويحسن بنا ان نختم هذا البحث بما قرره القديس اغسطينوس فى رسالته التاسعة عشرة لايرونيموس حيث قال (انى قد تعلمت ان اسدى الورع والاحترام لتلك الكتب التى تسمى قانونية . حتى انى اؤمن مصدقا ان الذين كتبوها لم يغشوا فى شىء مما كتبوه . واما ان كنت الاحظ ان فى تلك الكتب موجود شىء يظنونه مناقضا فانى ان أرى شيئا آخر فى ذلك سوى انه قد يكون وقع سهواً من الناسخ . او ان المترجم لم يفهم معنى ما قد قيل . او انى انا لم افهم ذلك.



الباب الثانى

فى

الاتفاق بين العلم وكلام الوحى الالهى

أو

شرح الاصحاح الاول من سفر التكوين(١)

تمهيد — يزعم بعض الناس أن ما أظهره العلم من الاكتشافات الحديثة يخالفه ما رواه سفر التكوين عن الخليقة واصل الحياة وحداثة الانسان ووحدة الذرية البشرية والطوفان . ومن ثم ينظرون الى ما ورد فى الكتاب عن هذه الامور نظرة المستريب المتشكك . والحال ان الحقيقية على عكس مايتصورون . لان جل ما اظهره العلم حديثا يطابق كل المطابقة لما ورد فى الكتاب المقدس ولم يخالفه فى شيء يذكر وقد كان خليقا باؤلئك القوم اذا عثروا على شيء فى الاكتشافات الحديثه يلوح عليه بادىء ذى بدء أنه مناقض لرواية الكتاب ، أن يعزوا ذلك لضعف العقل البشرى وجهالته . لا لمباينة أحدهما للاخر ، لا سيما وأن علماء الجيولوجيا لم يصلوا حتى الآن إلى معرفة هذا العلم معرفة كاملة لأنه علم واسع النطاق بعيد المنال . وأن معظم علمائه كثيراً ما يستندون فى معرفته بالاستدلال من بعض الرسوم القديمة العهد فيحكمون على الماضى بما يرونه فى الحاضر وتلك قواعد

---

(١) ان الذى حدا بنا لشرح هذا الفصل هنا هو شدة علاقته بصحة الكتاب المقدس ومساسه بالآراء الطبيعية

بنى أكثرها على الحدس والتخمين لا على التأكيد واليقين

ومما لا جدال فيه أن الكتاب المقدس لم يوضع لطبقة الفلاسفة فحسب ولكنه وضع لسائر الطبقات وأن موسى لم يبعث بكتابه لاناس متعلمين بل لقوم سذج ليس له أن يخاطبهم بلهجة العلماء واصطلاحاتهم العلمية . لأن ذلك يسمو عن عقولهم وإفهامهم . لاسيما وأن قصد كتاب الله الاسمى . ليس البحث فى علمى الهيئة والجيولوجيا ولكن هداية الأنفس وخلاصها .

ومن ثم إذا خيل لنا أثر خلاف بين العلم والوحى فى شيء ما فلا ندع الشك يتسرب إلى إيماننا فى صدق كتاب الله ، بل نوقن أن هذا الخلاف لم يتجاوز الظاهر فقط ، وهو أثر من آثار الجهل البشرى ، وأن الأمور الطبيعية التى تبدو لنا أنها مضادة للكتاب ليست فى الحقيقة دليلا على عدم صدقه . بل غالبا تكون هى غير صادقة ، وأنها فى حاجة شديدة للاثبات ، لأن كل ما هو صحيح فى الطبيعة هو موافق للوحى ومطابق لما أعلنه الله فى كتابه بلا محالة لأن اليد التى كونت المخلوقات هى نفسها التى كتبت الاعلانات الالهية .

أما أكبر مشكلة فى تكوين العالم فهى ما ذهب اليه العلم والكتاب فى مدة الخليقة ، فالعلم يعتقد أن الأرض كانت مائعة مشتعلة ثم بردت وأصبحت جامدة ، تصلح لظهور الحياة الآلية على سطحها وذلك يستغرق ألوف السنين . ثم يقول أيضا أن المدة التى مضت منذ ظهور الموجودات الآلية على الأرض أول مرة حتى وجود الانسان تتجاوز حدود الحساب

أما الكتاب فيقول أن الأرض وما عليها خلقت فى ستة أيام . ومن ثم يتصور الذين يأخذون الأمور على ظاهرها أن هوة الخلاف بين العلم والكتاب لا حد لها .

غير أن هذا الخلاف الذى يعظمونه لتلك الدرجة الفائقة لا يلبث

أن يزول متى علمنا أن كلمة (يوم) (١) فى رواية الخليقة لا يقصد بها ٢٤ ساعة . ولكن مدة غير معينة قد تحتمل مئات وألوف السنين وقد جرى الكتاب على هذا الاصطلاح ليس مرة أو مرتين . بل عدة مرات : منها قوله (هذه مبادىء السموات والارض حين خلقت (يوم) عمل الرب الاله الأرض والسموات . تك ٢ : ٤)

ولا يخفى أن كلمة (يوم) فى هذا النص لا يشار بها إلى ٢٤ ساعة بل إلى زمن الخليقة كله . فما وصفه أولا بأنه تكون فى ستة أيام عاد فوصفه بأنه تكون فى يوم واحد . وكذلك قوله (أنت إبنى وأنا (اليوم) ولدتك مز ٢ : ٧) ولا ريب أن كلمة (يوم) هنا لاتدل على ٢٤ ساعة ولكن تتناول الابدية والازلية معا ، فاذا أخذنا بهذا الشرح وهو صحيح غير ملفق لكان العلم يتفق مع الكتاب فى هذه النظرية اتفاقا عجيبا .

نعم لا ينكر ان فريقا من المفسرين يعتقدون فى كلمة (يوم) الواردة فى رواية الخليقة انها ٢٤ ساعة : وان الارض وما فيها من الطبقات المختلفة التى تستغرق الوف السنين فى تكوينها ، تكونت فى ستة أيام بقوة الله الفائقة التى لايعجزها شىء من الاشياء كما اعتقد فريق آخر أن الخليقة لم تتكون فى ستة أيام بل فى وقت واحد ويوم واحد ، مستندين فى ذلك على قدرة الله التى تستطيع أن تصنع كل المخلوقات خلوا من آلة وتعبه وبغير اطالة زمن ، بل بمجرد أمر ارادته فقط . على أنه وان كان تكوين العالم فى ستة أيام أو يوم واحد ، حسب الرأيين الثانى والثالث يدل على قدرة الله السامية . فان تكوينه فى الوف السنين حسب الرأى الاول يدل على ازليته التى لاحد لها وبذلك تعتبر كل الآراء عاملة على تمجيد الخالق وتعظيمه .

---

(١) قد أجمعت معاجم اللغة على أن اليوم يراد به اليوم الفلكى كما أنه يراد به الوقت مطلقا

وهاك شرح رواية الخليقة بحسب ما وردت فى الكتاب وتطبيقها على ما جاء به العلم الحديث.

قال الكتاب « فى البدء خلق الله (١) السموات والارض » تك ١:١
(فى البدء) أى البدء المختص بزمان المحسوسات وهو أول أمر التكوين أو خلقة الكائنات.

(خلق الله السموات والارض) ارتأى العلماء فى شرح هذه الآية جملة آراء واشهرها رأيان . أحدهما . أن هذه الآية تشير إلى التكوين الاصلى للمادة الذى سبق تركيب الارض من لاشىء وخلقة مايسكنها من الموجودات الحية . والآخر أن هذه الآية هى عبارة عن عنوان أو خلاصة لما أزمع موسى أن يرويه عن عمل الايام الستة . أى أنه أورد أولا بالاجمال ماصنعه الله . ثم أخذ بعد ذلك بتفصيله. وقد قدمت السموات على الارض لانها خلقت قبلها بما فيها من الكائنات السامية الروحية . وهم الملائكة ورؤساء الملائكة الذين وان كان الكتاب لم يعين يوم خلقتهم اسوة بغيرهم من الكائنات الارضية لئلا يفضى ذلك ببنى اسرائيل الى الوثنية التى كانوا مائلين اليها . والتى كان أخص قصد موسى إبعادهم عنها . لانه لو ذكر الكتاب خلقة الملائكة فى اليوم الاول لظن بنو اسرائيل أن الضمير فى قوله تعالى « هوذا الانسان قد صار كواحد منا » لايعود على الاقانيم الالهية لعدم معرفتهم تلك العقيدة وقتئذ ؛ بل يعود على الملائكة فيعبدونهم الا ان علماء الكتاب أجمعوا على ان الملائكة خلقوا فى اليوم الاول أو قبل تكوين العالم . أما بوقت وجيز أو بعيد (أنظر أى ٣٨:٧)

---

(١) الله سبحانه وتعالى ليس له اسم علم حتى يقال (فلان) بل يعرف بصفاته كالخلق ، قال ديكارت الفيلسوف الفرنسى فى تعريف الله (ان لفظة الله) ان لفظته بها فانما اعنى بها ذات لانهاية لها ازلية دائمة مستقلة عالمة بكل شىء وانى أنا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها وناتجة منها

قال القديس اغسطينوس مخاطبا العزة الالهية (أجد شيئين صنعتهما خاليين من الازمنة وهما « الهيولى الاولى والطبيعة الملائكية » أى ان هذين الشيئين وجدا فى الزمن السابق قبل التاريخ . لان الزمن من حيث هو عبارة عن حركة الليل والنهار بواسطة الكواكب . وتلك لم تنتظم الا فى الدور الرابع ومن ثم اتفق كل جمهور اللاهوتيين على ان المخلوقات الاولى هى الطبيعة الملائكية والمادة العارية عن الصورة)

ان كون موسى لم يذكر شيئا عن خلقة الماء والهواء بل اكتفى « بقوله خلق الله ... الارض » فلأن كلمة الارض تغنى عن ذكرهما لانهما تابعان لها ومتممان لتكوينها .

« وكانت الارض خربة وخالية تك ١ : ٢ »

لقد قصد النبي بهذا التعبير أحد امرين إما ان الارض كانت خربة وخالية من السكان ولا يوجد على سطحها نبات أو حيوان ، أو ان مادة الارض كانت عارية عن الترتيب مجردة عن كل صورة وتفصيل .

وقد وافق العلم على ذلك بقوله (ان الارض كانت سائلا ناريا ثم بردت قشرتها وتجمدت) وذلك يدل بالبداهة على أنه مضى على الارض زمن طويل وهى خربة وخالية من السكان . عارية عن كل صورة وتفصيل حسب رواية الكتاب .

« وعلى وجه الغمر ظلمة تك ١ : ٢ »

أى ان الارض كانت محاطة بالظلمة من الخارج وبالغمر من الداخل . أما الغمر فمعناه اللجة العميقة (انظر مز ٢٢ : ٧) ويحتمل أن يكون معنى هذه العبارة الخلو ومجموع مواد بلا ترتيب .

أما الظلمة فليست هى شيئا مخلوقا متقدما فى الوجود على النور بل هى تابعة له بمعنى ان عدم النور هو الظلمة .

وهذا يوافق وصف العلماء للارض تمام الموافقة . لانه حيث انها

كانت سائلا ناريا واخذت قشرتها تبرد شيئا فشيئا فقد كانت بدهيا محوطة بظلمة حالكة. هي نتيجة البخار الكثيف المتصاعد منها.

« وروح الله يرف على وجه المياه تك ١ : ٢ »

أى ان روح الله أخذ يخصب البحار ويفيض الحياة فيها منذ اليوم الاول وهذا يتفق مع علم الجيولوجيا الذى اثبت ان وجود الكائنات الحية ، كان منذ اليوم الاول . ولم يكن محصورا فى عمل اليوم الثالث فقط .

وهذه الآية تحل شبهة من أعقد الشبهات الجيولوجية التى اثبتت أن آثار الحيوانات اقدم من آثار النباتات والحال ان الحيوانات خلقت بعد النباتات . فلولا هذه الآية التى اثبتت أن روح الله اخصب البحار منذ اليوم الاول لما استطعنا ان نوفق بين كلام الوحى والاكتشافات العلمية.

ومما تجب ملاحظته فى هذه الآية انها تشير صريحا الى الاقنوم الثالث من اللاهوت الاقدس . لانه وان كانت هذه العقيدة المسيحية لن تعلن الاعلان التام فى غير الانجيل فحسبنا أنه يوجد فى سفر التكوين اصول هذا الدين .

« وقال الله ليكن نور فكان نور . تك ١ : ٣ »

لا شك ان هذا النور هو عينه نور الشمس الذى ذكر فى اليوم الرابع وانما كان فى الايام الثلاثة الاولى بحالة ونظام يختلفان عما صار اليه فى اليوم الرابع .

وهذا يوافق ماجاء به العلم حيث أثبت أن النور كان يضيء الكون منذ زمن بعيد . وان الكرة الأرضيه نفسها تكونت من سديم فى حالة شديدة من الحرارة .

أما مصدر هذا النور . فزعم بعض العلماء أنه نتيجة احتكاك ذرات المواد وضغط بعضها على بعض ، وزعم البعض الآخر أن الاثير تكاثف فكان سديما منيراً ؛ ثم اشتد كثافة فكان منه الشمس ؛ وكيفما كان الامر ،

فذلك النور بلا ريب هو نور الشمس عينه ، وهو الذى كان بين الايام الاولى من بعضها ، وانما اعيد ذكره فى اليوم الرابع للاسباب التى ستراها فيما بعد .

قال صاحب الخلاصة اللاهوتية فى صحيفة ١٩٧ جزء ٢ ، ولهذا يجب ان يقال ان ذلك النور كان نور الشمس التى كانت حينئذ عارية عن الصورة، باعتبار أن جوهرها كان فى الوجود وكان له قوة على الانارة بالاجمال ولكنه بعد ذلك القى فيه قوة مخصوصة ومحدودة على اصدار آثار مخصوصة وعلى هذا يكون صدور هذا النور قد انفصل به النور من الظلمة من ثلاثة وجوه : أما — اولا — فمن جهة العلة بناء على أن جوهر الشمس كان علة النور وكثافة الارض كانت علة الظلمة ، وأما — ثانيا — فمن جهة المكان لان النور كان فى النصف الواحد من الكرة ، والظلمة كانت فى النصف الآخر ، وأما — ثالثا — فمن جهة الزمان لانه فى النصف الواحد بعينه من الكرة كان النور فى جزء من الزمان والظلمة فى جزء آخر ، وهذا هو المراد بقوله (وسمى النور نهارا والظلمة ليلا)

« وكان مساء وكان صباح يوما واحداً » تك ١ : ٥

أن كلتى مساء وصباح لايراد بها الدلالة على شروق الشمس وغروبها بل على نهاية أحد أعمال الخلقة وبداية غيره . وقدم المساء على الصباح إما لان النور كان بعد الظلام . او لان اهل المشرق اعتادوا ان يحسبوا بداءة اليوم غروب الشمس فيذكروا المساء قبل الصباح . ولم يقل النبي (يوما اولا او اليوم الاول) بل قال يوما واحداً وذلك لان الخلق فى هذه المدة اعنى المدة الاولى لم يكن مفصلا على التوالى بل كان جملة اى ان مادة العالم الاصلية خلقت كلها فى مدة واحدة (او يوم واحد) بخلاف ترتيبها فانه كان مفصلا فى مدد متتالية متوالية .

« وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه» تك ١ : ٦

أن المراد بالجلد هو الكرة الهوائية التى تحمل السحب ، وتسبح فيها الطيور . ودعى جلداً لتكاثف الهواء فيه لان ما كان من الاجسام كثيفا شديداً يقال له جلد اى صلب . ولقد ورد الجلد فى سفر المزامير بهذا المعنى حيث قيل (الكاسى السموات سحابا مز ١٤٧ : ٣٨)

« وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد تك ١ : ٦ و٧)

أى ليفصل المياه التى على سطح الارض من مياه السحب والغيوم المنتشرة فى الجو لانه لو لم يكن من رقيع أو منطقة فضاء صافية حول الارض لالتفت بضباب كثيف دائم ، وفى ذلك من الضرر لسكان الارض ما لا يخفى على أحد . وظن بعض العلماء كالقديس باسيليوس (أن المياه هى مياه حقيقية موجودة فى أعلا السموات لتعديل حرارة الاجرام الفلكية)

« ودعا الله الجلد سماء تك ١ : ٨ » كل ما علا وارتفع يقال له سماء.

« وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد وتظهر اليابسة وكان كذلك . ودعا الله اليابسة أرضا ومجتمع المياه دعاه بحاراً تك ١ : ٩ »

اما ذلك الاجتماع فتم بأحد امرين : إما بعمل تجاويف فى الارض بحيث صارت المياه الغامرة لسطح الارض فى مكان واليابسة فى مكان آخر وبذلك انحسر الماء عن قسم من الارض واجتمع فى هذه التجاويف العميقة وظهرت اليابسة مستقلة عن المياه . وإما ان المياه ازدادت ارتفاعا فى المكان الذى اجتمعت فيه اى تراكمت على بعضها بقدرة الله فصار مستواها فى المكان الذى اجتمعت فيه اعلى مما كان عليه قبل الاجتماع . ومن نظر الى عمق البحار وعلو الجبال ، عرف مقدار تلك القوة الهائلة التى غيرت سطح الارض هذا التغيير المدهش فى اليوم الثالث . لانه مما لا جدال فيه أن اتساع البحار بالنسبة لاتساع الارض عظيم جداً فلولا تلك القوة الفائقة المقرونة بالحكمة

السامية . لما أمكن أن تنحصر المياه فى جهة واليابسة فى جهة أخرى

وهذا الوصف يطابق علم الجيولوجيا الذى أثبت أن طبقات الارض فى هذه المدة تكسرت وتشققت بسبب برودة الارض وتقلصها . وبذلك تكونت الاغوار والانجاد على وجه الارض واجتمعت المياه فى الاودية وارتفعت البرارى و الجبال فوق المياه .

ومما يجب ملاحظته هنا ان النبى لم يذكر شيئا من خلقة المعادن فى اليوم الثالث كالحديد والذهب والفضة والنحاس والملح مع انها تكونت طبيعيا فى هذا اليوم . وعلة ذلك أنه لم يذكر من الارض إلا ما هو ظاهر للعيان . والاجسام المعدنية فوق انها تتكون خفية فى باطن الارض فليست ممتازة عنها امتيازاً ظاهرا بل هى انواع لها ومن ثم لم يأت النبى على ذكرها .

« وقال الله لتنبت الارض عشبا وبقلا يبزر بزراً وبقلا كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه » تك ١ : ١١

يستدل من هذه الآية . أن الحياة النباتية فى اليوم الثالث ظهرت على الارض تدريجا فكانت ثلاث رتب (١) العشب وهو ما يغطى وجه الارض بالخضرة (٢) البقل وهو ما كان ذا ثمر صالح للاكل . كالقمح ، والشعير ، والفول ، والعدس (٣) الشجر وهو ما كان ذا ساق خشبية مرتفعة . ومن ثم جرى كل شيء على سنن الكمال متدرجا اليه على ما تقتضيـــــه احوال الارض والحيوان : ففى عمل الله الترتيب فلم يخلق شيئا قبل وقته بل صنع كل شيء حسنا على سنن حكمته الازلية .

وهذا عين ما يقول به علماء الجيولوجيا لانهم يقولون ان سطح الارض فى البداية لم يكن ملائما لنمو سائر النباتات فمن ثم وجد الضعيف أولا ثم تلاه القوى فالاقوى

« وقال الله لتكن انوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات واوقات وايام وسنين . وتكون انواراً فى جلد السماء لتنير على

الارض . وكان كذلك . فعمل الله النورين العظيمين النور الاكبر لحكم النهار . والنور الاصغر لحكم الليل والنجوم وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الارض ولتحكم على النهار والليل . ولتفصل بين النور والظلمة تك ١ : ١٤ — ١٩ .

يتكلم الوحى هنا (اى فى اليوم الرابع) باسهاب عن الشمس والقمر والنجوم كأنها خلقت فى هذا اليوم والواقع انها خلقت فى اليوم الاول، غير ان الجرم الشمسى لم يحدث به الالتئام الضرورى ليكون وعاء او بؤرة محدودة للنور والحرارة اى (شمسا) الا فى اليوم الرابع . وكذلك الكواكب فانها كانت منذ اليوم الاول ايضا غير ان الابخرة التى حجبتها عن الارض لم تبدد الا فى اليوم الرابع كما يظهر من قوله تعالى لعبده أيوب عن وجه الارض (اذ جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه) اى ٣٨ : ٩ فاذن فى اليوم الرابع تحددت وظيفة الشمس وتعينت فقط . أما إبداعها فكان منذ اليوم الاول . وإلا فكيف يفهم تعاقب الليل والنهار فى مدة الثلاثة الايام الاولى اذا لم نسلم بوجود جرم منير خارج عن الارض يضىء بنوره على التوالى كل سطح الكرة الارضية باحتجابه عنها تارة وظهوره أخرى، بسبب تغيير مركزه او لداعى دورة الارض . اذن هذه الاجرام خلقت منذ اليوم الأول . أما فى هذا اليوم فتعينت لفصل الايام ومعرفة الازمان والاوقات

اما الاوقات فيراد بها الاشهر وفصول السنة الاربعة تلك التى ظهرت فيها علامات الغاية والقصد فى ترتيبها المحكم العجيب بأروع مظاهرها . لانه لو ادرك الصيف الشتاء او الشتاء الصيف مباشرة حل بالانسان والحيوان المرض والموت وذلك لمباغتة الاجسام بالبرودة على أثر الحرارة أو مباغتتها بالحرارة على أثر البرودة. لهذا رتب جل شأنه بفائق حكمته (الربيع) وسطا بين الشتاء والصيف . و(الخريف) وسطا بين الصيف والشتاء حتى تستقبل الاجسام

لحرارة والبرودة تدريجيا لا فجائيا فتنجو من الاضرار والاخطار

قال القديس باسيليوس فى شرحه لليوم الرابع « ان الذى خلق فى اليوم الاول وأخرج الى الفعل انما هو طبيعة الضوء أما الذى خلق فى اليوم الرابع فهو جرم الشمس الذى جعل مركزاً لذلك الضوء المخلوق قديما . ثم ضرب مثلا على ذلك بالسراج والضوء الذى يوضع فيه »

وقال فم الذهب . « ان نور الشمس الذى كان فى اليوم الاول عاريا عن الصورة تصوّر فى اليوم الرابع »

وهذا الشرح يوافق عليه العلم أيضا حيث يقول (إلى هذه المدة يعزى تغيير المناخ وتوالى الفصول ووصول اشعة الشمس مستقيمة) ومن هذا اليوم بدء التقويم وتحدد الزمن وابتدأ التاريخ

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الارض على وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الانفس الحية تك ١ : ٢٠ »

ان قوة الله العظيمة التى لا تحد ولا تكيف منحت المياه قوة حيوية فعالة لتوليد الحيوان

اما كلمة زحافات فتطلق على انواع السمك والحلزون والورل والضب وكونها ذات نفس حية . أى تتنفس الهواء أو انها مخلوقات ذات حس وحركة وليست كالجماد . كما ان كلمة تنانين يراد بها أيضا الحيوانات الطويلة كالتماسيح والحيات

وهذا الوصف يطابق وصف العلم أيضا لمخلوقات هذا اليوم حيث اثبت أن فى هذا اليوم ظهرت أنواع الدابات المائية ذات الصور الغريبة والحجم الكبير . وان هذه الدابات انحصرت بنوع أخص فى هذه المدة دون غيرها

« وقال الله لتخرج الارض ذوات أنفس حية كجنسها . بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها . وكان كذلك تك ١ : ٢٤ »

ليس المراد بقول الله لتخرج الارض ذوات انفس حية ان للارض

قوة ذاتية لابداع هذه الكائنات ، ولكن المقصود بذلك ان الارض تخرج بقوة الله وقدرته حيوانات متنوعة كما اخرجت المياه من ذي قبل وهذا يبطل الرأي القائل بأن الكائنات الحية الأولى تولدت من تلقاء ذاتها من الجمادات تمشيا مع مايسمونه ، ناموس التطور ونتيجة لتفاعلات كيماوية بين المواد غير الآلية الموجودة في تربة الارض وغيرها من العناصر . وان كل جيل من الاحياء ولد من جيل سابق والسابق ولد من الاسبق وهكذا الى الجيل الذي يسمى (الجيل الذاتي)

« وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا تك ١ : ٢٦ »

ليس المراد بقول الله نعمل الانسان على صورتنا الصورة الجسدية بل المراد بذلك ، أن الله خلق الانسان على صورة البر والقداسة ، ومنحه السلطة على سائر المخلوقات ، كما أنه شرفه بروح خالدة باقية لايعتورها موت ولا فناء .

أما وصف الكتاب لليوم السادس ، فهو طبق ما جاء به علم الجيولوجيا تماما ، حيث اثبت ان في هذا اليوم ظهرت الحيوانات ذوات الاثداء والدابات الارضية ، والوحوش المفترسة ، اما آثار الانسان الصحيحة فلم تظهر إلا في نهاية هذه المدة

وقد اعتاد الكتاب ان يقول في ختام كل عمل (ورأى الله ذلك أنه حسن) ليس لأنه لم يعرفه إلا بعد ان خلقه . لان الله تصور العالم في عقله ، فرآه موافقا لارادته ، فأمر باخراجه ، أما معنى قوله أنه حسن ، أى رآه موافقا للغاية وضروريا للانسان الذي لاجله ابدعت كل هذه الكائنات .

غير أنه جل شأنه لم يقل عما صنعه في اليوم الثاني أنه حسن وذلك لان عمل تمييز المياه الذي ابتدأ في هذا اليوم لم يتم إلا في اليوم الثالث . وبما أنه قيل عن عمل اليوم الثالث أنه حسن فما قيل فيه أي في اليوم الثالث يرجع

الى اليوم الثانى بلا محالة .

تذييل

ولعمرى ان هذا الوصف العجيب ، أى وصف تكوين العالم الذى شرحه موسى نبى اسرائيل العظيم لدليل قاطع على ان الكتاب المقدس موحى به من الله ، لانه كتب فى ايام لم يكن العلم قد ارتقى فيها الى درجة فائقة ، لاسيما فيما يختص بالعلوم الطبيعية . فلو لم يكن هذا الكتاب مصدره الله العليم بكل شيء لما وافقت هذه الرواية الصحيحة الصادقة ما ذهب إليه علماء الهيئة والجيولوجيا فى هذه الايام التى بلغ فيها هذا العلم اقصى مداه ولوقعت من موسى اغلاط كثيرة لعدم معرفته العلوم الطبيعية المثبتة من الاكتشافات الحديثة

ولم تبرهن هذه الرواية الصادقة على صحة الكتاب المقدس فقط . بل ابطلت سائر الآراء الكفرية القائلة بعدم وجود الله ، وتعدد الآلهة ، وأزلية المادة ، والوهية الكون (١) وتسلسل الانسان من الحيوان والى غير ذلك من الاراء الكفرية الفاسدة التى سيأتى ذكرها فيما يلى . فسبحان الخالق العظيم المحيط بسائر الاشياء

راجع كتابنا (تحفة هذا الجيل) تر فيه شرح الايام الستة شرحا مفصلا وافيا

---

(١) مذهب الوهية الكون — مذهب قديم — تجدد فى القرن السابع عشر . ومن أشهر انصاره سبينوزا اليهودى ، وفحوى هذا المذهب (ان الكون هو الله والله هو الكون) وهو من المعتقدات السخيفة التى يرفضها العقل البشرى رفضا باتا

الباب الثالث

في

أشهر اصحاب الآراء الكفرية

ان اصحاب الآراء الكفرية كثيرون اشهرهم :ـ

(١) الملحدون (٢) المشركون

(٣) الماديون والطبيعيون والداروينيون (٤) اللاادريون

الفصل الأول

في

الملحدين

الملحدون هم الذين لايعتقدون بوجود الله سبحانه وتعالى وهو شر اعتقاد عرف عند البشر لانه يدل على غباوة فائقة وجهالة متناهية . لا بل لم يوجد قط مذهب منذ ابتداء العالم الى الآن اكثر ضلالة واشد سخافة واعظم فساداً من انكار الوجود الالهي. لان من ينكر وجود الله ينكر اوضح واجلى برهان في العالم ويناقض بديهيات العقل وشريعة المنطق . كما انه يقاوم ويضاد اتفاق البشر العام ويطفي الوجدان الذاتي والشعور الشخصي . وتلك أمور تدل على تصلف وعناد متناه . وبلادة فائقة وجنون كامل . ومن ثم يصف الكتاب المقدس الرجل الكافر بأنه هو الجاهل بالنوع الممتاز والفائق التصور (مز ١٤ : ١)

قال أحد علماء اللاهوت « هذا العالم إما أن يكون ازليا او محدثا . ولا يمكن ان يكون ازليا لانه متغير . والتغير صـــورة من الاضمحلال ، والاضمحلال يدل على الحدوث . وحيث أن هذا العالم محدث . فلا بد أن يكون له محدث أحدثه »

قال افلاطون الفيلسوف « ان كل حادث له سبب احدثه ولا يعقل حدوث شيء بلا سبب ، ومن المعلوم بالضرورة أن العالم حادث ، لانه مشاهد ومحسوس ومادى ، وكل ما هو محسوس يمكن أدراكه بواسطة الحواس فهو حادث ومصنوع

أما الذى أحدث هذا العالم فلا بد وان يكون (كائنا على العظمة فائق الجبروت ، سامى الحكمة ، ذا قوة لاتضعف وارادة مطلقة وحكمة لا تستقصى)

كما اننا لاننسى بان هذا الكائن أو الاله الذى احدث هذا العالم لا يمكن أن يكون أحدث نفسه ، لانه يكون سبقه عدم ، ووجد زمن لم يكن فيه ، وذلك باطل بالبداهة . فاذن ذلك الأله كان موجوداً بالضرورة منذ ازل الازل أى أنه كان ولم يكن له بد من ان يكون ، او بالحرى هو ازلى ابدى ، أصل الوجود خالق جميع الكائنات من العدم ، وهو نفسه لم يخلق

أما مادة هذا العالم ، أو بالحرى سائر الكائنات فهى انه جل شأنه تصورها بعقله ازليا ، فقبلها بارادته فأمر بكيانها فكانت كما تصورها على اختلاف اجناسها ، وانواعها وافعالها ؟

الفصل الثانى

فى

المشركين

المشركون هم الذين يعتقدون بتعدد الآلهة وينكرون الوحدانية

ان الاعتقاد بوحدانية الله هو الاعتقاد الاصلى للبشر . ولكن فساد طبيعتهم جعلهم يشركون معه عبادة المخلوقات . فاعتقد بعضهم فى اناس بشريين مثلهم انهم آلهة وسجدوا لهم . وبعضهم وجدوا بهذا المقدار مطالب العقول والافكار ومستوعبين كل غباوة وجهل حيث أقاموا هياكل ونصبوا مذابح لامور دنيئة دنسة وقدموا لها الاكرام الواجب لله . حتى أن الروميين واليونانيين مع كل علومهم وحذاقة عقولهم السامية على سائر الشعوب ، أفرطوا جدا فى هذه العبادة وتجاوزوا حداً بليغا فى خدمتها . وليس الادنياء منهم فقط هم الذين انخدعوا بهذا الضلال الفظيع بل الاشراف واصحاب الحكمة والنباهة أيضا . وبعضهم عبدوا الصور والتماثيل المصنوعة من المعادن والاخشاب واتخذوا لهم آلهة من مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم وتدهوروا فى ذلك الى ان عبدوا الهوام والحشرات وسجدوا لاعضاء التناسل

وقد كان مبدأ الالوهية عند معظم الشرقيين : التعليم بمبدأين أو إلهين أحدهما مبدع الخير وهو (أرومازد) والآخر مبدع الشر وهو (أهرمان) ومن اصحاب هذا المذهب الكفرى (مرقيون ومانى)

مرقيون — ولد فى الجيل الثانى المسيحى وعلم بإلهين . أحدهما صالح

وهو خالق الروح ومانح الخيرات . والآخر شرير وهو خالق المادة ومذيع الشريعة

أما مانى — فولد فى أوائل الجيل الثالث . وعلم بالهين كرقيون أحدهما صالح وهو الله سبحانه وتعالى ، والاخر شرير وهو ابليس إله هذا الدهر وخالق كل الاشياء الجسمية . وقال ان فى هذا الانسان نفسين الاولى صالحة مخلوقة من الاله الصالح ومساوية لطبيعته. والثانية شريرة مخلوقة من الاله الشرير

وقد نشأ هذا الاعتقاد عند البشر فى العصور المتأخرة والمتقدمة لعدم معرفتهم أصل الشر لانهم لما لم يجدوا وجها لنسبة الشر الى الله . اعتقدوا بوجود إلهين أحدهما أصل الخير والآخر أصل الشر . غير انه وان كان مصدر الشر من الامور المجهولة عند البشر إلا ان ذلك لا يسيغ لهم هذا المعتقد الفاسد ، لان ما نسميه شراً فى هذا العالم ليس هو شر على اطلاقه . اذ ان ما كان ضاراً لواحد من وجه فهو نافع لغيره او له نفسه من وجه آخر ، وبذلك لا يكون الشر شائنا بالله جل شأنه كما يلوح لمن يأخذ الامور على ظاهرها

نعم ان بولس الرسول دعا الشيطان إلها بقوله « الذين فيهم إله هذا الدهر أعمى اذهانهم ٢ كو ٤ : ٤ » وذلك لان الشيطان أدخل فى العالم عبادة الاوثان الباطلة راغبا تقديم السجود له المختص بالله وحده ومن ثم صير نفسه كأنه إله حقيقى . لانه لما لم يستطع أن يصير شبيها بالله فى السماء ، اجتهد ان يظفر بذلك على الارض بخداع الناس وجذبهم الى السجود له ، وعلى ذلك صار إلها للامم ، كقول الكتاب « لان آلهة الامم شياطين » فاذن الشيطان ليس هو إله هذا العالم من حيث الخلقة بل هو إله هذا العالم من حيث تسلطه المضاد كل حق ، ومن حيث كفر بنى الانسان الذين أخضعوا له نفوسهم وقدموا له الكرامة والعبادة الواجبة للاله الحقيقى . تلك التى

يصفها القديس ترتوليانوس بقوله (هذا هو خطأ جنس البشر الاخص . واثم العالم الاشنع واصل دينونته وسببها) . وقد دعى الشيطان إله هذا العالم أيضا لان الذين يعيشون عيشة عالمية دنياوية ويعتبرون كأنهم اتخذوا الشيطان إلها لهم ، كما أعتبرت البطون الشرهة آلهة لذويها (فى ٣ : ١٩)

ولدحض هذا الاعتقاد وهو نزع مبدأ الشرك من عقول البشر أعلن سبحانه وتعالى على فم أشعياء النبي بانه هو الاله الوحيد الذى لا إله غيره فى السماء وعلى الارض بقوله « لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها انه ليس غيرى أنا الرب وليس آخر مصور النور وخالق الظلمة ، صانع السلام وخالق الشر ، أنا الرب صانع كل هذه » اش ٤٥ : ٧

غير أنه ما برح هذا الاعتقاد الفاسد سائدا على الامم الخالية من نور الوحى الالهى حتى الآن ولا عذر لهم فى ذلك : لان العقل يعلمنا أن تعدد الآلهة باطل . وان من يكثر الالهة يزيل وجود الله ، والدليل على صدق هذا القول ، هو أنه غير ممكن أن يوجد آلهة كثيرون متصفون بالكمال المطلق . لانه يلزم الموجود ان يكون بالغا غاية الكمال وانه لا يوجد له نظير او مساو فى كماله .

وغاية الكمال هى الوجود الذى لا مثيل له . فمن تنقصه هذه الميزة اعنى من كان له مثيل فى كماله فليس هو كاملا فى غاية الكمال لانه لا توجد فيه كل صفات الكمال .

ومن ثم ينتج ان من يعتقد بكثرة الآلهة ينكر وجود الاله الحقيقى . لان الاله الذى تنقصه صفة من صفات الكمال ، ليس هو إلها على حصر الكلام .

الفصل الثالث

فى

الماديين والطبيعيين والداروينيين

الماديون : ظهر اصحاب هذا المذهب فى القرن الســــادس قبل الميلاد فى عهد طاليس الفيلسوف فى سنة ٦٤٠ ق.م وأوشك ان يندثر لو لا الرأى الطبيعى الذى ظهر فى القرن الخامس عشر فنشطه وقواه

واصحاب هذا المذهب ينكرون وجود الله ويعتقدون (أن الكائنات وجدت من ذاتها وكان اصلها ذرات أتت بطريق الصدفة . وأخذت تتكامل دوراً فدوراً بتفاعلات كيماوية من المواد غير الآلية الموجودة فى تربة الارض وغيرها من العناصر الى أن وصلت لحالتها الحاضرة .ثم بالغوا فى ذلك حتى نسبوا لها الازلية والابدية بقولهم (ان المادة قديمة أزلية . وهى مصدر لكل كائن ومرجعه وأصل الحياة . ومركز الروحيات ، وذات قوة وحكمة سامية تلازمها خصائص لاتنفك عنها . تصلح لان ترقى بها من الجماد الى الانسان . وذلك بتدرجها فى ادوار متعاقبة مقودة بنواميس ثابتة)

هذه خلاصة المذهب المادى . وهو مذهب فى اقصى حدود البطلان والفساد . وقد يظهر فساده بصورة واضحة جلية اذا استعرضنا أمام عقولنا الامور الاتية وهى :

(أولا) تشهد الحواس ان الفرق بين الجماد والانسان عظيم للدرجة القصوى . فذاك ميت : وهذا حى . ذاك لاحس ولا شعور له ، وهذا له شعور وحس . فكيف تتولد الحياة من الميت ؟

قد يقول الماديون (أن المادة (١) التي نراها جامدة هي حية لأنها اذا وضعت في احوال تصلح للتوليد ، تحركت ، ونمت ، وولدت ، وماتت)

فرداً على ذلك نقول :

(١) أما عن الحركة : فاننا لا ننكر أن للكائنات الجامدة حركة (٢) غير أن هذه الحركة تختلف اختلافاً تاماً عن الحركة التي في الكائنات الحية. فالحركة في الكائنات الحية ، في وسع الانسان تقويتها وتنشيطها ، أو تعطيلها وقتلها . اما الحركة في الكائنات الجامدة فليس في استطاعة كائن من كان أن يعطلها او يقويها لانها حركة داخلية ، اودعها الخالق فيها بحيث لا تتعداها الى الخارج

(٢) أما عن النمو : فانه يختلف اختلافاً عظيماً في النوعين فنمو الجماد انما هو عبارة عن اضافة مادة الى جسمه مشابهة له ، بدون أن تدخل في بطانه . أو تسري في جسمه : اما نمو الكائن الحي فيتم بواسطة الغذاء والهضم وتحويل الطعام الى صورة مماثلة لمادة ذلك الجسم .

(٣) اما عن التوليد . فان الماديين وأن اعتقدوا بان المادة تلد ، مستندين على ذلك (أولا) بخروج كائن حي من البيضة وهي مادة ميتة (ثانيا) من الديدان التي تظهر على اللحوم المتعفنة . غير أن العلم أثبت الآن أن المادة لم تلد مطلقا . وأن الكائن الحي لا يخرج الا من كائن حي كمثله ، وأن المواد

---

(١) المادة نوعان : جامدة ومخصبة ، فالمخصبة كالنبات والحيوان وهي التي افاض الله عليها الحياة بقدرته الالهية . أما الجامدة فهي التي يدعي الماديون انها اخصبت من ذاتها ويطلقون عليها اسم التولد الذاتي . اما خرافة التولد الذاتي فيقولون عنها ان بعض الذرات من عناصر الاوكسوجين والكربون والكبريت والفسفور وغيرها تجمعت معا وبمعاونة العوامل الطبيعية مثل ضوء الشمس والبخار منحت الحياة .

(٢) الجمادات مكونة من ذرات صغيرة جدا وكل ذرة مركبة من دقائق كهربائية وكل من هذه الدقائق في حركة دائمة منتظمة . اما الذرة فاصغر جزء في المادة وكل مادة مركبة من ذرات كالماء فانه مركب من ذرتين ادروجين وذرة اوكسوجين

الخالية من الحياة لا يمكن أن تولد حياة فى نفسها ولا فى غيرها . بل الحياة وحدها تحدث الحياة . فالبيضة التى يزعمون انها مادة ميتة هى فى الحقيقة حية : لان كل بيضة ملقحة ، تحوى جراثيم حية هى علة الفرخ الذى يخرج منها : غير أن مبدأ الحياة فى البيضة لم يتولد من المادة ، بل أتاها من الخارج : أى من مادة فيها أصل الحياة ، وهذا الاصل لم يتولد بقوة عامل طبيعى ، بل أبدع بقوة خارقة لعمل الطبيعة ، وهو صنع الله القادر على كل شيء

أما الديدان التى نراها على اللحوم المتعفنة ، فهى عبارة عن (البكتريا) (١) والبكتريا للاحياء الدنيئة كالبيضة للطائر . فكما أن الطائر يتوالد بالبيض كذلك تلك الكائنات الحية ، تتكاثر وتتوالد بالبكتريا التى يحملها الهواء ، من الكائن الحى الذى ولدها ، الى حيث تجد مكانا مناسبا لنموها (كاللحوم المتعفنة) فتنمو هناك وتخرج كائنا حيا كأبيه . فالديدان اذن لم تتولد من المادة المتعفنة ولكنها نقلت اليها من مكان آخر

(٤) اما عن الموت : فان الكائن الحى هو الذى يموت فقط ، واما الجماد فلا يموت مطلقا ، أما ما يصيب المعادن كالحديد مثلا ، من الكسر والسحق اذا علاه صدأ ، فان ذلك لا يعتبر موتا (كما يموه به الماديون على عقول البسطاء) لان المادة الاصلية باقية ، والتغيير الذى طرأ عليه كان نتيجة تعرضه للصدأ لخلوه من الوقاية والغطاء

(ثانيا) اذا كانت المادة فى مبدأها خبطا وخلطا وفوضى مستحكمة ، حسب رأى الماديين انفسهم فكيف ينشأ عنها ذلك النظام الكامل والترتيب العجيب الذى نراه ماثلا فى سائر الكائنات الحية منها والجمادات؟ والحال ان بداهة العقل تشعر بان الترتيب لا يصدر من الفوضى ، والنظام لا ينتج من الصدفة ، لاسيما اذا كان ذلك لقصد وغاية معينه . كاعداد آلة

---

(١) البكتريا نوع من الميكروبات لا يرى بالعين المجردة اذ لا يزيد حجم الواحدة عن (١٠٠٠١ عشرة الاف وواحد من المليمتر)

التنفس للحيوان قبل ولادته ، واعداد الطعام له فى ثدى امه حال خروجه من البطن . وتجهيز الطائر الذى يسبح فى الهواء بعظام فارغة لتساعده على طيرانه . وامتداد خرطوم الفيل لقصر رقبته . وطول رقبة الجمل لعلو جسمه وامثال هذه الامور التى نفت الصدفة (١) والاتفاق نفيا باتا.واثبتت الغاية والقصد اثباتا مطلقا

قال الاستاذ مومنيه « اذا افترضنا بطريق تعلو عن متناول العقل أن الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مختار ، وان الاتفاقات المتكررة توصلت الى تكوين (رجل) فهل يعقل ان الاتفاقات أو المصادفات تكوّن كائنا آخر مماثلا له تماما فى الشكل الظاهرى ومباينا له فى التركيب الداخلى وهو (المرأة) بقصد تعمير الارض بالناس وادامة النسل فيها ؟ أليس يدل هذا وحده على ان فى الوجود خالقا مريداً مختاراً ، أبدع الكائنات ، ونوّع بينها ، وغرز فى كل نوع غرائز ومتعه بمواهب يقوم بها أمره ويرتقى عليها نوعه ؟ »

(ثالثا) اذا كانت المادة حسب اعتقاد الماديين عمياء،صماء ، بكماء ، لاعقل لها ولا ادراك. فكيف يصدر عنها ذلك العقل الراجح ، والفكر الواسع ، وهل يمكن صدور قوة عاقلة ، من قوة غبية جاهلة ؟ ان ذلك الباطل بالبداهة

قال نيوتن العالم الانجليزى « لا تشكوا فى الخالق ، فانه مما لايعقل أن تكون الضرورة وحدها هى قاعدة الوجود ، لان ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان وزمان ، لايعقل ان يصدر عنها هذا التنوع فى الكائنات ولا هذا الوجود كله ، بما فيه من ترتيب اجزائه وتناسبها ، مع تغيرات الازمنة والامكنة، بل ان كل هذا لايعقل ان كان لايصدر الا من كان أولى له حكمة وارادة »

---

(١) انظر الفصل الاول فى وجود الله سبحانه وتعالى

وقال الفيلسوف لوك « ان الانسان يرى فى نفسه قوة على العلم ،فيجب أن يكون الاصل الازلى الذى نتج منه الانسان عالما ، لانه لا يعقل أن ذلك الاصل يكون مجرداً عن العلم ، وتنتج منه كائنات عاقلة . ومما يناقض البداهة أن المادة المجردة من الحس ، تمنح نفسا بعقل لم يكن لها من قبل . فيجب أن يكون أصل الكون عاقلا بل لا حد لعقله»

قد يقول الماديون ، انه وان كانت المادة عمياء ، لاعقل لها ولا ادراك ولكن بمحاولات كثيرة استغرقت أجيالا طويلا ترقت تلك الكائنات من حال إلى حال ، حتى وصلت إلى ما هى عليه من الكمال . ثم ضربوا لذلك مثلا . سكان أوربا وبعض القبائل المتوحشة التى تسكن مجاهل أفريقيا ، فقالوا ان سكان أوربا تمت ترقيتهم . أما القبائل الأخرى التى فى مجاهل افريقيا ، فما زالت المادة تحاول تحسينهم وترقيتهم لزعمهم ان الطبيعة بعد أن نجحت فى توليد الانسان اخذت فى ترقيته وتحسين حاله . وهو زعم فى منتهى الخرافة والغرابة . وجدير ان يقابل بمزيد الرفض والاعراض لانه وإن وجد بعض الفرق بين كل نوع من أنواع الموجودات فان ذلك لا ينسب لمحاولة المادة . وانما ينسب لاسباب أخرى كالبيئة ، والمناخ، واجتهاد الانسان فى تحسين صورته وشكله حيث ثبت بالاختبار أن هذه البواعث تجعله يتدرج فى مدارج الحسن والجمال مما لو ترك وشأنه

وما هو أغرب من ذلك أنك اذا سألت الماديين ماهى المادة ؟ لاجابوك « نحن لانعلم ما هى المادة فى ذاتها . وكل ما نعرفه عنها ، انها جواهر (١) فردة جامدة وجدت من ازل الازل وتبقى الى ابد الابد »

واذا كان الماديون لم يهتدوا إلى شيء من امر المادة وانها لاتزال تسمو

(١) يطلق اسم الجواهر الفردة على المادة التى تتكون من جزئيات صغيرة جدا كالاوكسجين والكربون والكبريت والفسفور والحديد والنحاس وغيرها . وكانوا يعتقدون قديما ان هذه الجواهر الفردة لا يمكن تقسيمها ولكن ثبت الآن انها تنقسم

عن مداركهم وأفهامهم . فمن أين علموا أنها الموجود الاول ، وانها قديمة وأزلية ؟ والحال أن العلم أثبت الآن بأدلة قاطعة أن المادة على عكس ذلك . فقد قال العلامة (جوستاف لوبون) : —

« أن الجواهر الفردة المادية التي كانت تعتبر في الازمنة السالفة ثابتة على حالها . تمكن أن تنحل إما من ذاتها أو تحت تأثير فواعل مختلفة » قد فتحها الكيماويون ووجدوها تتألف من دقائق كهربائية

وبذلك برهن على أن المادة مركبة . والمركب لايكون أزليا ويستحيل أن يكون أزليا . لان الازلي غير متحرك ولامتنقل ، ولا متغير ، ولا يقع عليه فعل فاعل

(مذهب دارون)

ومن النظام المادي أيضا مذهب دارون أوفلسفة النشوء والارتقاء وهي فلسفة كفر والحاد

ولد صاحب هذا المذهب وهو شارل دارون العالم الانجليزي سنة ١٨٥٩ م وخلاصة مذهبه : —

(أن أصل الانواع النباتية والحيوانية جمعاء جرثومة واحدة تطورت من حال إلى حال . تحت تأثير فواعل مختلفة طبيعية محضة . حتى وصلت إلى ما نراه من التنوعات التي على رأسها الانسان) أو بعبارة أخرى . أن النباتات والحيوانات نشأت بالتدريج بعضها من بعض على نواميس طبيعية تفعل من نفسها . مستقلة عن مشيئة الله وسلطانه وعنايته ، وأخيرا نشأ منها الانسان

وهو مذهب فاسد وباطل ومخالف لحكم العقل السليم . ويستدل على فساده بالادلة الآتية : —

(١) أن سائر الانواع من أول وجودها إلى الآن لم تتشوش ولم

تختلط . وأن كل مخلوق حافظ لجنسه ونوعه . فلا الطيور تحولت إلى بهائم ولا البهائم تحولت الى بشر . بل كل يبزر بزره كجنسه (تك ١ : ١٢) نعم أن الانسان لما رأى الحصان والحمار متشابهين انتهز هذه الفرصة وأخرج منهما نوعا آخر وهو البغل . ولكن قضت حكمة الله أن يخرج البغل عقيما ويقف على حافة العدم : لكي يجعل نظامه الاولى ثابتا لا يتغير . ولولا تشابه هذين الحيوانين فى الاعضاء التناسلية . لما خرج منهما هذا النوع الثالث . وهكذا كل نوع حاول الانسان اخراجه من نوعين مختلفين : لا بد وأن يخرج عقيما لا ينسل حتى لا يكون هناك تشويش ولا اختلاط ولا استحالة

(٢) ان الحيوانات الدنيئة هى اليوم على ما كانت عليه لم يشاهد فيها ارتقاء ما وان الاحياء العليا والسفلى ، توجد معا فى جميع الطبقات الارضية فلو كان مذهب الارتقاء صحيحا لاقتضى ان يوجد الأدنى منها قبل الأعلى بيد ان الأمر كثيراً ما يشاهد بالعكس . واننا اذا بحثنا فى باطن الأرض الى اعماق بعيدة حتى نصل الى السطح الذى بدأت فيه هذه الكائنات . لم نشاهد فيها ارتقاء ما وقد حقق علم الجيولوجيا ان الأنواع الحية لا تزال منذ وجود الانسان الى الآن ، على ما كانت بدون اختلاط ولا استحالة وكل محاولات أهل العلوم الطبيعية أن يبينوا امكان استحالة الانواع ذهبت عبثا

(٣) لو كانت الانواع النباتية والحيوانية مشتقا بعضها من بعض . لكان بين كل نوعين منها صور متوسطة غير ان هذه الصور مفقودة وليس لها أثر مطلقا

(٤) طول الزمن اللازم للانتقال . لانه اذا كان قد مضى على العالم الآن نحو ٧٥٠٠ سنة حسب اعتقاد رجال الدين . ولم يشاهد أدنى تحول فى الكائنات . فكم عدد السنين التى مرت على الخلية الاولى حتى نشأت منها كل هذه الكائنات المختلفة التى على رأسها الانسان ؟

(٥) يقول بعض الداروينين أن هذا التحول استغرق عدة ملايين من السنين . مع أن علماء الجيولوجيا يقولون ان الارض كانت ملتهبة منذ زمن لا يزيد عن ربع مليون سنه ، وطبعا كان يستحيل على أى كائن حى ان يعيش على سطحها وقتئذ فأين نشأت ومتى تحولت هذه الكائنات؟ لعمرى أن كل هذه الآراء باطلة ومنقوضة بالبداهة . وجديرة بالنبذ والطرح فى زوايا الاهمال والنسيان . لان النشوء من لا شيء محال . ونشوء الحياة الحيوانية من مادة خالية من الحياة غير ممكن . ونشوء الحياة العقلية البشرية من الحياة الحيوانية يرفضها العقل رفضا باتا .

قال الدكتور (تيدون) الفرنسى صاحب كتاب مذهب التحول « ان اعظم شيء ادهشنى هو ثبات ناموس الوراثة القائل ان كل نوع يتسل كجنسه . وهذا الناموس الصارم يمكن اثباته بملاحظة ملايين الكائنات الحية التى تولد كل دقيقة مشابهة لاسلافها . وثبات هذا الناموس وحده من الادلة القاطعة على فساد نظرية التحول »

فساد الرأى القائل بتولد الانسان من القرد

ومما يقابل فى مذهب النشوء والارتقاء بمنتهى الازدراء والاستهجان هو الرأى القائل بأن الانسان متولد من القرد . وهو رأى فى اقصى حدود السخافة والجهالة . لاننا لو أخذنا به لكان المعلول أشرف من العلة . وذلك باطل ولا يسلم به عاقل . لعمرى أليس الانسان أشرف من القرد بكل خاصياته وصفاته وأفعاله بما لا يقع تحت حد وحصر ؟ وليس الانسان أشرف من القرد فقط . ولكنه أسمى وأشرف مما سواه من المخلوقات أصلا ومقاما بل هو سيدها ومتسلط عليها فى كل زمان ومكان . ومن كان هذا حاله ، وتلك منزلته ، فكيف يسلم العقل السليم بان يكون معلولا لعلة هى ادنى واحط من سائر الكائنات ؟ حقا ان هذه الفلسفة التى يفتخر بها البعض من أهل عصرنا الحاضر عديمة البرهان كما انها مكروهة لدى

الوحي والعقل والوجدان

أما من جهة الوحي فقد قال الكتاب (ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله تك ١: ٢٦ وان كلا يبزر بزراً كجنسه تك ١ : ١٢) وهذا كاف لبطلان هذه الفلسفة الكاذبة « ليكن الله صادقا وكل انسان كاذبا » رو ٣ : ٤

أما من جهة العقل : فاننا اذا نظرنا بعين ملؤها الحكمة والروية فى هذه النظرية لاتضح لنا ما يأتى : —

(١) أنه يوجد فرق عظيم بين القرد والانسان ، فيما يختص ببنية كل منهما ، حيث اثبت علماء الفسيولوجيا (ان دماغ الغوريلا وهو أعظم القردة ، لايزيد عن ثلاثين قيراطا مكعبا ونصف قيراط : بينما دماغ سكان استراليا الاصليين وهم احط جميع البشر لايقل عن تسعة وتسعين قيراطا مكعبا وثلث قيراط)

وقد ألقى أحد أساتذة الالمان محاضرة عن طبائع الغوريلا فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٣ قال فيها (أنه لا ينتظر من هذه الحيوانات تقدما فى الذكاء عما نراه منها الآن . لان أدمغتها لا تتألف من اكثر من خمسمائة سنتيمتراً مكعبا مع أن دماغ الانسان مؤلف من الف وخمسمائة سنتيمتراً مكعبا ولان مركز المخيلة فيها ضعيف ضئيل حتى يكاد لايرى)

ومن ذلك يتضح أن أعظم دماغ للقرد ، لايوازى ثلث دماغ أحط البشر ، وفى ذلك برهان لايكذب على البعد الشاسع والبون الواسع بين النوعين

(٢) ان الانسان يستطيع ان يرقى من أحط حالة الى اسمى حالة . وان الاكتشافات والمخترعات المدهشة التى يأتيها يوميا وتكاد تكون من قبيل المعجزات لدليل جلى على ان عقله خلق بحالة قابلة للتقدم والارتقاء الى حد بعيد المدى. وما قوله تعالى « نخلق الانسان على صورتنا » إلا اشعار

بما تفضل عليه بمعرفة الابتكار والاختراع ، وهي ميزة حرم منها الحيوان حرمانا تاما . نعم ان كثيرا من الحيوانات تأتى بما لا حد له من المدهشات حتى ان ما يأتيه النحل مثلا من الاعمال الهندسية فى بناء خلاياه قد يقف أمامه اعظم مهندس حائرا مبهوتا . غير ان هذه الاعمال ركبت فى طبائع الحيوانات وفطرت عليها ، فلا تزيد ولا تنقص ولهذا لم يسمع مطلقا منذ الدهر ولن يسمع ايضا حتى المنتهى أن أحد انسال النحل صار نجاراً ماهراً أو حائكا بارعا . وفى ذلك دليل على عدم رقى عقل الحيوان ، وتدرجه من حالة أدنى الى حالة أسمى كالانسان

(٣) أن الانسان يستطيع برجحان عقله وثاقب فكره أن يعلل عن كل ما يراه ، وقد يكون تعليله صحيحا فى غالب الاحيان . بينما الحيوان لا يعرف شيئا من ذلك . لانه لا يعقل ، والذى لا يعقل يستحيل أن يوجد من يعقل ويكون له اصلا

(٤) أن الانسان وهو فى احط الحالات الانسانية التى يسكن معها الغابات والاحراش . يشعر دائما بمبدأ غريزى دينى يحمله على العبادة الألهية . بينما الحيوان مجرد من هذا الشعور تجرداً كاملا .

(٥) لقد مضى على العالم قرون طويلة وأحقاب عديدة . عثر فيها الباحثون على الوف الالوف من هياكل الاجسام البشرية والحيوانية المتحجرة ، ولكنهم لم يعثروا حتى الآن على هيكل واحد يبرهن على وجود أقل صلة بين الانسان والقرد

قال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى (لو صح القول أن الانسان متسلسل من القرد لوجب أن تكون الارض مملوءة من الادلة على ذلك التسلسل : مثل وجود هياكل قردة كثيرة متحجرة . لانه لما كان الجنس البشرى حديث العهد كان ينتظر أن بقايا أسلافه توجد بكثرة فى الطبقة العليا من طبقات الارض حتى لا يبقى أقل ريب فى نسبته إلى هذا

الحيوان، والحال أنه لا يوجد أثر لذلك)

ومن هذه الاسباب مجتمعة ينتج بطلان هذا المذهب بطلانا تاما وأنه بنى على نظريات فاسدة لا أصل لها .

وفوق ما ذكر فان اقطاب العلم فى سائر انحاء المعمورة الذين كان هذا المذهب فى عهد آبائهم موصدا فى أوجههم احكم ايصاد ، قد انفتحت لهم الآن فيه عدة كوى ، تسرب منها النور الساطع الذى شع على عقولهم فعرفوا الحقيقة كما هى فى الكتب السماوية وأخذوا يسفهونه ويستنكرونه أشد استنكار :

واليك آراء بعضهم : —

(١) قال فون باير العلامة الالمانى وهو من أكبر العلماء الفسيولوجيين والحفريين فى كتابه المطبوع سنة ١٨٨٦ م « أن الرأى القائل بان النوع الانسانى متولد من القردة ، هو بلا شك أدخل رأى فى الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان . وجدير أن ينقل الى اخلاقنا جميع الحماقات الانسانية مطبوعة بطابع جديد ، ويستحيل أن يقوم دليل على هذا الرأى المضحك من جهة المكتشفات الحفرية »

(٢) وقال العلامة فيركو من اساتذة علم الانتروبولوجيا (التاريخ الطبيعى للانسان) فى كتابه المطبوع سنة ١٨٧٧ م « يجب علىّ أن أعلن بان جميع الترقيات الحسية التى حدثت فى دائرة علم (الانتروبولوجيا) السابقة على التاريخ تجعل القرابة المزعومة بين الانسان والقرد تبعد عن الاحتمال بعداً كاملا . فاذا درسنا الانسان الحفرى فى العهد الرابع وهو الذى يجب أن يكون الانسان فيه أقرب إلى اسلافه نجد انسانا مشابها لنا كل الشبه فان جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة أنهم كانوا يؤلفون مجتمعا محترما للغاية . وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصرينا انفسهم سعداء ، إذا ما كان لهم رأس مثله »

ومما يدل على التخبط والخلط في هذا المذهب هو أن هذه المسألة انتقلت اليوم الى وجه آخر حيث أعلن أحد أساتذة برلين ، أن القرد هو الذى انحدر من الانسان . وأن الانسان لم ينشأ عن القرد ، وفى ذلك برهان من ادل البراهين على أن هذه المذاهب كلها ليست قائمة على اساس وعما قليل تنهار وتسقط ويكون سقوطها عظيما

فاللهم هب لاولئك الناس نوراً يرشدهم الى نور شمس الحقيقة الالهية وبنورها يدركون أن الله وحده علة العلل ومصدر الكائنات . وهو الذى كونها فى بدء وفى زمن من لا شيء سبق له كيانا مع كيانه الالهى . وأن مذاهبهم الفلسفية التى يحنون امامها رؤوسهم الآن اعظاما واكباراً سوف يضحك منها خلفاؤهم كما يضحك العالم اليوم من مذاهب الذين سبقوهم .

الفصل الرابع

فى اللاأدريين (المرتابين)

اللاأدريون هم أصحاب الرأى اللاأدرى الذى هو عبارة عن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث وهم فرقة من العلماء يعتبرون أن كل ما يختص بالانوار الروحية والعالم العتيد يتعذر معرفته والايمان به إذ ليس من دليل كاف يلزم الاعتقاد به . وهذه هى علة تسميتهم باللاأدريين .

ظهر أصحاب هذا المذهب حوالى سنة ٣٤٠ ق . م . واشهرهم شيشرون وارسيزيلاس وكارنياد . وكان بعضهم يعتقد أنه لا يمكن اثبات شىء ما بل يمكن أن يقال عن شىء أنه يحتمل فقط وبعضهم كان يعتقد أنه لا يمكن تحقيق شىء بالحواس . والبعض الآخر كان يعتقد أنه لا يمكن تأكيد شىء مطلقاً . وبنوا اعتقادهم هذا على أسباب وعلل كثيرة أشهرها :-

(١) من اختلاف أحكام البشر على شىء واحد (٢) من اختلاف أحكام الانسان الواحد فى الظروف المتعددة (٣) من اختلاف الشرائع والقوانين (٤) من تقلبات الانسان المادية .

وبناء عليه اعتقد أصحاب هذا المذهب أنه يتعذر عليهم أن يعرفوا الله فى وجوده وطبيعته بواسطة العلم لان العلم فى نظرهم ليس فى مقدوره أن يعرف سوى الظواهر فقط . وأما كونه يستنتج بان هذه الظاهرة نتيجة ظاهرة متقدمة : فليس ذلك من حقوقه ومن ثم رفضوا اثبات وجود الله بواسطة العلم . غير أن آراءهم هذه ساقطة من نفسها . ولا يوجد دليل متين يدعمها ويسندها حيث أثبت العلم وجود الله سبحانه وتعالى ببراهين واضحة جلية . ثم طرحها أمام العقل ففحصها وتبين مبلغ سدادها فقبلها واعلن اقتناعه بها (أنظر الباب الرابع فى نظام الكون وترتيبه)

الكلام

على

وجود الله سبحانه وتعالى

وصفاته الجوهرية المطلقة

ويعرف هذا القسم باللاهوت النظرى

الباب الرابع

فى

وجود الله سبحانه وتعالى

اذا رفعت لحظاتك الى فوق ، او اطرقت بنظرك الى الارض ، أو التفت يمنة أو يسرة ، لألفيت الكون حافلا بالادلة القاطعة والبراهين الناصعة التى تعلن فى جلاء ووضوح ، وجود كائن واجب الوجود ، أزلى ، أبدى ، شاعر بذاته ، عاقل ، حكيم ، موجود فى كل مكان ، ولا يحيط به مكان

فالسموات والارض وكل الموجودات تشهد شهادة واضحة جلية فى حق هذا الكائن العظيم ، وتعترف جميعا بلسان واحد انه صانعها ومكونها ومرتبها ، وانها لم تتكون عن ذاتها بل عن مبدع لها ، ولم توجد بهذا الترتيب العجيب على سبيل الاتفاق ، بل عن حكمة هذا الاله الذى أوجدها ، لا عن مادة سابقة ، بل عن عدم كلى

قال الوحى الالهى « فاسأل البهائم فتعلمك ، وطيور السماء فتخبرك أو كلم الارض فتعلمك ، وتحدثك سمك البحر ، من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا ؟ أى ١٢ : ٧ »

ومن أخص البراهين الدالة على وجود هذا الكائن العظيم ما يأتى : —

أولا — من نظام الكون وترتيبه أو علامات الغاية والقصد فى تكوينه

ثانيا — من شهادة الوجدان أو الضمير

ثالثا — من اتفاق البشر العام والمبدأ الغريزى الحامل لذلك

رابعا — من شهادة الوحى والتاريخ

الفصل الأول

(ا) من نظام الكون وترتيبه أو علامات الغاية والقصد فى تكوينه

إن الله جل شأنه لم يهد الناس إلى معرفته عن طريق الوحى فحسب ، ولم يعلن لهم ذاته الكريمة فى طريق يجبرهم على الإعتراف بوجوده وصفاته ، ولكنه أراد أن يكون الانسان حراً فيما يعتقده ، ولذلك أعلن له وجوده بمشاهدة آيات حكمته وقوته ، وجودته فى أعماله ، لأن المصنوع لا بد له من صانع . والأثر لا بد له من مؤثر

فهبك شاهدت قصراً فخماً مشيداً تشييداً حسناً ، منسقاً تنسيقاً بديعاً ، أما تحكم لأول وهلة بأن لهذا القصر مهندساً بارعاً وصانعاً حكيماً صنعه لغاية وقصد ؟ لأنك وجدت فيه الصفات الاستدلالية التى بها اهتدى عقلك الى القصد الغائى من صناعته

وهبك نظرت آلة من الآلات ، عجيبة التركيب دقيقة الصنع تسير بكل ضبط وإتقان ، أما تجزم بأن عقلا كبيراً أوجد هذه الآلة لعمل من الأعمال ؟ وهل يمكن أن يسلم عقلك بأنها وجدت صدفة وعرضا ، بينما يد الصانع لها تمثلت فى علامات الغاية والقصد فى انشائها ؟ لأن العقل الانسانى من شأنه أن يحكم بديهيا بوجود الصانع من تصوره المصنوع

وحيث أن علامات الغاية والقصد فى الآلة والقصر دلت على أن صانعاً حكيماً صنعهما فلمَ لا يستنتج من هذا المبدأ الثابت وجود الله سبحانه وتعالى ، بناء على ما يشاهد فى هذا الكون العجيب الذى هو أثر مصنوع جمع من الاتقان والنظام ما لا يسع العقل فهمه ، ولا اللسان وصفه ، أو ليست علامات الغاية والقصد التى نراها ماثلة فى سائر أجزائه ، دليلا قاطعا على أن يداً حكيمة أنشأته وكونته ، ويستحيل أن يوجد مع ما فيه من

دقة التركيب وأحكام الصنع ، إلا بقصد خصوصي ولغاية معلومة لا دخل فيها ليد الصدفة والعرض

وثق تمام الثقة أن الصدفة لا ترتب مطلقــــا ، واذا أردت أن تقتنع بذلك فخذ عشر ورقات ، واكتب على الورقة الأولى رقم (١) وعلى الورقة الثانية رقم (٢) وهكذا إلى عشرة ، ثم انثر هذه الورقات على الأرض بشدة فاذا تبينتهاواذ هي على الترتيب الآتى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ كان للصدفة عمل يذكر ؛ وإلا فهى باطــــلة . وإنى أؤكد لك ؛ إنك لو صرفت كل أيام حياتك ، تكرر هذا العمل ألوفا ومئات من المرات يوميا لما أمكن للصدفة أن تعمل هذا العمل مطلقا . وإذا كانت الصدفة تعجز عن ان ترتب امراً بسيطاً كهذا فهل تنتظر منها ان ترتب هذا الكون العجيب المدهش ؟ ان ذلك لهو المحال بعينه

(١) انظر الى أعضاء جسم الحيوان والوظائف القائم بها ؛ فانها كافية وحدها للدلالة على وجود الله ، وانك لتدهش عندما تقف على اقوال المشرحين فى شرح القلب والرئتين والعينين وبقية الاعضاء ولا يسعك الا ان تسلم بأنها عمل إله عظيم القدرة ، جليل الشأن والعظمة

اليك عضو البصر فانك لو تأملت فى تراكيبه العجيبة لالفيت كلا منها يدل على غاية وقصد حيث قامت بصناعته وتهذيبه عناية لا تدركها الافهام ولا تتخيلها الاوهام .

فهو محفوظ داخل تجويف من العظم ليقيه الضرر والعطب ومغطى من الخـارج باستار لتدفع عنه التراب والهوام . وفى زواياه غدد تفرز سائلا يغسل سطحه مما يعلق به الاوساخ والاقـذار ؛ وجدره مركب من طبقات تحوى مواداً شفيفة تسمح بمرور الضوء فيه ، وبداخله حاجز يسمى القزحية ؛ به ثقب صغير لمرور صور المرئيات الى داخل العين ؛ ويسمى انسان العين ، فينقبض وينبسط على قدر الحاجة ؛ كما ان به طبقة عصبية

حساسة معدة لتلقي صـــور المرئيات فينتقل التأثير الى موطن الابصار في المخ بطريق العصب البصري

فلعمري . أما تدل هذه التراكيب العجيبة الدقيقة على غاية وقصد من انشائها ، والا فهل يعقل ان هذا التركيب المحكم يوجـــد بطريق الصدفة والعرض ؟ أليس كل ما فيه ينادي بلسان واحد بوجود مبدع عظيم وخالق حكيم ؟

(٢) تأمل ايضا في الهواء الذي تستنشقه وتحيا بواسطته ، فانك ترى فيه امراً يستحق الاعتبار بما فيه من سمو الحكمة القاصدة حيث تجد معظمه مركبا من عنصر الاوكسجين وهو عنصر ملتهب ذلك الذي لو وجد وحده لأحرق العالم جميعه في لحظة واحدة ، ولدفع هذا الضرر الهائل ، أوجد له الصانع الحكيم عنصراً آخر يقال له النيتروجين الذي من شأنه ان يطفيء الاجسام المشتعلة . وباتحاد هذين العنصرين وجد الهواء ، الذي عليه قوام الحياة ، فهل للصدفة سبيل في هذه الانظمة المتقنة والاعمال المحكمة ؟ وهل يمكن أن تكون تلك المقاصد السامية قد وجدت بغير قاصد ومدبر ؟

(٣) واذا تركت التأمل في الهواء وجه نظرك الى الحرارة وما فيها من المنافع في خدمة العالم فانك تعاين فيها شتى الادلة على وجود الاله الحكيم القادر . فهي السبب الوحيد لبقاء الحياة النامية . والفاعل الاول في ايجاد الامطار بما فيها من قوة التبخير والتصعيد . كما انها هي المساعد الاعظم لقوى النمو العام . وماجاء فيها برهانا اعظم على سمو حكمة مبدعها هو أنه جعل نفوذها في السوائل بطيئا جدا بالنسبة إليه في المعادن . ولولا هذا البطء لكانت الثلوج التي على الجبال سالت دفعة واحدة متى سخن الهواء واغرقت سكان المنخفضات والمنحدرات

(٤) ثم اطلق عنان بصرك ايضا في الاجرام الفلكية . وما فيها من الضوابط والقوانين التي تحفظها بدون خلل ولا تغيير ، على مر الدهور وتوالي

العصور . لاسيما الشمس التي وضعت في كبد السماء لتكون كارزاً متنقلا يخطب في الناس بصمته الفصيح ، ويحضهم على اعتناق الايمان والتصديق بهذه العقيدة الصحيحة ، فهي كقاض جائل ، يقضي بالدينونة والعقاب على الذين يتجاهلون هذه الحقيقة وينكرون قوتها

فكن أنت أكثر عرفانا منها بفضل وإحسان من غمرك بنعمه وإحسانه من أخمص قدميك حتى قمة هامتك ، وحسبك أن تتخذ جمال جسمك ودقة صنعه برهانا على وجود وحكمة ذلك الصانع القدير . لأنه لا يمكن للعقل الناضج أن يسلم بتكوين هذا الهيكل البديع ، بمفاجأة الصدف والاتفاق

فمن الحكمة وسداد الرأي اذاً ، ان نعتقد أن للعالم صانعا قديراً ، وان كل ما يجري تحت الشمس ، انما يجري بيد حكيمة قوية ، تعمل في الخفاء ومن وراء الستار في ادارة وقيادة هذه الكائنات المتنوعة

وانه لمن الحق حقا الاعتقاد بصدور هذه الاعمال الدالة على عقل راجح وفكر واسع من خليقة مجردة عن العقل والادراك

فالليل والنهار يتعاقبان على نظام مطرد ، والفصول تروح وتغدو على ترتيب لا يتغير ، والانهار من البحار تمتلىء واليها تعود

وبالاجمال فان الطبيعة كلها من بحار وانهار ، وجبال ووديان ونجاد ووهاد ، ونبات وحيوان ، تعلن بآيات عجيبة صريحة ، ذات معان صحيحة مفيدة ، وجود كائن حكيم اوجدها ورتبها على هذه الحال وما زال يقودها بحكمته ويسوسها بعنايته الشاملة لاكبر واعظم الاجسام السموية الى اصغر واحقر الدوبيات الارضية

قال بولس الرسول : « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر . رو ١ : ٢٠ »

وقال أيضا : « إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء وصنع من

دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض ، وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم لكي يطلبوا الله ، لعلهم يلتمسونه فيجدوه ، مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد»اع ١٧ : ٢٥

وقال صاحب المزمور : (السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه)مز ١٩ : ١

وقال يوحنا فم الذهب : (لو كان الله تعالى أعلمنا بوجوده بواسطة الكتب والحروف فقط ، لكانت معرفته إختصت بذوى العلوم فقط الذين يعرفون قراءة الكتب ، وأما الجهلة الذين لا يحسنون القراءة فلا تتيسر لهم معرفة الله ، إلا إذا شرح لهم احد مضمونها ، وهكذا أيضا كان الأغنياء فقط يختصون بذلك لأنهم وحدهم يمكنهم أن يحصلوا على تلك الكتب المتضمنة معرفة الله ، أما الفقراء فكانوا قد عدموا تلك الفائدة لقصورهم عن امتلاكها ، وأيضا لم يكن ليستفيد من تلك الكتب إلا من كان عالما بلغتها ، وأما عديمو معرفة تلك اللغة فلا يمكنهم أن يستفيدوا منها أصلا ، غير أن هذا النقص لا يوجد فى كتب الطبيعة ، لأنها تتكلم ولكن ليس بألفاظ بل بالمشاهدة الممكنة لجميع الجاهل والحكيم ، الغنى والفقير حيث يستطيع الكل أن يقرأوا فى هذا الكتاب العظيم ويطلعوا على عظمة ومجد صانعه

فحقا أن الطبيعة لها صوت يخاطبك ، إلا أن منظرها يبدى صوتا أشهر من صوت البوق ، صوتا يسمع بالعيون لا بالآذان

قال أحد الفلاسفة : (الكون إنما هو كتاب اللاهوت الذى قرأه الفلاسفة فكان لهم انجيلا وهو مرآة الله التى نظروا بها صورته الجميلة وهو النفير الذى صوت عن تدبير الله بما أوجده فيه من ترتيب ونظام)

وقد قال أحد مشاهير الملحدين : (أن كتاب الطبيعة مفتوح دائما وتعاليمه واضحة وافية . ولا حاجة لنا أكثر من ذلك)

وحيث ان وجود الخالق جل شأنه مسطر بآيات واضحة صريحة فى كلا كتابى الاعلان والطبيعة فلا عذر إذاً لأجهل الناس وأغباهم ، إذا كانوا لا يرون أمور الله الغير المنظورة ، ظاهرة فى أعماله المنظورة (رو ١ : ٢٠)



الفصل الثانى

٢ ـ شهادة الوجدان أو الضمير (النور الطبيعى)

الضمير هو عضو الشعور الادبى فى داخل الانسان . وهو كالعين للجسد ، فكما ان العين تميز الاشياء عن بعضها هكذا الضمير يميز الافعال الصائبة عن الخطئة . فهو وان أخطأ فى بعض الاحيان الا ان ذلك لايؤخذ دليلا على فساد حكمه العام

قال القديس اوغسطينوس : « ان الله سبحانه وتعالى نصب فى قلب الانسان ديوانا وجعل فيه العقل قاضيا والضمير مدعيا والفكر شاهداً . وكتب بأصبعه العزيزة على صحائف القلب . آيات وجوده تعالى . ووحدانيته وازليته وتكوينه العالم وعنايته به »

وقال العلامة (بوردون) « ان ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل ان تكشفه لنا عقولنا . فالله هو الكائن الذى لا يدرك ولا يوصف ومع هذا فهو ضرورى »

إنه ولئن انكر الملحدون وجود الخالق سبحانه وتعالى . الا ان صوت الضمير الباطن . الذى يبين للناس الحلال ويأمرهم به . والحرام وينهاهم عنه لدليل قاطع على افكهم وبهتانهم لابل ان الحرب القائمة فى داخل الانسان . من مدح واطراء اذا فعل خيراً . وذم وتوبيخ اذا فعل شراً . وحزن وندامة اذا اقترف منكراً . وسرور وارتياح إذا أتى معروفا . لبرهان كلى على وجود إله قدوس بار حكيم عادل ملء الكمال وكنز الصلاح يثيب الأبرار لبرهم ويعاقب الأشرار لشرهم . ويطالب الناس بسيرة حسنة وقلب صالح . وإلا لما حدثت هذه المناجاة الخفية بين الإنسان وقلبه فى أمر حب الخير وبغض الشر

ولعمرى ، كثيراً ما يكون الإنسان قادراً على اغتيال حقوق من هو أضعف منه نفرا وأحط شأنا ، دون أن يقف فى وجهه مانع من الموانع

ولكنه يحجم عن أتيان ذلك ويمتنع لا لشيء سوى أنه يرى ضميره غير مرتاح لهذا العمل ، ولا يمكن أن نفسر ذلك إلا بأن ضميره يشعر بأن هناك إلها يعاقب على الجور والظلم ويأخذ بحق الضعيف من القوى ويأمر الناس أن يحافظوا على نظامه الأولى الذى أوجده فى كائناته . وبهذا الدافع الباطنى وحده امتنع عن ذلك العمـــل وأحجم بينما كان قادرا على إتيانه والاستفادة منه .

ومما يستدعى الالتفات اليه . إنه رغم الالحاد الذى يحاول الناس نسيان عقاب الخطية بواسطته . فانك ترى نفس الملحدين يخشون ذلك العقاب ويتوقعونه دنيا وأخرى

ولقـــد ورد عن أكثر الناس كفرا إنهم كانوا أشد الناس خوفا من الموت . وعبثا كانوا يحاولون تهدئة ضمائرهم وتسكين اضطرابها . التى شعورها بوجود إله عادل منتقم من الأشرار . حرك فيهم كل خوف وارتعاب من قصاص الخطية . بعد مغادرتهم هذه الحياة . فاضطروا إلى أن يعترفوا صاغرين بوجود الاله .

ومن بين هؤلاء . الملك أنطيوخس الذى جاء عنه فى سفر المكابيين أنه عندما دهمه الموت استدعى أفراد أسرته وأشراف مملكته وشرع يقول متوجعا :

(الآن أذكر ! فقالوا له أى شيء تذكر أيها الملك السعيد ؟ أتذكر عظائمك وغلباتك الشهيرة ؟ فأجاب : كلا ، بل أذكر الآثام التى ارتكبتها . الآن أذكر الشرور التى عملتها فى أورشليم . الآن أذكر نهبى لبيت المقدس : والفتنة العظيمة التى صنعتها فى الشعب . وسلب أموالهم وإبطال أعيادهم . وطقوس دياناتهم وأحراق توراتهم . فقالوا له : ليس وقت لمثـــل هذه التذكارات المكدرة لأنك عليل . افتكر بالجيوش التى كسرتها والغنائم التى ربحتها والبلدان التى افتتحتها . فأجاب الملك قائلا : ويل لى لست أذكر من هذا شيئا)

ولا عجب فى ذلك لان من فقد الله . فقـــد السلام والرجاء والنور والقوة وامتلأت حياته بالمخاوف والاضطرابات التى لاحد لها ففى الايمان بالله وحده راحة الضمير واطمئنان القلب (يو ١٤ : ١)

أليست هذه أدلة مقنعة حية صحيحة على وجود خالق عظيم تعترف به الضمائر وترهبه وإن أنكرته الافواه وجحدته .

واذا قال المعترضون ان الضمير قد يتكون من التربية أو رهبة القانون قلنا أن التربية ورهبة القانون وغيرها لا تكون إلا مقومة للضمير فقط . واما الضمير فوجود قبل هذه الوسائط . والدليل على ذلك أن الناس قبل أن تعطى لهم الشرائع المكتوبة كانوا يميزون بين الحلال والحرام . فيأتون الاول ويتركون الآخر لا بل أن الطفل الصغير قد يرتاح إلى الأمور المحللة ويكره الامور المحرمة فلو قلت له أن الكذب حلال والصدق حرام لما قبل قولك هذا وعارض فيه

وفى ذلك دليل على أن الضمير هو ناموس الانسان الطبيعى .

قال بولس الرسول : (لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم . الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا فى قلوبهم شاهداً أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة) رو ٢ : ١٤ و ١٥

الفصل الثالث

٣ — من اتفاق البشر العام والمبدأ الغريزى الحامل لذلك

قال سينيكا الفيلسوف (أن اتفاق الجميع على أمر حجة على تحقيقه) وعلى هذا المبدأ نقول . لقد اتفق جميع الشعوب والقبائل . جماعات وأفراداً فى كل زمان ومكان . سواء أكانوا علماء أو جهلاء . متمدينين أو متبربرين . على وجود إله ملء الكمالات صالح قدير محب للناس تجب محبته وعبادته لاحتياج الجميع إلى عنايته ومساعدته

ولقد طاف كثيرون الأرض وتبينوا شعور الناس من جهة هذه العقيدة . فوجدوهم مسوقين اليها سوقا ومدفوعين اليها اندفاعا لا يقل عن اندفاعهم وراء كل شيء ضرورى فى الحياة

ولعمرى ان اتخاذ بعض الأمم المتبربرة الدواب والحشرات الحقيرة آلهة ثم تقديم فلذات اكبادهم ضحايا لها استجلابا لعطفها وابتغاء لرضاتها . وتعريض أنفسهم لسيوف الاضطهاد حبا فى الذود عنها والمحافظة عليها . لدليل قاطع على أن الديانة هى صفة غريزية نشأت مع تكوين الانسان (ونقصد بالصفة الغريزية أنه لم يحصل عليها الانسان والحيوان بالاختبار والمران ولكنها وجدت فى طبيعته)

ولهذا عندما أراد بولس الرسول أن يبرهن لفلاسفة أثينا على وجود إله يستحق العبادة . اتخذ المبدأ الغريزى الحامل على العبادة الالهية دليلا على ذلك حيث قال (فالذى تتقونه وانتم تجهلونه هذا أنادى لكم به اع ١٧ : ٢٣)

قال فولتير الفيلسوف (إذا نظرنا الى صولون وسقراط وشيشرون وجدناهم جميعا عبدوا سيداً وقاضيا وأبا فهذه العبادة هى ضرورية للانسان وهى للالفة رباط مقدس ، وللعدل أساس وطيد ، وللشر لجام كابح . وللخير رجاء صالح ، فلو امكن زوال سمة هذا الاله عن وجه السموات فلم تعد

تخبر به ، أو بالحرى لو لم يكن الله موجوداً لدعت الضرورة أن يخترع وجوده)

ولا تعد ذلك مبالغة أو مغالاة فى القول. لان الحياة بدون الاله تكون ناقصة . والعالم مظلما والابدية مجهولة ويشعر الانسان بانه وحيد فريد ضائع فى وسط هذا الكون العظيم

وإذاً ما اوجد الله هذه الغريزة فى العقل واضرم نار حبها فى النفس وجعلها عامة فى سائر الخلق إلا لتكون حجة بالغة على وجوده تعالى . ولكى يعلم الجميع ان هذا الاتفاق العام الذى هو كسلسلة كاملة الحلقات من بداية العالم الى الآن لا يمكن ان يكون كذبا وضلالا . وكيف يكون كذبا وضلالا والميل الدينى الذى غرزه الله فى الطبيعة الانسانية هو ملحها الذى يحفظها من الفساد ويبقيها فى دائرة الآداب غير متجاوزة حدودها فهو ولا ريب بمنزلة الميل الطبيعى للتناسل فكما انه بهذا الثانى تحافظ الطبيعة على ذاتها من الاندثار هكذا بذاك الاول تحافظ على ذاتها من هجوم الفساد

الفصل الرابع

٤ — من شهادة الوحي والتاريخ

امامنا الكتاب المقدس مفعم بالنبوات والاشارات التي ترمز الى كثير من المستقبلات . وبجانبه التاريخ يؤيده ويصادق على حدوث هذه النبوات في اوقاتها المعينة طبقا لما ورد عنها في هذا الكتاب . فبماذا نعلل ذلك ؟ أننسب هذا لحذاقة البشر وحصافة عقولهم ؟ او ان ما ورد في الكتاب ملفق ومبتدع وجاراه التاريخ في تلفيقه وابتداعه ؟

ليت شعري لا هذا ولا ذاك فغور المستقبل أبعد من ان تسبره عقول البشر . اما مجاراة التاريخ للكتاب فيحول دون الوصول اليه تباين العقيدة والمذهب

اذاً تلك النبوات الواردة في الكتاب هي من ادل البراهين واصدقها على ان لمكون إلها عليا . ولكمال علمه قد سبق واشار في كتابه الى تلك الحوادث التي لم تلبث ان وافاها زمانها المحتوم حتى وقعت وتحققت . لا سيما وان تمام هذه النبوات لم يؤيده التاريخ فحسب . بل ايدته الآثار والاطلال الشاخصة التي اعلنت وما زالت تعلن عن تلك الحقيقة التي لا تكذب بصمتها البليغ

والآن نذكر بعض نبوات الكتاب مشفوعة بما ورد عنها في التاريخ المعتمد ونؤمن ان للمكون إلها جعل الاوقات والازمنة تحت سلطانه المطلق

فلقد ورد عن بابل في سفر أشعياء ما يأتي :

« وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة . لا تعمر الى الابد ولا تسكن إلى دور فدور . ولا يخيم هناك اعرابي ولا يربض هناك رعاة بل تربض هناك وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم . وتسكن هناك بنات النعام وترقص هناك معز الوحش . وتصيح بنات

آوى فى قصورهم والذئاب فى هياكل التنعم ووقتها قريب المجىء وأيامها لا تطول ، اش ١٣ : ١٩ — ٢٢

هذه نبوات الكتاب من جهة بابل إبان عزها ومجدها وفى الايام التى لم يكن ليتصور إنسان أن ايدى الخراب والدمار تستطيع ان تعبث بها على أنك اذا زرتها الآن لبهت وانذهلت عجبا ولملكتك الدهشة والحيرة . اذ ترى بابل، زينة الممالك وفخرها قد هدمت اسوارها الشامخة ودكت ابراجها العالية وزال مجدها وبهاؤها واصبحت ارضا مجدبة يابسة مقفرة محرقة لا يسكنها من الناس كائنا من كان حتى العرب ملكتهم المخاوف ولعبت فى رؤوسهم الاوهام والهواجس . فامتنعوا عن ضرب خيامهم فيها وتركوها مأوى للنمور والاسود ومثوى للثعابين والثعالب والفهود . يرن فى خرائبها المظلمة المخيفة نعيب القوق والبوم عوضا عن صوت المزمار والقيثار وذلك طبقا لما ورد عنها فى أشعياء وسائر الانبياء

وجاء عن نينوى فى سفر صفنيا ما يأتى :

(ويجعل نينوى خرابا يابسة كالقفر فتربض فى وسطها القطعان كل طوائف الحيوان . القوق أيضا والقنفذ يأويان إلى تيجان عمدها . صوت ينعب فى الكوى . خراب على الاعتاب لانه قد تعرى ارزيها . هذه هى المدينة المبتهجة الساكنة مطمئنة القائلة فى قلبها انا وليس غيرى . كيف صارت خرابا مربضا للحيوان . كل عابر بها يصفر ويهز يده . صف ٢ : ١٣ — ١٥)

فهذه نينوى التى يصفها المؤرخون يوم ان تنبأ عنها النبى بهذه النبوة ان ارتفاع اسوارها كان مائة قدم ودائرتها ستين ميلا وهى محصنة بألف وخمسمائة قلعة طول الواحدة منها مئتا قدم . قد تمت فيها هذه النبوة تماما عجيبا ونزل عليها قضاء الله فخربت خرابا ابديا . وصارت قصورها الباذخة تلالا من التراب والرمال ومخادعها الجميلة كهوفا للقردة والقرق وبنات النعام

فمن يرى تلك الادلة المحسوسة الملموسة وينكر ان للكون إلها يتصرف فيه بحسب إرادته ومقاصده الصالحة ، ومن يتصور أن تلك الحوادث المدهشة العجيبة تبرز إلى الوجود من ذاتها او على سبيل الصدفة والاتفاق إلا اذا كان جاهلا غبي القلب . مز ١٤ : ١



الباب الخامس

فى

صفات الله سبحانه وتعالى

س — ما هو الله جل شأنه ؟

ج — هو روح بسيط — ازلى ابدى ، قادر على كل شىء عديم التغير والتحول — غير محصور فى مكان — مدبر كل شىء ، عليم حكيم — قدوس كامل جواد ، غير مستند او متعلق باحد وكل المبروءات متعلقة به

ويقال لهذه الصفات جوهرية ومشاعة ومطلقة وذلك بخلاف الصفات الأقنومية الخاصة التى يتميز ويختص كل اقنوم من الاقانيم الثلاثة بخاصة منها . وهى الابوة والبنوة والانبثاق

تمهيد : ذات الله وصفاته

اعلم ان ذات الله سبحانه وتعالى مخالفة لسائر الذوات ، وهى فوق عقولنا وإدراكاتنا ولا يمكننا ان نتصور ما هى ، لانها تسمو عن الامثال والاشكال وإذا كان الانسان يعجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الخالق من باب أولى . واليك ما قاله احد الفلاسفة المسيحيين فى وصف هذه الذات الجليل قدرها (انه جوهر كائن فى ذاته ، ازلى ابدى ، عادم الفساد ، خالد كامل ، غير مفتقر إلى شىء لانه هو الذى يسد كل حاجة وعوز . لا احتياج له إلى سواه لانه هو الذى يهب ويغمر بفضله كل المحتاجين . هو سرمدى لان كل

ما له بداية له نهاية ايضا . لا اسم له لان ما له اسم فهو مخلوق من غيره .
لا لون ولا شكل له لان من له هذه الخواص يعد ويحد . هذا الكائن لا ذكر
ولا انثى لان من هو هكذا فهو خاضع لسلطان الآلام . لايمتد تحت السموات
لانه اعلى منها . لاند له لان الند يجب ان يكون مساويا لنده . لايتحرك ولا
يحصى ولايعبر عنه لانه لايوجد مكان يتحرك فيه او اليه . وبما انه لايعد
فهو لايحد . ولا يحيط به شيء لانه مالىء الكل وفائق على كل المنظورات وغير
المنظورات . لااحتياج له قط إلى ضحايا او هدايا او إلى شيء ما هو فى
المخلوقات لانه هو المكافى الحاجات الباقى بعظمته دون ان يشعر بنقصان
البتة) غير ان عدم إدراكنا ذات الله لاينفى حقيقتها ووجودها لان كثيراً
من الاشياء فى هذا الكون لايدرك العقل ماهيتها وكنهها ولكن يحكم
بامكانها . فنؤمن بها بلا فحص ولا جدال . هذا من جهة ذات الله

اما من جهة صفاته تعالى فهى ذات معان بخلاف المعهودة عند البشر وهى
ليست مثل صفاتنا بل تسمو عليها سمواً يفوق حدود السمو والرفعة : غير
ان الانسان عندما اراد ان يصف الله جل شأنه نظر إلى الموجودات التى
حوله فوجدها نوعين : جليل وخسيس فنسب الجليل لله ونزهه عن الخسيس
فوصفه بانه موجود لينفى عنه العدم ، ووصفه بانه قادر لينفى عنه
الضعف ، والحقيقة ان الله اسمى وارفع من ذلك بما لا يحد .
وليت شعرى أليس يوصف الله بأنه حي ولكن ما معنى حياته ؟ فالحياة فى
جانبنا انما هى اعتدال المزاج النوعى أو قوة الحس والحركة ولا يمكن أن
تكون حياة الله من هذا النوع . فاذن معرفة ذات الله وصفاته تفوق
العقول والادراك ولا يمكننا معرفتها الا بالتسليم والايمان بما ورد عنها فى
الكتب الموحى بها فقط

وصفات الله مطلقة ، ونسبية ، وايجابية ،وسلبية ، وموصولة ،ومفصولة فالمطلقة ما كانت فى الله وحده والمخلوقات مجردة منها كالصلاح المطلق . والنسبية كالرحمة لاننا لا نستطيع أن نفهمها من غير الخليقة التى يمارس الله رحمته معها ، وايجابية كالشفقة . وسلبية كعدم التغيير . وموصولة وهى التى تستطيع المخلوقات أن تشترك فيها كالابدية . ومفصولة وهى التى لا تستطيع المخلوقات أن تشترك فيها كالازلية .



الفصل الاول

فى روحانية الله

الله سبحانه وتعالى روح بسيط ليس بمادة وليس بجزء من الكون ولا كله ، أى غير قابل للتقسيم والتجزئة ومنزه عن كل اختلاط وتركيب ، خاليا من كل جسم وصورة وغير منظور بالأعين ولا محسوس بالحواس الجسدية ولا يجوز أن ينسب اليه شيء من صفات المادة كالتحيز والثقل والصغر والكبر . ولا يشبه بالممكنات فى شيء من الاشياء

قال الوحى الالهى « فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلونه به» اش ٤٠ : ١٨

وقد دعى روحا أيضا لانه يعلم ذاته وصفاته

أما ما جاء عنه فى الكتاب المقدس من أن له أيد وأعينا وأصابع والى غير ذلك من الاعضاء فيجب أن نفهم انها استعارات مشاكلة تدلنا على صفات الهية مناسبة لها بأفعالها فقط لاننا لا نقدر ان نفهم الروحيات الا بألفاظ مأخوذة من الجسديات . ومن ثم يجب ان نفهم ان المراد بيد الله (اولا) قوته لانه كما ان يد الانسان تصدر عنها كل الافعال البشرية، هكذا قوة الله هى مصدر جميع الافعال الالهية كقول صاحب المزمور « واخرج اسرائيل من وسطهم بيد شديدة وذراع ممدودة مز ١٣٦ : ١٢ » (ثانيا) حكمته وجودته كقول النبى « من قدم اسست الارض والسموات هى عمل يديك مز ٣١ : ٢٥ » (ثالثا) محافظته وصيانته الاخية كقول داود « فى يديك أستودع روحى مز ٣١ : ٥ » (رابعا) مشيئته تعالى كقول داود ايضا « فى يدك آجالى مز ٣١ : ١٤ » أى أن أموت أو أحيا أو اقع فى أيدى أعدائى أو انجو منهم فذلك متعلق على ارادتك ومشيئتك

المطلقة (خامساً) صرامة النقمة الالهية وشدتها كقول صاحب المزمور « لان يدك ثقلت علىّ نهاراً وليلا مز ٣٢ : ٣ »

وان المراد بعين الله واذنه معرفته الفائقة واحاطته علما بكل ما يحدث فى السماء وعلى الارض ، كقول الكتاب « كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذى معه أمرنا » عب ٤ : ١٣

فالعين والاذن فى جانب الله سبحانه وتعالى ليستا بحدقة وأجفان ، ولا صيوان وصماخ كما فى الانسان والحيوان . وانما هما صفتان ازليتان قائمتان بذاته تعالى

أما المراد بوجه الله فذاته وصفاته

نعم انه جل شأنه ظهر لابراهيم وموسى ودانيال وغيرهم فى جسم انسان غير ان ذلك ليس بدليل على ان له هيئة كهيئة البشر أو أن أولئك الانبياء رأوا الله نفسه لان الله روح لم يره احد قط (يو ١ : ١٨) وانما رأوا هيئة جسدية وقتية كان يظهر بها احيانا ليعلن بها أرادته الصالحة لعبيده الامناء .

وهكذا ما ورد عن السيد المسيح له المجد أنه جلس عن يمين الآب (مر ١٦ : ١٩) لا يفهم منه أن الله له يمين وشمال أو له مكان معين فى السماء . لان تلك من خصائص الاجسام وانما هى أستعارة يعبر بها عن مساواة الابن للآب فى المجد والشرف والعزة والقدرة

أما ما ينسب اليه تعالى من صفات البشر كالفرح والحزن والمحبة والبغضة والرضى والغضب . فلا يمكن ان تكون حقيقية لانها نقائص غير لائقة فى حق الجلال الالهى ، وانما هى أمور مجازية عبر بها الكتاب باصطلاحات بشرية ليستدل بواسطتها على ما وصلت اليه حالة الانسان من خير وشر أو تقدم فى الفضيلة وانحطاط فى الرذيلة

فقول الكتاب « فحزن الرب على أنه عمل الانسان وتأسف » تك ٦ : ٧

أى أنه كان كمن يحزن ويتأسف لفساد عمله لان تصرف الانسان وقتئذ كان على وجه يدل على انه محزن ومؤلم ومخالف لارادة الله الصالحة

وكل صفة تستحيل حقيقتها على الله تفسر بلازمها . فالغضب مثلا تستحيل حقيقته على الله لانه عبارة عن غليان فى الدم والله منزه عن ذلك . ولكن المراد به لازمه وهو الانتقام والقصاص الذى يجريه جل شأنه ضد المخالفين ، وكذلك المحبة ايضا فانها تفسر بلازمها وهى اكرام المحبوب وارضائه .

ولقد شهد الكتاب بروحانية الله بقوله « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » يو ٤ : ٢٤

« وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب فهناك حرية » ٢ كو ٣ : ١٧

الفصل الثانى

فى سرمدية الله (أزليته وأبديته)

أزلى ابدى — أى أنه عديم الابتداء والانتهاء فى وجوده الذى لم يقترن بزمن (١) بل يحيط بسرمديته الازلية والابدية ، ويعلو عليهما ، فهو الواجب الوجود لذاته ، والكائن بالذات ، المستقل بصفاته . الذى كان فيما تقدم ، وسيكون فيما يأتى ، ملكه ملك جميع الدهور ; وسيادته فى سائر الاحقاب والعصور ، لابداية لأزليته ولانهاية لأبديته ، ولا زوال لوجوده ولا فناء لبقائه . وان يوما واحداً عنده كألف سنة ، والف سنة كيوم واحد (٢ بط ٣ : ٨) لأنه لو كان جل شأنه محدثا لكان بعد ان لم يكن ومن وجد بعد ان لم يكن ، فقد أوجده آخر ، والاخر اوجده آخر ; وهكذا نستمر فى التسلسل الى ما لا نهاية ، وحاشا لله ان يكون هكذا ; لأن من كان هذا شأنه ، فليس إلها خالقا بل مخلوقا . أما الرب فهو منذ الازل والى الابد فلم يكن أحد قبله ولم يكن أحد بعده

ولنا على ازلية الله وابديته دليلان : —

أحدهما : حدوث هذه الكائنات وتغيرها وتحولها من حال الى حال ، حيث ثبت من الابحاث العلمية والاكتشافات الجيولوجية (٢) ان العالم لم يكن فى كل زمان ، على ما هو عليه الان ، وان الحياة حادثة ، وان الكائنات المنتظمة ابتدأت ، ثم انتشرت ، على ترتيب محكم ، وانها لم تتألف دفعة واحدة على مايبدو لنا اليوم وان الارض كانت فى وقت ما خالية من الموجودات الحية ، وسطحها عار من الزينة النباتية ، فى هدوء لايتخلله

---

(١) لان الزمن قد ابتدأ منذ خلقة الملائكة والنور فى اليوم الاول

(٢) الجيولوجيا علم مداره البحث عن شكل الارض وطبيعة المواد المكونة منها وكيفية هذا التكوين

صوت حيوان . كما ان الارض نفسها لم تكن ذات سطح صلب من البداية بل كانت مائعة خاضعة للجذب المركزي . وما كان يرى بها جبال ولا وديان ولا موجود آلى ، بل كانت سائلا ناريا فبردت ، وتجمدت تدريجا ، فظهرت عليها الابحار والاغوار التي اجتمعت فيها المياه ، ثم الحشائش والنباتات والاشجار ، ثم الاسماك والطيور والحيوانات ، اما آثار الانسان الصحيحة فلم تظهر عليها الا في النهاية . وتلك ادلة قاطعة تنفي ازلية الارض وما عليها نفيا باتا ، وتثبت انها معلولة لعلة ازلية قادرة حكيمة ، وهى التى ذكرنا آنفا ان العقل لا يمكن ان يسلم بحدوثها والا لزم التسلسل وهذا باطل بالبداهة

والدليل الآخر : الوحى الالهى ، حيث اوضح أزلية الخالق جل شأنه ايضاحا وافيا بقوله « قبلى لم يصور إله . وبعدى لا يكون . اش ٤٣ : ١٠ » و« أنا الاول ، وأنا الآخر ، ولا إله غيرى : اش ٤٤ : ٦ » و« أنا هو الالف والياء البداية والنهاية يقول الرب ، الكائن والذى كان والذى يأتى » رؤ ١ : ٨ و« حى أنا الى الابد تث ٣٢ : ٤٠ » و« ملكك ملك كل الدهور ، وسلطانك في كل دور فدور مز ١٤٥ : ١٣ » و« الى دهر الدهور سنوك ، من قدم أسست الارض والسموات هى عمل يديك ، هى تبيد وانت تبقى ، وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغير ، وأنت هو وسنوك لن تنتهى مز ١٠٢ : ٢٤ - ٢٧ » و« من قبل ان تولد الجبال او ابدأت الارض والمسكونة ، منذ الازل الى الابد انت الله مز ٩٠ : ٢ »

الفصل الثالث

فى

قدرة (١) الله — أو ارادته

— قادر على كل شيء — أي كل شيء ممكن لقدرته ، ولا يوجد شيء غير مستطاع عنده ، إلا الذي لا يريده ، (كالنقائص والرذائل) لأنها من أعمال الضعف ، فقوته لا تقاوم ، وسلطته لا تخضع ، بل يعمل حسب مشيئته ومقتضى قصده ، بدون احتياج إلى وسائط ليستعين بها ، لأن عظمته فائقة وقوته غير محدودة ، ولا يمكن أن يعارضه مانع فى نفاذ أوامره وأحكامه ، فما يريده يعمله وما يعنيه يتممه ، مهما كان عسيرا ، بحيث لا يستطيع انسان كائنا من كان ، أن يقاوم ارادته ويغير مشورته ، او يمنع يده ويقول له ماذا تفعل ، «فكل الامم كلا شيء قدامه ، من العدم والباطل تحسب عنده ، والامم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب » اش ٤٠ : ١٧ و ١٥

وليس ذلك فحسب ، بل أن النواميس الطبيعية أيضا ، ذات القوانين التي لا تتغير فى نظر البشر ، لا تستطيع ان تقف حائلا ضد اجراء مقاصده ونفاذ رغباته الصالحة

انظر الحوادث الآتية وتأمل فيها مليا : —

(١) حبل اليصابات وهى عجوز عاقر (لو ١ : ١٨)

(٢) وقوف الماء كسور فى شدة جريانه (خر ١٤ : ٢٣)

---

(١) ان القدرة والارادة شيء واحد وان كان الناس يجعلون كل صفة منهما قائمة بذاتها

(٣) عدم ظهور رائحة النار فى أثواب الفتية ، وهى فى منتهى اضطرامها (دا ٣ : ٢٣)

(٤) رجوع الشمس عشر درجات الى الوراء (اش ٣٨ : ٨)

واذا قيل ، أن كانت قوة الله أو ارادته لا تقاوم ، بل يعمل حسب مشيئته ومقتضى قصدة ، فلماذا يقول صاحب المزمور « يامخلص المتكلين عليك بيمينك من المقاومين مز ١٧ : ٧ » أى الذين يقاومون قوتك ويضادون ارادتك . قلنا أن الارادة الالهية أو القدرة تفهم على وجهين : مطلقة وشرطية — فالارادة المطلقة هى التى يريد بها الله شيئاً من غير شرط أصلا بل على الاطلاق وهذه لا بد من تمامها ونفاذها على كل حال كما يقول أشعيا النبى « رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى اش ٤٦ : ١٠ » أما الارادة الشرطية فهى التى يريد بها الله شيئا ولكن لا على الاطلاق بل بشرط . كقول الكتاب « الله يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون ١ تى ٢ : ٤ » أى أن الله يريد خلاص الجميع . بشرط أنهم هم يريدونه أيضا . وهذا يفسره قوله تعالى « ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك . . ولم تريدوا مت ٢٣ : ٣٧ »

أما قدرة الله فقد قام عليها دليلان قويان :

احدهما : ايجاد هذا الكون من العدم ، وحفظه اياه من الاضمحلال والانحلال ، والعناية المدهشة بكل ما فيه حيا كان أو جماداً ، كما أوضحنا ذلك فى (علامات الغاية والقصد)

والدليل الآخر : الكتاب المقدس حيث ينسب لله قوة غير محدودة وقدرة فائقة بقوله « أنا الاله القدير تك ١٧ : ١ » و « هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شىء مستطاع مت ١٩ : ٢٦ » و « لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله لو ١ : ٣٧ » و « هل يستحيل على الرب شىء تك

١٨ : ١٤ » و « أيها السيد الرب ها انك قد صنعت السموات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة لا يعسر عليك شيء ار ٣٢ : ١٦ » و « كل ما شاء الرب صنع فى السموات وعلى الأرض وفى البحار وفى كل اللجج مز ١٣٥ : ٦ » .

ولقد وصف أشعياء النبي قدرة الله بألفاظ وتشبيهات لا يوجد أبلغ وأسمى منها فقال « من كال بكفه المياه ، وقاس السموات بالشبر ، وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان ، والآكام بالميزان اش ٤٠ : ١٢ » .

ولا يخفى أن الكف والشبر والكيلة من أصغر المقاييس التى لاتستعمل الا فى تقدير لأشياء البسيطة الزهيدة ، ولكن قدرة الله تستطيع أن تقيس بها السموات وتكيل البحار وتزن الجبال ، وفى ذلك من القوة والاقتدار ما يسمو على العقول والأفكار

الفصل الرابع

في

عدم تغير الله

عدم التغير والتحول

أي أنه تعالى منزه عن الاغراض . وذو كمال غير متناه لا يمكن أن يتغير ليكون اكمل مما هو حيث أنه كامل في جوهره وصفاته . فلا يزيد ولا ينقص في جودته ورحمته وعدله وقداسته ومعرفته وحكمته وقوته . ولا يمكن أن يغلط في أحكامه وتصرفاته فيعود فيصلحها . لان حكمته غير محدودة وتحيط بسائر الازمنة والظروف والاحوال .

وبما أنه يعلم منذ الازل كل ما يحدث في الكون . فلا حاجة لتغيير رأيه أو تعديل رسومه وأحكامه الالهية .

وان قيل لنا ، اذا كان الله لا يغير رسومه وأحكامه فكيف أمر أشعيا أن ينذر حزقيا الملك بأن أيامه انتهت (اش ٣٨ : ١) ثم يعود بعد ذلك ويقول أني زدت على عمره خمسة عشرة سنة (اش ٣٨ : ٥) ؟ فنجيب أن ذلك لا يدل على تغيير الرسوم والاحكام الالهية ، لان الله سبحانه وتعالى رسم منذ الازل . أن يزيد على عمر حزقيا خمسة عشرة سنة . علاوة على عمره المحدد بشرط أن يتذلل أمامه ويتضرع . وقد حدث أن حزقيا تذلل وتضرع بدموع مرة غزيرة ، فأعطى له الله ما تقرر له من الزيادة منذ الازل فلا الرسوم تغيرت ولا النبي انخدع .

وأما ما جاء عنه تعالى في بعض آيات الكتاب ، أنه (ندم) فلا يؤخذ

دليلا على تغييره ، لان لتلك الاصلاحات الكتابية معانى أخرى بخلاف المتبادر منها الى الذهن .

فقول الكتاب عن سكان نينوى — « ان الله ندم على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » يون ٣ : ١٠ لايدل على تغيير فى افكار الله جل شأنه ، بل بالحرى يدل على تغيير فى سكان تلك المدينة ، حيث تابوا ورجعوا عن شرورهم ، فتغيرت طريقة معاملة الله لهم ، تبعا لتغيير طرقهم الرديئة (وبحسب اصطلاح اللغات البشرية) عبر عن معاملة الله المطابقة لهذا التغيير (بالندم)

وفى الحقيقة ، ان الله ليس هو المتغير بل الانسان الذى يضع نفسه تارة تحت عمل العدالة وتارة تحت عمل الرحمة ، التى يعبر عنها الكتاب دائما بالندم لانه لايمكن ان يؤتى بلفظة غيرها لايضاح رحمة الله فى هذا المقام . وكذلك ما جاء فى اشعياء حيث قيل « احزنوا روح قدسه فتحول لهم عدوا . اش ٦٣ : ١٠ » فالله لم يتغير وانما هم الذين تغيروا وتحولوا من الطاعة الى العصيان فصاروا اعداء الله

ومن هذا القبيل ايضا ما جاء عن بنى اسرائيل انهم عندما اخطأوا امام الله . هاج غضبه عليهم واراد ان يفنيهم . ولكن لما شفع موسى فيهم يقول الكتاب « فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه » خر ٣٢ : ١٤ والحقيقة ان الله لم يغير قصده لانه كان عالما ان موسى يشفع فى الشعب وانه يقبل شفاعته ، لان عقابه مشروط بعدم الشفاعة والتوبة . وهنا حصل الامران . فان موسى شفع والشعب تاب . فلا ندم حقيقى ولا تغيير قصد . قال يوحنا فم الذهب فى شرحه الآية القائلة (ندمت عى انى جعلت شاول ملكا ١ صم ١٥ : ١١) هذا القول لايدل على تغيير فى افكار الله ولا على جهل بما تؤول اليه حالة شاول لانه عارف بالاشياء قبل كونها . ولكنه اراد بهذا القول اقامة الدليل على حرية الانسان اذ انه كما كان فى استطاعة شاول ان يفعل الشر هكذا كان فى استطاعته ان يفعل الخير ايضا

والا كان معذورا فيما فعل . لان المكره على الفضيلة والرذيلة لا يستحق ثوابا على الاولى ولا عقابا على الاخيرة)

ولقد اثبت الكتاب المقدس ان الله جل شأنه عديم التغير والتحول . حيث قال عنه « الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران يع ١ : ١٧ » « وليس الله انسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم . هل يقول ولا يفعل او يتكلم ولا يفي ؟ ؟ عد ٢٣ : ١٩ » و « وايضا نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لانه ليس انسانا فيندم ١ صم ١٥ : ٢٩ » و « لاني انا الرب لا اتغير مل ٣ : ٦ » « لان هبات الله ودعوته هي بلا ندامة رو ١١ : ٢٩ » و « السماء والارض تزولان ولكن كلمة من كلامي لا تزول مر ١٠ : ٣١ » و « هي تبيد وانت تبقى . وكلها كثوب تبلى . كرداء تغيرهن فتتغير . وانت هو وسنوك لن تنتهي مز ١٠٢ : ٢٦ »

الفصل الخامس

في

وجود الله كل مكان

غير محصور في مكان

اى انه تعالى حاضر فى كل زمان ومكان ومالىء السموات والارض منذ الازل والى الابد . الا انه غير محدود او محصور فى مكان ما . قال الكتاب « هاانذا اذهب شرقا فليس هو هناك . وغربا فلا اشعر به . شمالا حيث عمله فلا انظره . يتعطف الجنوب فلا اراه » اى ٢٣ : ٨ و ٩

اما حضوره جل شأنه فى كل مكان فهو : -

اولا بقدرته وعنايته

ثانيا - بمحاضرته . لانه يرى جميع ما فى الكون كرؤية العين مايقابلها

ثالثا - بذاته وجوهره

ولا نقصد بحضوره بذاته ما قصده اصحاب مذهب الحلول . وهو الاعتقاد بأن الله حال فى كل شيء وفى كل جزء من كل شيء ، حتى صار يصح ان يطلق على كل شيء انه الله فذلك باطل وضلال والذات العلية منزهة عنه تمام التنزيه . والحقيقة ان حضور الله بجوهره مع خليقته لا شبيه له ولا نظير . وليس هو كحضور متحيزين لعدم مماثلته تعالى خليقته فى جوهره وطبيعته .

وليس المراد به ايضا امتداد جوهره وانبساطه كالنور والهواء حتى يكون منه جزء فى مكان وجزء فى مكان آخر . حاشا لله من ذلك لانه تعالى ليس جسما قابلا للامتداد والانقسام . ولكنه حاضر فى كل مكان بكمال

جوهره وذاته . لانه غير متناه (وقد يشبه وجود الله بكليته فى كل مكان كوجود النفس بكليتها فى كل جزء من الجسم)

فهو حاضر فى السماء حيث يظهر مجده وعظمته كملك متسلط على برايا. (مت ٦ : ٩) وحاضر فى الارض ليفعل ما يشاء ويحفظ ويصون جميع ما عليها (تث ٤ : ٣٩) وحاضر فى الجحيم ليقاصص الاشرار والأثمة (مز ١٣٩ : ٦)

وكل ذلك فى وقت واحد وزمن واحد بحيث لا يوجد مكان لا يكون فيه بجوهره غير المتجزىء على ان ذلك لا يناقض كونه اعلن آية مجده اعلانا خاصا فى خيمة الاجتماع وفى هيكل سليمان وفى الكنيسة التى هى بيته (مت ٢١ : ١٣ ومز ٢٧ : ٤) لانه لا يلزم من ذلك انه محدود او محصور فى مكان من هذه الامكنة بل ذلك دليل على انه ظهر مجده لشعبه وسر وارتضى ان يكون معه

انه ولئن كانت معية الله لخلقه بذاته وصفاته هى فوق العقل ويعسر علينا ان نتصور بأن الله البار القدوس يوجد معنا فى امكنتنا الدنسة الفاسدة . الا اننا مضطرون ان نعتقد ونسلم بذلك ولو فاق ادراكنا لان الله يستطيع ان يصنع اكثر مما نستطيع ان نفهم

ولقد أيد الكتاب المقدس حضور الله فى كل مكان بقوله . هكذا قال الرب . السموات كرسى والارض موطىء قدمى » اش ٦٦ : ١ و« هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت » ١ مل ٨ : ٢٧ و« ألعلى إله من قريب يقول الرب . ولست إلها من بعيد اذا اختبأ انسان فى أماكن مستترة أما أراه أنا يقول الرب؟ أما املأ انا السموات والارض يقول الرب ار ٢٣ : ٢٣ » فاعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق وعلى الارض من اسفل ليس سواه (تث ٤ : ٣٩) « لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم مت ١٨ : ٢٠ »

الفصل السادس

في

تدبير الله لكل شيء أو عمل العناية الالهية

مدبر كل شيء

اي انه غير ممكن ان يحدث امر ، كبيراً كان أم صغيراً ، في الكون إلا بأمره واذنه وعنايته . لان يده متداخله ومتصرفة في كل شيء وهو الذي يرتب كل الحوادث العالمية بحكمته السامية وقدرته الفائقة

ولا صحة لما يقال له الصدفة والحظ والاتفاق والاضطرار المعروف (بالقدر الاعمى) لان كل ما يجرى تحت الشمس غير خارج عن دائرة الترتيب والقصد الالهى (١)

وهو بحكمته يتسلط على كل افعال الخليقة وحركات ذوات الحياة والعديمة الحياة . ويدبرها بكمال تدبيره ويعنى بها عناية خاصة ولا شيء منها يعد خسيسا او حقيراً حتى لا يستحق عنايته

فيعتنى بما نظنه لا يستحق العناية من أمرنا . والذى نراه لا طائل تحته هو عند الله ذو شأن عظيم . وان قوله « شعور رؤوسكم جميعها محصاة مت ١٠ : ٢٩ » هو ابلغ دليل على عنايته الكاملة الشاملة لكل ما في الكون

إنه وإن كان في العالم ملوك وأمراء كفرة مضادون إلا ان جميعهم تحت سلطته . ولا يستطيعون أن يفعلوا إلا ما يوافق استقامة أحكامه الألهية ويسمح لهم ان يفعلوه لان قلوبهم في يده . وكل ما يحدث من الخير يحدث بأمره وكل ما يحدث من الشر يحدث بسماحه

---

(١) راجع باب القضاء والقدر مجلد ٣ ص ٢٦

فالشيطان لم يستطع ان يضع يده على مقتنيات أيوب حتى سمح له الله بذلك . ولما أمر جل شأنه بارجاعها بعد تمام مقاصده لم يجرؤ الشيطان ان يمد يده الى ذرة واحدة منها . فالله هو الذي يسوس سائر الامور الى غايتها غير مستند على احد ولا متعلق باحد . ولكن كل الخليقة مستندة عليه ومتعلقة به

ولقد اوضح الكتاب المقدس هذه الحقيقة بقوله « هو يفعل كل ما يشاء في جند السماء وسكان الارض ولا يوجد من يمنع يده اويقول له ماذا تفعل » دا ٤ : ٣٥ و « كل ما يشاء الرب صنع في السموات وعلى الارض وفي البحار وكل اللجج » مز ١٣٥ : ٦ و « اذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم رو ٩ : ١٦ » « وحتم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم اع ١٧ : ٢٦ » ومنه وبه وله كل الاشياء رو ١١ : ٣٦ » و « هل تحدث بلية في المدينة والرب لم يصنعها عا ٣ : ٦ » و « مصوّر النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر اش ٤٥ : ٧ »

ومعنى هاتين الآيتين (أي آيتي عاموص وأشعياه) انه لا يوجد إلا إله واحد : وكل ما يحدث في الكون يحدث بأمره . حتى الشر كالبلايا والمصائب لا تصير الا بعلمه وإذنه وسماحه ، ثم يحوّلها هو لمجده ويجعلها وسيلة إلى اتمام مقاصده

أنظر الى يوسف وهو ملقى في الجب بيد اخوته ، والى امرأة سيده وهي ساعية بواسطة الشيطان لهلاكه والى نسيان رئيس السقاة إياه حتى يبقى في السجن متألما اياما أخرى ، ثم أنظر اليه بعد ذلك تراه متربعا في دست الامارة ، حاكما على جميع أرض مصر وحينئذ تفهم أن الله يحول كل الامور خيرها وشرها لاتمام مشورته المحتومة ومقاصده التي لا تدرك

ملاحظة : ان عناية الله لا تنفي حرية الانسان لانها لا تسلب منه عقله الذي يستطيع ان يميز به الخير من الشر

(راجع باب القضاء والقدر والعناية الالهية في المجلد الثالث)

الفصل السابع

فى

علم الله وحكمته

علیم حکیم

بما ان الله سبحانه وتعالى موجود فى كل مكان ، وأنه يملأ الأرض والسماء ، وهو كامل وغير متغير ولا محدود فى جوهره ، فيستلزم أنه ذو علم غير محـــدود ولا متغير أيضا . قال الوحى الالهى : « يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » رو ١١ : ٣٣

غير ان علم الله ليس اكتسابيا بل ذاتيا طبيعيا ، ولم يحصل عليه بالبحث والتفتيش والتتابع ، وليس هو معرضا للزيادة والنقصان ، لان كل الاشياء التى حدثت وسوف تحدث الى ما لا نهاية ، هى موضوعة امام عينيه منذ الازل ، وذلك على حد قول الكتاب « معلومة عند الرب منذ الازل جميع اعماله اع ١٥ : ٢٨ » أى أنه جل شأنه رسم منذ الازل كل ماهو عتيد أن يفعله فى الزمن .

وأنه وان كان الكتاب كثيراً ما يعبر عن معرفة الله للامـــور بالفحص والتفتيش ، كقوله « انى أنا الفاحص الكلى والقلوب رؤ ٢ : ٢٣ » فذلك انما هو تبعا لعادة البشر فانهم إذا أرادوا أن يعلموا شيئا حق العلم فحصوا عنه وبحثوا ، وأما معرفة الله للامـــور فليست عن فحـــص وبحث واستقصاء لأنه سبحانه وتعالى عالم بكل شىء ومدركه منذ الأزل . وإن الماضى والمستقبل أمام عينيه كالحاضر . نعم ان صاحب المزمور قال « اما مؤامرة الرب فالى الأبد تثبت مز ٣٣ : ١١ » غير

أن المؤامرة والمشورة لا تنسب لله على حصر الكلام ، لأن المشورة هي بحث عن أوفق الوسائل التي ينبغي لنا أن نستعملها لبلوغ مطلوبنا وغايتنا . ومن ثم تتقدم المشورة فينا على اختيار تلك الوسائط . وتدل على أنه يوجد فينا جهل الوسائط الموافقة ، وكثرة الأفكار العقلية التي بها نفتكر في وسائط مختلفة . ونقابلها مع الغاية ومع بعضها أيضاً وأخيراً نختار ما كان منها أنفع وأوفق لبلوغ مقصودنا . فهذا جميعه لا ينبغي أن ينسب لله جل شأنه . لأنه تعالى لا يجهل شيئاً البتة ولا توجد فيه كثرة الأفكار . بل انه بفعل واحد بسيط رسم منذ الازل كل ما كان عتيداً أن يفعله في الزمن

ولم تدخل في دائرة علم الله الغير المحدودة الحوادث الكبيرة والخطيرة فحسب . بل تشمل سائر الامور ، كبيرها وصغيرها ، حقيرها وجليلها ، كلياتها وجزئياتها . لانه « ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا عب ٤ : ١٣ »

قال صاحب المزمور (أنت عرفت جلوسي وقيامي . فهمت فكري من بعيد . لانه ليس كلمة في لساني الا وأنت يارب عرفتها كلها مز ١٣٩ : ٢ و ٤) وقال (يحصى عدد الكواكب يدعو كلها بأسماء . عظيم هو ربنا وعظيم القوة . لفهمه لا احصاء مز ١٤٧ : ٤-٦) وقال أيضاً (افهموا أيها البلداء في الشعب وياجهلاء متى تعقلون ؟ الغارس الاذن ألا يسمع ؟ الصانع العين ألا يبصر المؤدب الامم الا يبكت ؟) (مز ٩٤ : ٨ - ١٠)

وليس في لغات البشر ما يعبر عن هذه الحقيقة أبلغ مما عبر به له المجد بقوله (أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة مت ١٠ : ٣) والذي يستطيع أن يحصى شعور رؤوس مخلوقاته . فدائرة علمه لا بداية لها ولا نهاية

ولا يعترض على هذه الحقيقة الثابتة بالنصوص الآتية وهي :

أولا - (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما تك ١١ : ٥)

ثانيا ـ (أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها (سدوم) الآتى الىّ والا فاعلم تك ١٨ : ٢١)

ثالثا ـ أن الله امتحن ابراهيم (تك ١٢ : ١)

نعم أن هذه النصوص ، لو أخذت على ظاهرها ، لكانت دليلا على عدم معرفة الله المعرفة المطلقة ، أما ولها معان أخرى بخلاف الظاهر منها فلا محل للاعتراض عليها . ولازالة الغموض والابهام عنها نشرحها ونبين الغرض منها ، غير أنه قبل شرحها يجب أن نعرف مبدئيا أنه من مصطلحات الكتاب المقدس أنه ينسب لله جل شأنه أعمال البشر مجازاً حبا فى ايصال معانى الحقائق لعقولهم وأذهانهم بالطرق المألوفة لديهم ، واذ قد عرفنا ذلك فنقول : ـ

(١) جرت العادة ان من يحضر بنفسه ، ويشاهد أمراً ما بعينه كان علمه به يقينا لاريب فيه . وعلى هذا المبدأ يكون معنى قول الكتاب (نزل الرب لنظر المدينة والبرج) اى انه علم مقاصد اولئك القوم واعمالهم علما واضحا بينا لاشك فيه . كعلم من حضر وراى الشيء بنفسه واطلع عليه بعينه

(٢) اعتاد القاضى العادل النزيه ألا يوقع قصاصا على انسان ما إلا بعد الاطلاع على قضية ذلك الانسان وفحصها فحصا دقيقا . وإلا كان حكمه باطلا ، وهذا يفسر لنا معنى قوله (انزل وارى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى الىّ) اى ان الحكم الذى اصدره الله ضد سدوم كان صحيحا عادلا كحكم قاض فحص القضية بنفسه واعتنى بها عناية فائقة . ثم اصدر حكمه بعد التروى والامعان فيها

(٣) اما امتحان الله لابراهيم فلم يكن لجهله تعالى بقلب ذلك الانسان (لانه فاحص الكلى والقلوب) ولكن ليظهر للاجيال المقبلة ما كان عليه ابراهيم من الحب الخالص لربه حتى انه قدم ابنه الوحيد وثمرة شيخوخته

ذبيحة له . وبذلك يصبح قدوة ومثالا اعلى ينسج على منواله سائر الناس . ولولا هذا الامتحان لما قدر انسان حب ابراهيم لخالقه حق قدره . وليس الله عليما فقط بل حكيما ايضا . فالعلم يقوم بفهم الحقائق . اما الحكمة فتقوم باستعمال العلم لغايات شريفة باختيار الوسائل المناسبة لنيل الغاية . وهذا ما نشاهده في تصرفات الله الرشيدة

قال بولس الرسول (الاله الحكيم وحده له الكرامة والمجد الى دهر الداهرين آمين ١ تي ١ : ١٧)

الفصل الثامن

في

قداسة الله

قدوس كامل

القداسة هي استقامة الضمير وكماله . وهي ذات البرارة ، النقاوة الداخلية البريئة من كل دنس ، وهي نفس الفضيلة التي اخصها المحبة ذات النعمة وذات المجد

ولقد حد احد اللاهوتيين القداسة بقوله :ـ

(القداسة تطلق على البر واستقامة الضمير وكماله . وهذه متوقفة على مطابقة الارادة والعقل مع الشريعة الازلية الكائنة في ضمير الله)

فالذي تكون ارادته وافعاله تطابق الشريعة الازلية مطابقة كلية فهو قديس وكامل

ولما كانت الارادة الالهية هي نفس الضمير الالهي ونفس الشريعة ايضا . كانت الارادة الالهية هي نفس القداسة الكاملة غير المخلوقة وغير المتناهية . لا بل أن قداسة الملائكة والبشر كلا شيء وكأنها دنس بالنظر الى قداسة الله وكماله .

وقداسة الله يراد بها طهارة سيرته الادبية والروحية ، وخلوه التام من النجاسة والاثم ، وانفراده بالصلاح والكمال ، وتنزهه عن الظلم والجور في وصاياه وفرائضه واحكامه (مت ١١ : ٣٠)

فهو الكائن الوحيد . الطويل الروح الكثير الرحمة . البطيء الغضب العادل الامين . المحب لمخلوقاته والمنعم عليهم بنعمه . فيشرق شمسه على

الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين (مت ٥ : ٤٥)

ولقد شهد الكتاب بقداسة الله الكاملة بقوله (من مثلك بين الآلهة يارب . من مثلك معتزاً فى القداسة . خر ١٥ : ١١) و (ليس قدوس مثل الرب ١ صم ٢ : ٢) و (تكونون قديسين لأنى أنا قدوس . لا ١١ : ٤٤) و (كونوا كاملين كما أن أباكم السماوى هو كامل مت ٥ : ٤٨)

ولايقان ملائكته وخدامه فى السماء بكمال قداسته وطهارته . فانهم لايفترون هاتفين ليلا ونهاراً قائلين (قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شىء الذى كان والكائن والذى يأتى رؤ ٤ : ٨ وأش ٦ : ٣)

وحيث أن القداسة الالهية لا قياس لها ولا حد فيجب علينا أن نقدم لها احتراما قلبيا وعبادة روحية ؛ لانها هى التى احيتنا وخلصتنا من الخطية وصيرتنا أبراراً وقديسين وأهلا لان نكون شركاء الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤)

الفصل التاسع

فى

جودة الله

جواد

جودة الله تشمل قداسته ومحبته ورحمته وعدله ونعمته وعنايته بسائر مخلوقاته .

ولقد ظهرت هذه الصفات السامية الكريمة ظهوراً جليا .

اولا — فى خلقه هــذا الكون . لا لحاجة اليه بل بمقتضى نعمته ومسرته الالهية . فانه كان قادراً أن يبقى منفرداً إلى الابد مكتفيا بكمالاته الازلية . ولكن جودته الفائقة الادراك حملته على ان يخلق من ملئه غير المحدود هذا المقدار الوافر من الكائنات الحية والغير الحية . ويمنحها طبيعة قابلة للسعادة والسرور . لاسيما الانسان الذى عظم رحمته معه فأبدعه على صورته ومثاله بأن وهبه نفسا عاقلة ناطقة مطلقة الحرية والارادة غير قابلة للموت والفناء (تك ١ : ١٧)

ثانيا — فى عنايته الشاملة لسائر مخلوقاته الحية والغير الحية لاسيما الانسان إذ منحه كل ما يحتاج إليه من الخيرات والحسنات بغزارة غير متناهية وأخصها الهواء والماء والشمس والنبات وكل مقومات الحياة (مت ٥ : ٤٥)

ثالثا — فى افتدائه الجنس البشرى من لعنة الخطيئة وحكم الموت بواسطة ابنه يسوع المسيح ربنا الذى رقى طبيعتنا الساقطة وأصعدها إلى السماء

وأجلسها فوق كل طغمات الملائكة ومنحها شرفا باذخا بغزارة مراحمه.
غير ان البعض يزعمون أن جودة الله لاتتفق - أولا مع وجود الخطية - ثانيا مع التجارب والبلايا فى هذه الحياة الحاضرة - ثالثا مع عذاب الانسان عذابا مخلدا فى الحياة العتيدة.

ورداً على ذلك نقول :

(١) أما عن الخطية فهى وان كانت أذلت الانسان وضرته ضررا بليغا وصيرته فى منتهى البؤس والتعاسة غير أن الانسان لايستطيع أن يلوم الله ويتذمر عليه من جهة ذلك لانه هو الذى جلب الخطية على نفسه بمحض ميوله وارادته . أما الله جل شأنه فما كان يريد أن يكون الانسان هكذا خاطئا لأنه يكره الخطية ويبغضها الى أقصى حدود البغضة - ألا ترى أنه يحض على تركها والابتعاد عنها ويتوعد من يفعلها بشر القصاصات وأفدحها ؟ (لا ٢٦ : ١٤-٢٦ ومت ٢٥ : ٣١ — ٤٦)

وإذا قال قائل . ألم يكن الله قادراً بقوته الفائقة أن يمنع الانسان عن الخطية فيعيش سعيداً ؟ فنجيبه بلى كان قادراً ولكن لو فعل ذلك لسلب منه حريته وارادته . ولبات عقله وضميره عديمى الفائدة . وإذا ما سلبت من الانسان هذه المزايا أصبح شبيها بالحيوانات التى لاعقل لها فيتدهور إلى عمق الذل والهوان من حيث يقصد الصعود إلى ذروة المجد والشرف .

وإذا قيل أيضا أليس الله بسابق علمه يعرف أن ذلك الانسان مزمع أن يكون خاطئا فلماذا خلقه ؟ فنقول إن ذلك يعلو على أفهام البشر ولا يستطاع إدراكه . وإنما نعرف ان الله خلق الانسان ليعمل خيراً ولكنه هو الذى انصرف إلى عمل الشر بحريته - ولا يخفى أن وجود الخطاة فى العالم بعد فساد طبيعة الانسان أصبح أمراً لا بد منه . لأنه لولا الأشرار لما ظهر فضل الابرار . ولولا قبح الرذيلة لما تبين حسن الفضيلة - ولعمرى كيف كان يعتبر الانسان غفوراً إذا لم يوجد المذنب ؟ وكيف كان يعد محسنا إذا لم

يوجد المسيء — إذاً لابد من وجود الابرار والفجار في عالمنا هذا .

(٢) أما عن البلايا والمصائب في العالم . فهي وان كانت مكدرة للسعادة ومنغصة للحياة إلا أنها ذات نتائج حسنة ونافعة للغاية . لانها لم تكن أغراضا ولكنها وسائل الى سعادة كاملة .

فالبلايا ضرورية ولازمة للاشرار لكي تصلح آدابهم وتهذب أخلاقهم وتلطف من حدة طيشهم ونزقهم ، فيؤدى بهم ذلك الى اصـــلاح وتقويم ، ويأتي بأثمار عذبة لذيذة أهمها الانابة وعدم الاسترسال في الشر

ألا ترى ان المرض كثيراً ما يكون علة رجوع القاتل عن طريقه ، والفاقة سببا لارتداع الزاني على فساده ؟

فالتجارب اذاً هي العصا التي يؤدب بها ناقصو الفهم والمعرفة بغية اصلاحهم وتأديبهم لان الراحة والرغبة كثيراً ما يكونان وسيلة الى التعب والضيق . لقد استراح الاسرائيليون من الاعداء فنسوا الرب فأدى بهم ذلك إلى شر الاحوال . أنظر ماجاء في سفر القضاة عنهم وما فعلته التجارب في إصلاح أحوالهم وتقويم اعوجاجهم (قض ٢ : ١٢ - ١٥ و ٤ : ١ - ٣ و ٦ : ١ - ٧ و ١٠ : ٦ - ١٠)

وكما ان البلايا ضرورية لأصلاح الاشرار فهي أيضا لازمة للابرار . لا لتعذيبهم وتعنيفهم ولكن لتهذيبهم وتثقيفهم ، فهي عنوان محبـــة الله الخصوصيـة لهم ، لأن من يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبـــله (عب ١٢ : ٦)

تأمل في بلايا وتجارب أيوب ويوسف وداود ثم انظر عاقبة صنيع الله معهم ، وحينئذ تدرك أن البلايا كانت ومازالت سبب سعادة الناس ومجدهم لاعلة تعاستهم وبؤسهم . قال بولس الرسول ، ولئلا أرتفع بفرط الاعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع . من جهة هذا تضرعت الى الرب ثلاث مرات أن يفارقني ، فقال لي تكفيك نعمتي لان

قوتى فى الضعف تكمل . فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل علىّ قوة المسيح « ٢ كو ١٢ : ٧ - ٩

ولا يغرب على افهامنا ان النجاح والراحة والسعادة ليست من مصلحة البشر فى شيء ؛ لانها كثيراً ما تنسى الانسان خالقه وتبعده عنه وبعكس ذلك تفعل الشدائد والبلايا . فكثرة النجاح والتوفيق أضلت نبختنصر الملك وسليمان الحكيم . فأقام الاول تمثالا من الذهب وأرغم رعاياه على عبادته ونسى الآخر إلهه وسجد للآلهة الغريبة . وهكذا ايضا داود الملك الصالح ؛ فانه فى حال اضطهاده من شاول وقيام أبشالوم ابنه عليه ، كان أحسن قلبا وأطهر نفسا مما كان عليه فى حالة نجاحه وتوفيقه وتمتعه بالسعادة والسلامة فكثيرون هلكوا عن طريق النجاح وأكثر منهم من خلصوا بسبب التجارب والضيقات .

فالتجارب اذاً لا تنافى جودة الله غير المتناهية بل بالحرى تقام دليلا عليها ، لانها ما هى إلا علاجات وأدوية ناجعة لكبح جماح النفس والجسد وترياق الحى يقى من سموم الاهواء والشهوات الفاسدة . وبلسم فائق الجلال يشفى جراحات النفس وكلومها . فالله بمنزلة الطبيب والتجربة المرسلة من قبله بمنزلة الطب . وذلك للنفع لا للضرر ، وللخلاص لا للهلاك .

(٣) أما عن العذاب المخلد فنقول :

قد يعترض بعض الملحدين قائلين . ألم يكن عذاب الانسان عذابا مخلداً لاجل لذة وقتية بسيطة مضادا لجودة الله ولعدله الالهى ؟ لان العدل يقضى أن يكون العذاب مساويا للذنب ومناسبا له ، وأى نسبة بين خطية متناهية مصنوعة فى لحظة واحدة وبين عذاب أبدى لا نهاية له ؟

فنجيب . ان خلود العذاب لا يضاد جودة الله ولا عدله بل بالعكس يؤيدهما ويثبتها وذلك لان جودة الله ليست هى رحمة فقط بل قداسة أيضا والقداسة بكل حدود الضرورة منافية للخطية ومضادة لها وطالبة قصاصها

ما دامت الخطية باقية . ولا يخفى ان الخاطىء عندما يفارق هذه الحياة ، لا تفارقه خطيته المميتة التي جناها في هذا العالم . بل تتعقبه وتترسم خطواته حيثما ذهب وتبقى مستمرة معه الى الأبد . وكما أن الخطية تبقى مستمرة معه هكذا يجب ان يبقى عذابها مستمراً أيضا ارضاء لقداسة الله التي هي جرحته

أما خلود العذاب لأجل لذة وقتية بسيطة فلا يضاد العدل الالهي ايضا وقد يكون هذا الاعتراض مقبولا على نوع ما لو أن الديان العادل في دينونته ينظر إلى الأفعال فقط . اما وانه ينظر الى القلوب والنيات فلا محل لهذا الاعتراض الباطل

نعم : لا ينكر ان الأشرار بموتهم انقطعوا عن فعل الخطية . ولكن لو لم يموتوا لكانوا استمروا في فعل الخطية استمراراً مخلداً . فعقاب الديان لهم كان حسب ميولهم ورغباتهم . انه ولئن كان ارتكاب الخطية وقتيا قصيراً متناهيا إلا أن حب الخطية في قلوبهم كان غير متناه لأن الخاطىء يتمنى أن يحيا بلا نهاية لكي يخطىء بغير نهاية ولو بقي حيا إلى الابد لبقى راغبا في عمل الخطية إلى الأبد . ومن ثم يعاقبه الديان العادل عقابا أبديا بغير نهاية أيضا . وهذا في منتهى حدود العدل الألهي الذي ينظر إلى القلب والنية لا الى الأفعال الوقتية القصيرة كما قلنا .

هذا فضلا عن ان عظم الخطية يقاس بنسبة قدر المصنوعة في حقه . وحيث ان قدر الله جل شأنه غير متناه فكل خطية يفعلها الناس هي غير متناهية أيضا . ومن هنا ينتج نتجا برهانيا أنه موافق للعدل جداً ان يكون عقاب الخطية غير متناه بوجه من الوجوه

واننا لو تأملنا جيداً لوجدنا البشر يتصرفون هكذا في أحكامهم ولم يعترض عليهم أحد بل يعد عملهم هذا في منتهى العدالة والانصاف

ليت شعري أليست القوانين البشرية تعاقب القاتل بالقتل . ولو كانت خطيته مقترفة فى لحظة واحدة . وبديهيا ان الذى يموت فهو يموت إلى الأبد فينتج إذن أن قصاص البشر أبدى أيضا نظراً إلى هذه الحياة الحاضرة .

ومما ذكر يتضح جليا ان جودة الله عظيمة وجلية ومدهشة بهذا المقدار حتى انها لاتفوق كل مايستطيع الانسان أن يقرره بالكلام فقط . بل انها تفوق كل ما يستطيع أن يتصوره فى عقله او يدركه بأفكاره.

قال صاحب المزمور « ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك وفعلته للمتكلين عليك مز ٣١ : ١٩ » وقال « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب مز ٣٤ : ٨ » وقال أيضا « الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله مز ١٤٥ : ٩ »



الفصل العاشر

فى

استناد كل المبروءات على الله جل شأنه
وعدم استناده هو عليها

غير مستند أو متعلق بأحد وكل المبروءات متعلقة به

أى أن الله سبحانه وتعالى موجود بذاته وكل الخليقة أخذت وجودها عنه على حد قوله تعالى « ليكن ... فكان تك ١ : ٣ » فليس الله والطبيعة شيئاً واحداً ، بل جل شأنه مستقل عن العالم استقلالا تاما ، وهو الذى أخرجه من العدم إلى الوجود ، لأن المادة ليست أزلية كما يزعمون بل أبدعت فى زمن وفى بداية الزمن ، وحسبك ما ورد عن ذلك فى أقوال علماء الجيولوجيا حيث أثبتوا أن كل ما فى العالم من انسان وحيوان ونبات وجماد لم يوجد إلا منذ بضعة آلاف من السنين وأن سائر المواد المجردة من الحياة باقية على حالها الأول كما هى ولم تستطع فى كل هذه الحقبات الطويلة أن تهب الحياة لنفسها ، أما الذين يعتقدون ان المواد الجامدة تتحول إلى مواد حية فقد أبطل العلم الحديث رأيهم هذا ، وأثبت أن كل مخلوق حافظ لجنسه ونوعه ، فلا الطيور تحولت إلى بهائم ولا البهائم تحولت الى بشر ، بل كل « يبزر بزراً كجنسه تك ١ : ١٢ » (١)

فاذاً كل الكائنات ، على اختلاف أنواعها ، متعلقة بالله وحده ومعلولة له دون غيره ، وهو الذى يصونها ويدبرها بكمال قدرته وحكمته . لانه غير ممكن لها أن تستقيم إلا بفضله وصونه ، حتى اذا ما انقطع عنها امداد

(١) أنظر الفصل الثالث فى الماديين والطبيعيين

حفظه ولم يحركها بعنايته رجعت حالا الى العدم كما كانت قبل وجودها

قال بولس الرسول « الاله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي ولا يخدم بأيادي الناس كأنه محتاج الى شيء . اذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء أع ١٧ : ٢٤ و٢٥ » وبذلك أثبت أن الله هو الذي وهب الحياة وكل مقوماتها لمخلوقاته وهو الذي يحفظها على الدوام ويعنى بكل نفس من أنفاسها

فالانسان وكل المبروءات في غاية الافتقار والاحتياج اليه تعالى ، أما هو ففي منتهى الاستغناء عنها . قال بولس الرسول « من صار له مشيرا ؟ رو ١١ : ٣٤ » وقال أشعياء النبي « من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه من استشاره فأفهمه وعلمه في طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم » اش ٤٠ : ١٣ »



تذييل

هذا ما أمكننا أن نذكره من صفات الله سبحانه وتعالى ، والواقع أن العقل البشرى فى منتهى العجز والقصور عن ادراك كنه هذه الصفات السامية ، فهو تعالى مملوء من كل كمال ومنزه عن كل نقص ، لأنه هكذا نعت ذاته الأقدسة بقوله « أجيز كل جودتى قدامك » جوابا لموسى حينما سأله متضرعا قائلا « أرنى مجدك (ذاتك) » خر ٣٣ : ١٨ و ١٩

ولكى نفهم أن هذا التعريف الجليل الذى نسبه الله لذاته الكريمة . يجب علينا أن نجمع بواسطة قوانا العقلية جميع الكمالات المتفرقة فى كل البرايا . كصلاح الملائكة وعلمهم . وفهم البشر وذكائهم .وضياء الكواكب وصفاء السموات . ولمعان الشمس ونورانية النار . وجمال الزهور ولطافة الهواء . وسائر محاسن الطبيعة . فيكون الكمال المجموع من كل هذه الكمالات ، المنزه عن كل نقص هو تعريف الله الذى هو أكمل من كل ما يمكننا أن نتصور بادراكنا البشرى . هذا اذا ما تحققنا أيضا ان كل ما نتصوره ونفهمه فى عظمة الله وجلاله هو متناه دون حقيقة تلك العظمة والجلال وانه تعالى ليس هو هذه الجودة التى نتصورها فى عقولنا ، ولا هذا العلم الذى ندركه بافهامنا : بل هو شىء أعظم وأجل وأكمل منه بغير قياس يفوق ادراك الملائكة فضلا عن البشر .

هذا هو تعريف الله ونعته الحقيقى

خاتمة

وختاما أركع بكل خشوع وتعبد أمام إلهنا (يهوه ، ١ ») ذى الاسم الاعظم واجب الوجود ، القدوس فى ذاته وصفاته ، الحى الازلى ، الغير الفانى والغير المستحيل والعديم الفساد الثابت على الدوام الفاعل الوحيد صاحب الجمال الفائق كل جمال وبهاء المتسامى بغاية الشرف ، الفائق جلاله وسموه ، الحاوى فى ذاته الخيرات والكمالات ، المحسن الذى يوعبنا من احسانه بغير انقطاع والمحب الذى رفعنا الى رتب المجد والكرامة بغير استحقاق طالبا من جلاله الاقدس أن يوطد دعائم ايماننا وثقتنا ورجائنا فى ذاته الالهية ، وأن يضرم نار حبه فى قلوبنا ، ويضاعف لهيب حرارتها باستمرار كل أيام حياتنا ، ولا يدع عوامل الشك والريب أن تتسرب الى مخادع قلوبنا ، حتى تعيش أنفسنا هادئة مطمئنة مستريحة تحت ظلال حماه الوارف فى ربوع هذه الحياة ، ونستحق التمتع بسمو مجده الفائق فى الحياة العتيدة الدائمة السعادة ، لانه مكتوب « وان كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لاينطق به ومجيد . نائلين غاية ايمانكم خلاص النفوس ١ بط ١ : ٨ »

---

(١) يهوه فى العبرانى اسم علم للاله الحقيقى ومعناه يكون خر ٣ : ١٥



الكلام

على

سر تثليث أقانيم الله وتوحيد

جوهره الالهي

الباب السادس

فى

تثليث (١) أقانيم الله وتوحيد ذاته الالهية

تمهيد — بما أن معرفة الاله الحق لازمة وضرورية للحصول على السعادة الأبدية : فمن ثم وجب علينا أن نعرف الله المعرفة الحقة الصحيحة أي بحسب الواقع ونفس الأمر ، لا بحسب توهمات عقولنا وتصوراتها القاصرة فى كيانه الالهى

ولقد قلنا فى البحث عن وجود الله سبحانه وتعالى ، أن هناك شعوراً غريزيا يحملنا على الاعتقاد بوجود كائن أزلى قدير موجود بذاته . لا علة له : نحن متعلقون به ، ومسئولون أمامه . غير أن ذلك الشعور ليس فى مقدوره أن يعلن لنا طبيعة ذلك الاله ووجوده فى ثلاثة أقانيم مهما كان حيا قويا : لأنه لا أحد يستطيع أن يعرف ما هو الله ، وما هى خواصه حق المعرفة إلا الله وحده

نعم نستطيع أن نعرف من الخليقة أنه يوجد خالق خلقها ورتبها على أحسن نظام وترتيب . ثم بالتأمل فيها يمكننا أن نطلع على بعض صفاته الالهية . كالقدرة والحكمة والجودة « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته » رو ١ : ٢٠

---

(١) التثليث او الثالوث باليونانية (ترياس) ومعناها (واحد وثلاثة) فكلمة واحد تعبر عن (طبيعته) وكلمة ثلاثة تعبر عن (أقانيم)

أما طبيعة ذلك الاله وكونه فى ثلاثة أقانيم متساوية فلا سبيل لمعرفتها معرفة واضحة صحيحة إلا باعلان إلهى لأنه لا شىء من تاريخ ، أو علم ، أو عقل أو شىء آخر ، يمكنه أن يعلن لنا الله أعلانا صحيحا حقيقيا سوى الله نفسه . إذ ليس فى قدرة غير الله أن يبين لنا من أمر الله مستوراً أو واضحا جليا

ومن ثم قال له المجد لبطرس رداً على قوله «أنت هو المسيح ابن الله الحى» . «طوبى لك ياسمعان بن يونا . ان لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات» مت ١٦ : ١٧

وقال أيضا «ولا أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن : ومن أراد الابن ان يعلن له مت ١١ : ٢٧» اى انه لا يستطيع انسان او ملاك مهما سما عقله واتسعت مداركه ان يدرك كنه اللاهوت الأقدس ادراكا تاما حقيقيا لأن طبيعة اللاهوت غير محدودة فلا يدركها المحدود

وحيث ان الانسان ذو معرفة متناهية وذات الله تعالى طبيعة خالقة غير متناهية . فقد دعت الضرورة ان يعرف الانسان خالقه لا بالفحص والأدراك ، بل بخضوع العقل وتصديقه الكلى لما شهد به تعالى عن ذاته . نعم للانسان حق ان يعرف كل الأمور ويمتحن جميع الأشياء . لكنه لم يوعد بان يحصل على ادراك طبيعة خالقه فتحتم عليه أن يقبلها بالايمان ولو فاقت فهمه ونور عقله

وانه لمن الجسارة المنكرة ان يحاول الانسان المتناهى ادراك خالقه غير المتناهى . وتكون تلك الجسارة إثما وكفراً إذا لم يصدق ما ورد عن ذاته تعالى فى كتابه المقدس . ومن ثم نجد جميع الذين اعتمدوا على معرفتهم الطبيعية ولم يخضعوا عقولهم لشهادة الله الصادقة من نحو هذا السر العظيم . تدهوروا إلى اسفل دركات الكفر والضلال . وهكذا هلكوا هلاكا ابديا ونالوا جزاءهم العادل لضلالهم المبين .

الفصل الأول

في

أشهر الهرطقات

التي قامت ضد هذا السر العظيم والرد عليها

ان اشهر من أعتمدوا على معرفتهم الطبيعية وضلوا فى فهم هذا السر العظيم هم : أريوس . وسابيليوس . ومكدونيوس

١ ـ اريوس (١)

أعتقد بعض الأريوسيين (ان الآب هو الأصل . وان الأبن والروح القدس مخلوقان منه . غير ان لها المقام الأول بين الخلائق . وطبيعتها تشبهان طبيعته)

واعتقد البعض الآخر منهم (ان الآب وحده هو الإله الأصلى الواجب الوجود القائم بنفسه . وان الأبن والروح القدس يشبهانه فى الجوهر . ولكنهما ليسا من نفس جوهره ولا كل منها قائما بنفسه . بل وجدا بقدرته ومشيئته . غير ان وجودهما كان منذ البدء نظير وجوده لكن ذلك لايجعلها بالضرورة نظيره)

وهو اعتقاد كفرى محض . اذ يؤخذ منه أن الآب هو الاله وحده .

---

(١) تجد تاريخ هذا الرجل الكافر مفصلا فى القسم الخاص بلاهوت السيد المسيح (الفصل الاول من الباب الثانى)

وأن الابن والروح القدس غير مشتركين فى طبيعته وجوهره اى فى اصله لان كلمة جوهر كما انها تعنى القائم بنفسه اى عديم الافتقار الى غيره كالاعراض كذلك تعنى الاصل ايضا . فقولنا عن اسحق مثلا انه من جوهر ابراهيم اى من لحمه ودمه . هكذا قولنا عن الابن انه من جوهر الآب اى من الأصل الألهى نفسه ومساو له وليس غريبا عنه . اما اريوس فكان يقول ان الأبن هو الله لحصوله على الالوهية المكتسبة (يعنى ان اصله ليس الله ولكنه صار الله) وذلك بلا شك مناقض كل التناقض لسائر النصوص الالهية التى تشهد شهادة صريحة جلية بالوهية كل من الأبن والروح القدس. ومساواتهما للآب — واليك تلك الشهادات .

اولا — نسبة الالقاب الالهية اليهما ، كتسمية كل منها بالله والخالق

قال الكتاب عن الابن جل شأنه « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد ١ تى ٣ : ١٦ » وقال أيضا « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان يو ١ : ٤ »

اما عن الروح القدس فقال « ياحنانيا . لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ؟ أنت لم تكذب على الناس بل على الله اع ٥ : ٣ » وهذه الآية من اوضح الآيات على الوهية الروح القدس . لأنه ما دعاه أولا (الروح القدس) عاد فدعاه أخيراً (الله) وقال أيضا « ترسل روحك فتخلق مز ١٠٤ : ٣ » (انظر أيضا يو ١ : ١ واع ٢٠ : ٢٨ و ١ تى ٣ : ١٢ ورو ٩ : ٥ ورؤ ١٩ : ١٦ واع ٥ : ٣)

ثانيا — وصف كل منهما بالصفات الالهية الكاملة — كالأزلية ، والقدرة والصلاح وعدم التغير ، والحضور فى كل مكان

أما عن نسبة هذه الصفات للابن جل شأنه فقد شهد الوحي عنها بما يأتي :-

« يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد » عب ١٣ : ٨ و« الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء » رؤ ١ : ٨ و« أنا هو الراعي الصالح » يو ١٠ : ١١ « لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » مت ١٨ : ٢٠

ولقد شهد بهذه الشهادة عينها للروح القدس جل ذكره بقوله « الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب » عب ٩ : ١٤ « بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله » رو ١٥ : ١٩ ، « اين أذهب من روحك ومن وجهك أين أختفي » مز ١٣٩ : ٧ (راجع ايضا يو ١ : ٣ و١٠ - و كو ١ : ١٦ و١٧ واف ٣ : ٩ - ورؤ ٤ : ١١ - وتك ١ : ٢ - ومز ٣٣ : ٩ - ويو ٨ : ٥٨ - ورؤ ٢٢ : ١٣ - وعب ٩ : ١٤ - ولو ١ : ٣٥ واع ١ : ٨ - ورو ١٥ : ١٣ - واف ٣ : ١٦ - وعب ١ : ٢ و١٣ : ٨ - و١ بط ٢ : ٢٣ - و١ يو ٣ : ١٥ - ومت ٨ : ٢ و ٩ : ١٨ - واف ٢ : ١٠ - ولو ٢٤ : ٥٢ - ومت ١٨ : ٢٠ - و٢٨ : ٢٠ - ويو ٣ : ١٣ - ومز ١٣٩ : ٧ - واش ٤٠ : ١٣ - و١ كو ٦ : ١٩)

ثالثا - لو كان الابن الذي هو (كلمة الله) والروح القدس الذي هو (الحياة) مخلوقين وليسا بأزليين لكان الآب في وقت من الاوقات خلواً من النطق والحياة - وذلك باطل . وحيث أن الآب حي وناطق منذ الازل فبالضرورة كان الابن والروح القدس أزليين أيضا .

ومن هذه الادلة البينة والآيات الواضحة يتضح تمام الوضوح ان للابن والروح القدس ما للآب من سائر الصفات والكمالات الالهية بالاشتراك والاشاعة ما عدا الخواص الاقنومية وهي الابوة والبنوة والانبثاق التي لا يشترك فيها الواحد مع الآخر . غير ان وجود خاصيات لكل اقنوم لا ينفي الوحدة بينهم لأن الخاصيات مختصة بالاقنوم والوحدة في الجوهر

« ٣ » سابليوس (١)

اعتقد سابليوس أن التثليث كناية عن ثلاثة تجليات مختلفة لاله واحد مفرد الأقنوم ، أى أن الألفاظ آب ، وابن ، وروح قدس . ليست أسماء أقانيم ممتازة . بل اسماء ظهورات لأقنوم واحد سمى الآب لأنه الخالق، وسمى الابن لأنه الفادى، وسمى الروح القدس لأنه المعزى والمقدس (٢)

أو بعبارة أخرى أن الآب بعينه يقال له الابن باعتبار تجسده من العذراء . وهو بعينه يقال له الروح القدس باعتبار تقديسه الخليقة الناطقة وتحريكه اياها الى الحياة. فعلة التجسد صيرته ابنا وعلة التقديس صيرته مقدسا فالرجل الواحد يقول له ابنه (ياأبى) وحفيده يقول له (ياجدى) وما هو الا شخص واحد اختلفت تسميته باختلاف الاحوال . وعلى هذا القياس الفاسد اعتبر الآب والابن اقنوما واحدا والتمييز باعتبار ممارسة العمل

وهذا الاعتقاد الفاسد شر من الأول لانه يضاد كل آيات الكتاب التى تشهد فى جلاء ووضوح بأن هؤلاء الثلاثة ليسوا ثلاث صفات ولا ثلاثة أسماء للاله الواحد ، بل هم ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد

---

(١) هو أحد اساقفة بطولمايس بالخمس المدن الغربية ويقال لاتباعه (الوحدانيون) لانه بحسب اعتقادهم ان تثليث الاقانيم معناه الانفصال البسيط فى الاعمال فقط. وظهرت هذه الهرطقة فى القرن الثالث

(٢) لم يقع فى هذه الضلالة سابليوس فقط بل اوشك اعضاء مجمع سرديكى المنعقد فى المدينة المسماة الآن فى بلاد ايطاليا (ترايادتسى) فى هذه الهرطقة فشجبوا كل من يقول بثلاثة اقانيم متميزة لاعتقادهم ان تمييز الاقانيم يوجب تمييز الجوهر، وقد قال بقولهم البابا داماسوس غير انه رجع الى الحق بواسطة القديس اثناسيوس . وقد ذكرنا هذه الغلطة هنا لكى يعلم الجميع انه من الجهل ان يقال عن البابا انه لا يخطىء فى قضايا الايمان .

ومما تجب ملاحظته هنا اننا قد قلنا أن الأقانيم ليسوا ثلاث صفات حذراً من الوقوع فى الضلالة القائلة أن الروح القدس صفة الهية لا أقنوما . والصفات فى اللاهوت الأقدس نوعان (١) صفات أو خواص جوهرية مشاعة أو مطلقة أو مشتركة بين الأقانيم الثلاثة كالعلم والقدرة والخلق والارادة (٢) صفات أو خواص ذاتية أو أقنومية وهى التى يتميز ويختص كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة بخاصة منها ـ فقولنا أنهم ليسوا صفات نفينا الاعتقاد بأنهم صفات من نوع الصفات الالهية المشاعة فقط ولم ننف أنهم صفات أو خواص أقنومية . فلا ينبغى الخلط بين الخاصات الاقنومية والصفات الجوهرية المشاعة

أما الأدلة على ذلك فهى : ـ

أولا ـ اننا نجد كل أقنوم من هؤلاء الأقانيم الثلاثة يخاطب الآخر أو يتكلم عنه . ففى أثناء العماد هتف الأقنوم الأول مشيراً إلى الأقنوم الثانى قائلا (هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت)مت ٣ : ١٦

وفى اقامة لعازر من بين الأموات . خاطب الأقنوم الثانى الأقنوم الأول بقوله (أشكرك أيها الآب لأنك سمعت لى)يو ٤ : ١١

وعندما أراد الاقنوم الثانى أن يتكلم عن الاقنوم الثالث قال (ذاك يمجدنى لانه يأخذ مما لى ويخبركم)يو ١٦ : ١٤

ومن المسلم به أن أسماء وصفات الشخص الواحد المختلفة لا يمكنها أن تتخاطب معا أو تتكلم عن بعضها بأمور صريحة كما رأينا الاقانيم الثلاثة فى هذه النصوص تتكلم وتتخاطب فى جوهر وحدانية الاله الواحد ولم نقصد بتخاطب الاقانيم الالهية انفصالهم عن بعض . حاشا وكلا لان اللاهوت الاقدس منزه عن ذلك ولكن قصدنا به نفى تلك العقيدة الفاسدة القائلة باقنوم واحد فى الله واثبات ثلاثة أقانيم متميزة أقنوميا

ثانيا ـ نجد الاقنوم الواحد يرسل الآخر ومنه يخرج واليه يعود والمراد بخروج الابن من الآب ليس انفصالهما عن بعض بل هو بحسب طريقة الصدور الداخلي كما تخرج الكلمة من القلب وتبقى فيه . قال الوحي الالهي (لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم يو ٣ : ١٧) وقال (يسوع وهو عالم ان الآب دفع كل شيء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يمضي يو ١٣ : ٣) وقال ايضا (ومتى جاء المعزى الذى سارسله انا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى يو ١٥ : ٢٦)

وواضح أن ذلك لا يقال الا عن الاقانيم الممتازة (١) أما الاسماء والصفات فلا يقال عنها أنها ترسل بعضها بعضاً أو تخرج الواحدة من الثانية واليها تعود

اعلم أن إرسال الأقنوم الثانى من السماء لم يكن سوى فعل الاتحاد مع الناسوت بعمل مقرون فى الخليقة : أى انه ابتدأ ان يوجد فى العالم بالجسد الانسانى مع انه كان قبل ذلك فى العالم (يو ١ : ١٠) ومن ثم كان خلوا من ان ينفصل عن اللاهوت أو يترك السماء لان ابن الله هو الله نفسه ولذلك فهو غير متناه وغير محصور فى مكانه لكونه مالئ الكل وأنه (أى الأرسال) لم يكن بأمر ولا بمشورة ولا بانتقال مكانى أى أنه لم يتحرك برسالته حركة مكانية فيوجد حيث لم يكن من قبل ولم ينته ان يوجد حيث كان كما انه لم يكن كارسال السيد خادمه لانه مساو للاب فى السلطة ولكنه كان كارسال الشمس أشعتها على الارض بدون انقطاع أو انفصال من جرمها . وهذا القياس ذكره آباء الكنيسة فى كتاب اعترافاتهم (الباب الخامس عشر)

---

(١) لانعنى بالتمييز ارتفاع اقنوم على آخر واستقلال أقنوم عن آخر بل نعنى به (تعيين اقنومى)

ثالثاً — نجد أعمالاً خاصة لكل من هؤلاء الاقانيم الثلاثة (وان كان فى الواقع كل أعمال الاقانيم الثلاثة مشتركة)

(اولا) فينسب للابن التجسد والفداء (غل ٤ : ٤ ويو ١ : ٤ واع ١ : ٤٣) مع العلم ان التجسد وان كان ينسب للاقنوم الثانى وحده ولكنه فعل القدرة الألهية المختصة بالاقانيم الثلاثة . واذا قلت لى كيف يكون هؤلاء الأقانيم الثلاثة متحدين فى الجوهر بينما المتجسد واحد . فاقول لك حسبك أن ترى كلمتك متجسدة بلسانك دون عقلك وروحك بينما الثلاثة فى شخصك الواحد

(ثانيا) ينسب للاب الاختيار والتبنى والدعوة (اف ١ : ٤ ورو ٨ : ٣)

(ثالثا) ينسب للروح القدس التقديس والتجديد (راجع ما ورد عن ذلك فى ١ بط ١ : ١ حيث نسب للاب الاختيار . وللروح التقديس . وللابن الفداء)

وكثير غير ذلك مما هو صريح فى ان الآب ليس نفس الابن ولا الابن نفس الروح القدس (أنظر يو ٥ : ١٩)

وحيث ان الاقنوم الاول يخاطب الثانى ويرسله ومن عنده يخرج واليه يعود بلا انفصال أو انقطاع كالكلمة لانسان تخرج منه ولا تفارقه بل هى ثابتة فى عقله غير متحركة (يو ١٣ : ٣) ولان الاقنوم الثانى تجسد وحده (غل ١ : ٤) وأن الاقنوم الثالث ينبثق من الاول وحده (يو ١٥ : ٢٦) ويرسله الثانى (يو ١٦ : ٦) فاذن لا يمكن أن يكون هؤلاء ثلاث صفات أو ثلاثة اسماء لاقنوم واحد ولكنهم ثلاث خواص تمتاز فى الاقنومية وتتحد فى الجوهر .

نعم لا نقدر أن نعرف كيف الاقانيم الثلاثة متميزين عن بعضهم اقنوميا بحيث يمكن للواحد منهم أن يتكلم مع الآخر ويرسله ومع ذلك هم ذات واحدة وجوهر واحد وطبيعة واحدة . لان الله لم يعلن لنا

هذه الكيفية فى كتابه . ونحن بالطبيعة لانقدر أن ندركها بمجرد عقولنا المحدودة ولا يمكننا الغوص فى هذا اليم الذى لاقرار له ولا نهاية لعمقه . غير أن عدم ادراكنا الكيفية لاينفى الحقيقة نفسها لان هناك أموراً أخرى روحية ومادية لانستطيع ادراكها ومع ذلك نقبلها ونسلم بها

ألست تعلم أنه ليس فى مقدورنا ادراك طبيعة الله وجوهره والحال اننا نؤمن ونعتقد بوجوده . ثم الا تعلم أيضا أنه ليس فى استطاعتنا أن نعرف ماهية النفس وطبيعتها ومع ذلك نؤمن ونسلم بها : فاذا كان عدم ادراكنا الخالق جل شأنه لاينفى حقيقته وان عدم معرفتنا ماهية النفس لا يحملنا على رفض الاعتراف بها . فلمَ نشك فى عقيدة التثليث والتوحيد لعدم ادراكنا أياها ؟

أما تدرى ان النقص ليس فى العقيدة نفسها ولكن فى ضعف العقل الانسانى ؟ لأن من لايستطيع أن يدرك كنه نفسه فلا عجب اذا عجز عن ادراك كنه خالقه

(٣) مكدونيوس (١)

كان هذا التعس بطريركا للقسطنطينية فضلّ واعتقد أن الروح القدس مخلوق كمثل الملائكة وليكون خادما آلة للابن مرتكنا على الآية القائلة « كل شىء به كان » مع ان هذه الآية مقصورة على « المكونات » وزاد على ضلاله هذا بان قال ان الروح القدس صدر من الآب بعد الابن اى انه صدر فى زمن كما انه صدر عن ارادة الآب والأبن فصار صدوره من الافعال الخارجية وليست الباطنية ومن ثم يكون مخلوقا لأن كل ما صدر عن الأرادة الألهية فهو مخلوق واشتركت فيه الاقانيم الثلاثة . قال القديس اثناسيوس « ان الاقنوم هو الذى يلد ويبثق واما الرأى والارادة فهى التى تخلق وتبدع »

---

(١) (راجع المجلد الثانى ص ١٥)

وبهذا الاعتقاد الفاسد جحد وأنكر كون الله جل شأنه فى ثلاثة اقانيم متساوية فى الجوهر (الاصل)

وحيث ان ما جاء فى الردود السابقة هو كاف لدحض هذه الضلالة الشنيعة . فلا حاجة لاعادتها ولنرجع فى مكانها .

ومما ذكرناه يتضح لنا ان اولئك التعساء لو اخضعوا عقولهم لشهادة الوحى وسلموا بها ولم يحاولوا ادراك ذات الله بطريقة طبيعية . لما وصلوا الى ما وصلوا اليه من التدهور فى تلك الهوة السحيقة المهلكة

ولعمرى ان من يريد ان يفحص اللاهوت بعقله لهو كمن يريد أن يفحص الشمس بعينه . فكما ان من يحدق بنظره الى الشمس قاصداً بذلك ادراكها يغلب على بصره نورها فيعجز عن قصده بل تتفرق قوته الباصرة وتتلف : هكذا الذى يحدق بعقله الى بهاء ذات الله الفائقة الادراك يغلب عليه بهاء الجلال الالهى فيذهل عقله ويدهش ولا يمكنه ان يدرك قصده من معرفة كنه ذات الله الفائقة الادراك بل يؤوب بالخسران والهلاك . غير أن هذا السر وان كان يسمو على عقولنا وأفهامنا . الا ان ذلك لا يمنعنا من معرفة ما ورد عنه فى الكتاب الالهى واعترافات الآباء الاول الذين وجدوا فى فجر المسيحية . ومن ثم نشرحه بقدر ما تصل اليه افهامنا وادراكاتنا الانسانية حاصرين التكلم عنه فى ثلاث مباحث وهى : —

(١) المبحث الاول فى توحيد ذات الله وتثليث اقانيمه

(٢) المبحث الثانى فى اسماء هؤلاء الاقانيم الثلاثة

(٣) المبحث الثالث فى ان اسماء الاقانيم الثلاثة لا تدل على كمال أو نقص يمتاز به أحدهم عن الآخر بل تدل على تميزهم من بعضهم فقط

الفصل الثاني

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الاول

في

توحيد ذات الله وتثليث اقانيمه

الاقنوم كلمة سريانية الاصل . تشير في مسماها الى كائن حي قدير مستقل بذاته ينسب أفعاله الى نفسه او جوهر روحي شخصي لطبيعة قابلة الاشتراك بكثير من شأنه ان يقيمها بذاته ويحجز عن الاشتراك . او هو قيام الطبيعة الجوهري الذي به تقوم وتنفرد بذاتها

اما الطبيعة والذات والجوهر ، فتدل على الشيء الذي هو خاص لكل اقنوم . ومن ثم أعلن المسيحيون من عصر المسيحية أن الله واحد في جوهره وذاته وطبيعته جمع في اقنوميته

ولنعلم ان الطبيعة والذات والجوهر بمعنى واحد لانها تطلق على ماهية الشيء اي حقيقته وذاته فثلا اذا اعتبرنا وجود الابن بالفعل نقول انه ذات . واذا اعتبرنا هذه الذات قائمة بنفسها لا بغيرها قلنا انها جوهر . واذا عبرنا هذا الجوهر انه مفرد مخصوص لا عام قلنا انه اقنوم . واذا اعتبرناه مالكا كل الكمالات الالهية قلنا ان له الطبيعة الالهية الكاملة

وحيث اننا قد عرفنا ذلك فنعود الى بحثنا في توحيد ذات الله وتثليث اقانيمه فنقول : — لا غرو أن من أوائل الامور الجوهرية التي يتحتم علينا الايمان والاعتراف بها — وان كانت فوق ما تصل اليه افهامنا واداركاتنا — هي الاعتقاد بتثليث اقانيم الله وتوحيد ذاته الالهية ، اي اننا نؤمن ونعترف

قلبا ولسانا ان الله واحد فى ثلاثة اقانيم وان هؤلاء الاقانيم الالهية هم طبيعة واحدة (١) وذات واحدة وجوهر واحد بسيط منزه عن التأليف والتركيب

ولئن كان بحسب ادراكنا البشرى نفهم ان الطبيعة تقوم باقنوم واحد وان تعدد الاقنومية يدل على تعدد الطبائع كما هو الحال فى الطبيعة المخلوقة غير ان الامر ليس هكذا فى الطبيعة الخالقة التى تمتاز عن الطبيعة المخلوقة امتيازا لاحد له ، ومن الضلال البين اتخاذ الطبيعة المخلوقة مقياسا للطبيعة الخالقة .

ومن ثم لاينتج من توحيد الذات الالهية توحيد الاقانيم ولا من تثليث الاقانيم تثليث الذات . فالذات ، والجوهر ، والطبيعة واحدة . ولكن الاقانيم ثلاثة أى ان هؤلاء الاقانيم وان اتحدوا جوهرا ، وطبعا ، وذاتا ، وصاروا واحدا . الا انهم ثلاثة لا واحد ، من حيث الاقنومية فالآب ليس هو الابن والروح القدس ليس هو الآب والابن .

قال القديس اثناسيوس ، ان الايمان المستقيم هو مؤسس على ان الاقانيم تتميز عن بعضها بالخواص الاقنومية فقط . اعنى خاصة اقنوم الآب انه غير معلول وله الابوة وخاصة اقنوم الابن انه معلول وله البنوة . وخاصة اقنوم الروح القدس الانبثاق . وهذه هى الخواص التى فيها فى كل اقنوم وفى الاخرين بمفرده ما ليس فى الاقنوم من الاخرين وفى الاخرين ما ليس فيه . ثم تشترك الاقانيم الثلاثة بالجوهر الالهى ومن ثم لهم ارادة واحدة وذاتا واحدة وطبيعة واحدة اى ان لكل من الآب والابن والروح القدس ما للاخر من الالقاب والصفات الالهية . وكل ماينسب الى احدهم من السرمدية ، وعدم التغير ، والعدل ، والجودة ، والحق ، والعلم ، والمشيئة ، والقوة ، واى صفة من صفات اللاهوت الكاملة ينسب الى الاخر بمعنى واحد ، وعظمة واحدة

---

(١) وقد ضل بعض الهراطقة حيث اعتقدوا بثلاث طبائع الهية فحرمتهم الكنيسة ومنهم فيلبيون الذى عاش فى القرن السادس ويواقيم فى القرن الثانى عشر

وذلك لان الطبيعة واحدة ، وكلها لكل من الاقانيم الثلاثة خــلوا من تفصيل وتقسيم .وان كلا من الاقانيم الثلاثة واحد مع الطبيعة الالهية خلواً من تركيب أو تأليف . والا كان فى الذات العلية ثلاثة آلهة . وذلك هو الذى تجحده المسيحية وتنكره وتتبرأ منه وترفضه وتعترف بالاله الواحد الوحيد الفرد السرمدى الذى تنطق كل النصوص الالهية بوحدانيته . هذه الوحدة لا تمنع وجود ثلاثة أقانيم فى جوهره لان الوحدة الحقة لا تصدق الا على ما كان ذا تنوعات وصلات وانتسابات كالانسان مثلا فهو ذو وحدة كاملة ولكن فيه نفس وعقل ونطق ، وكالشمس فأنها واحدة ولكنها ذات قرص وشعاع وحرارة .

قال جل شانه . انا الاول وانا الآخر . ولا إله غيرى (اش ٤٤ : ٦) وقال (من أعلم بهذه منذ القديم اخبر بها منذ الازل أليس أنا الرب ولا اله غيرى وليس سواى اش ٤٥ : ٢١) وقال أيضا (لكى تعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى أنا الرب ليس آخر اش ٤٥ : ٢٦)

وقال موسى النبى (اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد تث ٦ : ٢٤) وقال أيضا (اعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق وعلى الارض من اسفل ليس سواه تث ٤ : ٢٩)

وقال بولس الرسول « لانه وأن وجد ما يسمى آلهة سواء كان فى السماء أو على الارض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الاشياء ونحن به ١ كو ٨ : ٥ و ٦) وقال « اله وأب واحد للكل اف ٤ : ٦ » وقال « لكن الله واحد » غل ٣ : ٢٠ وقال أيضا « أن الله واحد هو الذى يبرر الختان بالايمان والغرلة بالايمان رو ٣ : ٣ »

وقال يعقوب الرسول « أنت تؤمن ان الله واحد . حسنا تفعل يع ٢ : ١٩ »

وقال نحميا (أنت هو الرب وحدك أنت صنعت السموات وسماء السموات وكل جندها والارض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وانت تحييها كلها وجند السماء لك تسجد نح ٩ : ٦)

غير انه يجب ان نوقن بان المراد بوحدانية الله هذه أي انه لا يوجد له نظير في الالوهية مطلقا . وان الجوهر واحداً . غير قابل للتجزئة والانقسام وذلك لا يمنع كونه ذا ثلاثة أقانيم لان هذه الوحدة ليست نظير الوحدة المادية التي لا يمكن القول عن الواحـــد منها انه ثلاثة . او انه كائن في ثلاثة كالجسم الانساني الذي لا يمكن ان يقال عنه أنه واحد وانه ثلاثة ولا هي نظير وحدة الروح البشرية أو وحدة ملاك من الملائكة بل هي وحدة في (المقام) تعلن عدم وجود إله آخر نظير هذا الحي الحقيقي الذي يصف نفسه جل شأنه بقوله « أنا الله وليس آخر الاله وليس مثلي اش٤٦ : ٩ »

ومن ثم كان قولنا عن الله انه واحد بهذا المعنى لا ينفي القول بوجود ثلاثة اقانيم فيه . لان الثلاثة الاقانيم ليسوا ثلاثة آلهة متفاوتة متباعدة بل انها واحداً . نعم لو قلنـا ان الله إله واحد وأنه ثلاثة آلهة لكان في ذلك تناقض ولـكننا لم نقل هكذا مطلقـــا بل نقول انه واحد في الجوهر . وثلاثة في الاقانيم كما ورد في كتابه الالهي

فينتج من ذلك ان المسيحيين لا يعتقدون إلا بالاله واحد فقط وان كل ما هو داخل هذا الاله انما هو الله الواحد ذاته ومن المحال أن يوجد أكثر من إله وحيد فرد، نزيه عن الند والشريك. لان الـكون لا يسع آخر نظيره. ولا لزوم لغيره لعدم محدوديته في القدرة والحكمة . فأقنوم الآب ليس شيئاً آخر غير اللاهوت نفسه . وأقنوم الابن ليس هو شيئـــا آخر غير اللاهوت عينه وكذلك أقنوم الروح القدس ليس هو شيئا آخر غير اللاهوت ذاته . فهم بحسب الأقنومية وحال الوجود ثلاثة ، يتميز كل منهم عن الآخر تميزاً تاما أما بحسب الطبيعة والجوهر والذات فالثلاثة واحد . لانهم لاهوت واحد

فرد منزه عن الانقسام والانفصال والاختلاط (١ يو ٥ : ٧)

قال القديس اغريغوريوس الثيولوغوس . « اننا اذا ذكرنا الله انما نريد الآب والابن والروح القدس . فكل واحد من هؤلاء الاقانيم الثلاثة يجب أن نعتقد فيه اذا اريد به احدى الخواص الاقنومية انه الاله . ولا يلزم من ذلك الاعتقاد بثلاثة آلهة بل بثلاث خواص : كل خاصة منها معناها غير معنى الاخرى . فالذات واحدة والمعنى مختلف . فاذا نظرنا الى الذات نفسها باعتبار معنى الابوة كان أقنوم الآب (هو الاله) واذا نظرنا الى هذه الذات بعينها باعتبار اسم البنوة ، بمعنى النطق كان أقنوم الابن (هو الاله) واذا نظرنا الى هذه الذات المشار اليها نفسها باعتبار الحياة اعني الروح القدس كان أقنوم الروح (هو الاله) فكل واحد من الخواص الثلاثة اعني الاقانيم الثلاثة هو الله ولا يلزمنا القول بثلاثة آلهة اذا كانت الذات واحدة والاشارة اليها باعتبار مفهوماتها مختلفة »

وتأييداً لهذه العقيدة الجليل قدرها نأتي بالادلة التي تثبتهـــا وتحققها فنقول :

لقد قلنا في المقدمة ان الله جل شأنه هو كائن أزلي حكيم قدير موجود بذاته ، ومن ثم لا يمكن معرفته ببراهين لمية « ١ » إذ لا علة له تعالى . بل هو علة جميع الكائنات التي هي منه وبه واليه ، وهو وحده يدرك ذاته العديمة الادراك من غيره . ولو أمكن ان ندركه بحواسنا لما كان إلها ولكن يمكن معرفته تعالى . لا بما هو عليه ذاتا . بل بحقيقة وجوده آنيا « ٢ » ببدائع قدرته الكائنة مرئية وغير مرئية

أما كونه تعالى ثلاثة أقانيم في جوهر واحـــد فلا سبيل لمعرفة ذلك

---

(١) البرهان اللمي هو الذي يثبت الشيء بعلته
(٢) البرهان الآني هو الذي يثبت الشيء بأثره أو معلوله

إلا بكلام الوحي الالهي فقط . لأن عقول البشر قاصرة وليس في مقدورها أن تدركه ، ولا عجب في ذلك . لأننا لاندرك كل شيء بالتمام ولا ذواتنا ، وكما اننا نلتزم في بقية الامـــور ان نسلم بما لاندركه تماما ، فهكذا ينبغي أن نسلم بكل ما أعلنه الله عن ذاته وأن لم ندركه حق الادراك

وواضح أن عدم ادراكنا لهذا السر ليس ناشئا عن عدم كونه يقينيا في طبعه ، بل عن ضعف العقل الانساني فقط وذلك لا يستلزم نفي الحقيقة المعلنة في كتاب الله . ولا يحملنا على رفضها مهما ظهر عليها من المباينة لعقولنا القاصرة . لاسيما وأن عقيدة الثالوث الاقدس ليست مبنية على الاصطلاحات البشرية ، حتى إذا ما صار دحضها بأدلة عقلية وأقيسة منطقية تدحض العقيدة نفسها ، بل اعتقادنا في ذلك انما هو مبني على كلمة الله الامينة الصادقة التي يتحتم على الانسان أن يصدقها ويؤمن بها ، وإن فاقت فهمه ونور عقله . لان الايمان هو تصديق قول الله لمجرد شهادته تعالى ، لا لان عقولنا صدقته

جاء في التاريخ عن الكافر اريوس أنه استأجر عشرة فلاسفة ليؤيدوا معتقده الفاسد في مجمع نيقية بالنظريات الفلسفية في موضوع العـــلة والمعلول فقالوا حيث أنه طبيعيا يتوسط بين العلة والمعلول زمن فاذن الآب متقدم عن الابن وبالتالي مخلوق منه لانه معلول له . فرد عليهم اعضاء المجمع بقولهم نحن نوافق على ذلك لو كان الكلام عن الموجود الزمني أو عن الموضوع المحدود ولكن عبثا اتعبكم اريوس لكونه لم يخبركم ان الجدال هو عن خالق الازمان ورب المروءات . ونحن لم نتقلد الاعتقاد به عن مدرسة افلاطون وارسطو بل تقلدناه عن طريق الايمان والتسليم ومصباحنا في ذلك الذي نستضيء به لا الفلسفة البشرية بل هو الانجيل المقدس والاسفار الالهية . لان العقل المحدود دون الاعلان الالهي لم يكن

غير كاف للارشاد المستقيم فقط فى هذه الاسرار الغامضة الالهية بل يقود صاحبه الى عمق الجهل والغباوة

أما الادلة على سر تثليث أقانيم الله وتوحيد ذاته الالهية فمستخرجة من ثلاثة مصادر (١) الشهادات الكتابية (٢) شهادات المجامع المسكونية (٣) الاقيسة المتخذة من الخليقة المحسوسة

الشهادات الكتابية

أولا ـ أن الله جل شأنه وإن كان لم يصرح فى كتاب العهد القديم تصريحا واضحا عن سر تثليث أقانيمه ، حذراً من ان يقع الاسرائيليون فى عبادة تعدد الالهة التى كانوا منصبين إليها انصبابا عظيما إلا أنه أشار إلى هذا السر فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، بعبارات كافية للفهم حتى يعد شعبه لقبول هذا السر المجيد ، ومتى تهذبت عقولهم وابتعدوا عن عبادة تعدد الآلهة أوضح لهم ذلك السر أيضاحا بينا فى كتابه الجديد ، أى فى الانجيل المقدس الذى هو كمال الناموس العتيق وغايته ، وقادهم إلى الاعتقاد به خلواً من رموز واشارات.وأما ما ورد فى العهد القديم فهو : ـ

(١) قوله فى ابتداء سفر التكوين « فى البدء خلق الله السموات والارض تك ١ : ١ »

أما كلمة (الله) فواردة فى الاصل العبرانى (الوهيم « ١ ») ومعناها الآلهة (بالجمع) ومن ثم يشير هـــذا النص صراحة إلى تثليث أقانيم الله ووحدة جوهره . لانه بقوله (الآلهة) بصيغة الجمع ، يشير إلى الأقانيم الالهية الثلاثة ، وبقوله (خلق) بضمير المفرد يشير إلى وحدة الجوهر .

نعم وإن كان استعمال اسم الله بصيغة الجمع لا يدل على ثلاثة فقط ، بل

---

(١) الوهيم كلمة عبرانية معناها الالهة (بالجمع) ومفردها (الوه) او الاله وجاءت بهذه الصيغة لا للتعظيم ولكن اشارة الى التثليث

قد يدل على أكثر من ذلك كما هو معلوم . ولكن بمقابلة هذه الآية وأمثالها مع الآيات الصريحة المذكور فيها لفظة (ثلاثة) يتضح لنا أن هذا الاستعمال هو للدلالة على هذه الحقيقة وحدها دون غيرها ، لأنها أخذت فى الايضاح تدريجا حتى ظهرت فى كتاب العهد الجديد ظهوراً واضحا جليا

(٢)قوله تعالى « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا تك ١ : ٢٦»

فكلمة (نعمل) دلت على كثرة الاقانيم التى كان الله يخاطبها بمشورته الازلية ، وكلمة(صورتنا)دلت على وحدة الطبيعة ، حيث أن لفظ(صورة) المضاف إلى ضمير المتكلمين مفرد دال على الوحدة

زعم بعض الناس أن الله قصد بذلك تعظيم نفسه ، نظير عادة الملوك . وهو زعم غير صحيح لانه ثبت أن تلك العادة لم تعرف فى العهد القديم عند ملوك الشرق ولا ينتظر أن الله جل شأنه يستعمل اصطلاحا غير جار بين الناس وقتئذ

ويؤيد ذلك ما جاء عن فرعون ونبوخذنصر وداريوس حيث قال الاول ليوسف « قد جعلتك على كل أرض مصر تك ٤١ : ٤١ » ولم يقل (جعلناك) وقال الثانى « فصدر منى أمر باحضار جميع حكماء بابل قدامى » (٤ : ٦) ولم يقل (صدر منا أمر) وقال الثالث (أنا داريوس قد أمرت فليفعل عاجلا عز ٦ : ١٢) ولم يقل (نحن داريوس)

ولايعزب عن افهامنا أن اسم الله جل شأنه ، ذكر بصيغة الجمع الغائب حيث قيل (فى البدء خلق الآلهة) وواضح أن ذلك لايدل على التعظيم ، لان التعظيم إما أن يكون من المتكلم عن نفسه . أو المخاطب فقط ، ولا يستعمل التعظيم فى الغيبة مطلقا حسب اصطلاح سائر اللغات

فيظهر مما تقدم أن ورود اسم الله بالجمع لايقصد به التعظيم . ولكنه أشارة إلى سر التثليث الذى كان يتجلى بالتدريج فى الاعلانات الالهية . إلى أن تبين تماما فى عهد النعمة وهو العهد الجديد

وما يبرهن على صحة هذا الرأى قوله تعالى « هوذا الانسان قد صار كواحد منا » تك ٣ : ٢٢ فهذه الآية تصرح بحقيقة التثليث تصريحا جليا . وتحقق أن ضمير الجمع الوارد فى هذه الآيات لايقصد به التعظيم بل حقيقة الجمع الذى يصدق على ثلاثة . لانه لو لم يكن هذا هو المراد لما قال (قد صار كواحد منا) بل قال (كمثلنا) فالضمير إذن فى هذه العبارة والتى قبلها ليس للتعظيم بل لجمع المتكلمين . كما أن قوله (هلموا ننزل ونبلبل هناك لسانهم) لايمكن أن يكون للتعظيم ولا خطابا للمخلوقين بل هو خطاب ذى عقل ربانى بين اقانيم الاله الواحد (تك ١١ : ٧)

(٣) قوله لموسى النبى (أنا إله أبيك إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ليس الله إله أموات بل إله أحياء مت ٢٢ : ٣٢) فقوله إله ثلاث مرات أشارة الى الأقانيم الثلاثة أما قوله ليس الله إله أموات . فأشارة إلى وحدة هؤلاء الأقانيم الثلاثة فى الجوهر . والا لو لم يكن المقصود بها ذلك لما كان هناك داع لتكرار كلمة الله . بل كان اكتفى بقوله أنا إله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب

(٤) وقوله بلسان أشعيا النبى « أنا الأول وأنا الآخر ويدى أسست الارض ويمينى نشرت السموات . أنا أدعوهن فيقفن معا . . منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلنى وروحه » أش ٤٨ : ١٢ — ١٧ فهذا النص من أوضح النصوص الدالة على تثليث أقانيم الله وتوحيد جوهره . وذلك لأنه من الواضح ان المتكلم بهذا الكلام . هو أقنوم الحى والا لما قال أنا هو الأول والآخر . ويدى أسست الارض . ويمينى نشرت السموات لأنه من هو الذى يده أسست الارض ونشرت السموات الا الله وحده . فالمتكلم اذن بهذا انما هو إله بلا محالة . ثم ان هذا المتكلم يعود فى نهاية الآية ويقول السيد الرب أرسلنى وروحه . ولا يمكن أن يرسل هذا الاله الا من أقنومين الحيين كمثله . وحيث ثبت ذلك فهوذا ثلاثة أقانيم الابن

يداه أسست الارض والآب والروح القدس اللذان أرسلاه بحسبما هو الانسان لخلاص العالم

(٥) وقول اشعياء عن السرافيم . انهم واقفون حول العرش الالهى يصرخون قائلين « قدوس قدوس قدوس رب الجنود اش ٦ : ٣ » فتكرار التقديس ثلاث مرات بلا زيادة ولا نقصان يشير الى الثالوث الاقدس . بمعنى قدوس هو الآب ، وقدوس هو الابن . وقدوس هو الروح القدس. أما قولهم رب الجنود بالمفرد فيشير الى وحدة الجوهر

(٦) وقول صاحب المزمور « بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها مز ٣٣ : ٦ » وفى هذا النص أثبت النبي ان الله ذو ثلاثة أقانيم . واليهم نسب صنع السموات وما فيها ، لان قوله (كلمة الرب) هو المعبر عنه (بالآب والابن) وقوله (نسمة فيه) هو المعبر عنه (بالروح القدس)

(٧) وقول صاحب الامثال « من ثبت جميع أطراف الارض ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت ام ٣٠ : ٤ » ولقد جاء فى بعض التقاليد الاسرائيلية أن معلمى اليهود اعتادوا أن يلقوا هذه الآية على مسامع تلاميذهم فى صورة أسئلة ليتبينوا من الاجابة عليها مبلغ اعتقادهم فى الله جل شأنه فيقولون لهم (من ثبت أطراف الارض ؟) فيجيبون (الخالق) ثم يسألونهم ثانية (وما اسمه ؟) فيجيبون (يهوه العظيم) أما اذا سألوهم (وما اسم ابنه) فيجيبونهم فى وقار دينى عظيم قائلين (هذا سر يفوق العقول)

ولا عجب فى عدم معرفتهم الجواب الصحيح لهذا السؤال لأن هذا السر لم يظهر بجلاء ووضوح إلا بعد أن تجسد فادينا العظيم وجاء صوت الآب من السماء قائلا « هو ابنى الحبيب الذى به سررت مت ٣ : ١٧ »

غير أن ما يستحق مزيد الالتفات فى هذه الآية هو أن (اسم ابن الله) جاء صريحا فى العهد القديم كما جاء فى العهد الجديد وأن أكثر علماء اليهود كانوا يعتقدون أن لله (ابنا) وذلك واضح من سؤال رئيس الكهنة

ربنا أثناء محاكمته ليلة الصلب ، حيث قال له « استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح (ابن الله) مت ٢٦ : ٦٣ »

(٨) إذا امعنا النظر فى نص البركة الجهرية التى كان الله أمر هرون وبنيه أن يباركوا بها الشعب الاسرائيلى لوجدنا فيها إشارة واضحة جلية لهذا السر العظيم ، حيث قيل « يباركك (الرب) ويحرسك ، يضيء (الرب) بوجهه عليك ويرحمك ، يرفع (الرب) وجهه عليك ويمنحك سلاما عد ٦ : ٢٤ » . فلو لم يقصد بكلمة الرب الأولى (الآب) والثانية (الابن) والثالثة (الروح القدس) لعـــدل عن التكرار واكتفى بقوله « يباركك الرب ويحرسك ، يضيء بوجهه عليك ويرحمك ، يرفع وجهه عليك ويمنحك سلاما »

ومما يؤيد هذا الاستنتاج هو أن تكرار كلمة (الرب) ثلاث مرات فى هـــذه البركة يقابلها ما ورد فى البركة الرسولية التى كرر فيها اسم الجلالة ثلاث مرات أيضا ، وكل مرة باسم أقنوم خاص حيث قيل « نعمة ربنا يسوع المسيح » و « محبة الله » وشركة « الروح القدس » مع جميعكم آمين ٢ كو ١٣ : ١٤ » فبركة العهد القديم كبركة العهد الجديد غير أن الوحى لم يصرح فى الأولى بما صرح به فى الثانية حذراً من وقوع الاسرائيليين فى عبادة تعدد الآلهة كما قلنا آنفا ، ولم تشر بركة العهد القديم فى نصها فقط على الثالوث الأقدس بل كانت تشير إلى ذلك فى استعمالها أيضا ، أى فى رفع يدى الكاهن أثناء تلاوته نص البركة : حيث أنه كان يرفع يديه فوق كتفيه ويخفضهما فوق الرؤوس ، ويجمع بين يديه بالابهامين والسبابتين على شكل مثلث ، وفى ذلك إشارة من أوضح الاشارات على سر التثليث الأقدس الذى كان عتيداً أن تمنح البركة باسمه علانية فى عهد الناموس الجديد

(٩) ولقد شرح ربنا يسوع المسيح حقيقة هذا السر فى جلاء ووضوح خال من كل إبهام وغموض ، حيث قال لرسله « تلمـــذوا جميع الأمم

وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس مت ٢٨ : ٢٠ » وبهذا القول دل على حقيقة التوحيد كما دل على حقيقة التثليث . حيث ذكر كلمة (باسم) بصيغة المفرد ثم ذكر الاقانيم بصيغة الجمع

(١٠) وقال أيضا لتلاميذه « متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق يو ١٥ : ٢٦ » فالمتكلم بهذه الآية ، هو الابن (الاقنوم الثانى) والمعزى هو الروح القدس (الأقنوم الثالث) والذى ينبثق منه هو الآب (الأقنوم الاول)

(١١) قال متى الانجيلى « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » مت ٣ : ١٧ وفى هذه الحادثة ظهر الاقانيم الثلاثة باسمائهم أيضا . فاقنوم الآب ظهر بالصوت الآتى من السماء قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . واقنوم الابن ظهر بجسد ربنا يسوع المسيح المتعمد فى الماء : واقنوم الروح القدس ظهر بالحمامة التى انحدرت على رأس المسيح

(١٢) قال يوحنا الأنجيلى « فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس . وهؤلاء الثلاثة هم واحد » ١ يو ٥ : ٧ وهذا من أوضح ما يكون على سر تثليث اقانيم الله ووحدة جوهره . لانه يصرح بتثليث الاقانيم بقوله . أن الشهود فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس . ثم يعلن وحدة الذات والجوهر فى الثلاثة بقوله (والثلاثة هم واحد) أى إله واحد .

(١٣) ولقد أعلن الانجيلى أيضا تميز أقنومى الآب والابن ووحدتهما فى الجوهر بقوله « فى البدء كان الكلمة » أى فى الازل قبل كل ما له ابتداء . وبهذا حقق أزلية الابن الكلمة . ثم يشير الى تميز اقنومه عن أقنوم الآب

بقوله « والكلمة كان عند الله » أى أن الابن الكلمة كان عند أبيه فى جوهره الالهى ، مولوداً منه نور من نور . وواضح أنه لا يكون أحد عند ذاته ، بل عند غيره فمن ثم يكون الابن الكلمة أقنوماً إلهياً ممتازاً عن أقنوم الآب . ثم يصرح بوحدتهما فى الجوهر والذات بقوله (والله هو الكلمة) وكأنه يقول أن الكلمة الذى كان منذ الأزل عند الله . أى فى الجوهر الالهى مميزاً بأقنومه عن أقنوم الله الآب . هذا نفسه هو الله بوحدة الجوهر والذات لأن الابن الكلمة والله الآب جوهر واحد وذات واحدة ولاهوت واحد

(١٤) قال بولس الرسول « بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم » غل ٤ : ٦ وهذه الآية من أوضح الآيات الدالة على التثليث . فالله هو المرسل . وروح ابنه هو المرسل . ثم الابن المنسوب إليه الروح

وقال أيضاً (لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب اف ٢ : ١٨) فالضمير فى قوله (به) راجع الى السيد المسيح الذى هو (الابن) والذى لنا القدوم فيه إلى (الآب) هو (الروح القدس)

أما البركة الرسولية فهى لا تثبت حقيقة الاقانيم الثلاثة فحسب ، بل مساواة هؤلاء الاقانيم فى ذات الله الواحد حيث تقول (نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم ٢ كو ١٣ : ١٤)

هذه هى شهادة الوحى الالهى عن تثليث أقانيم الله وتوحيد ذاته الكريمة فينبغى لنا أن نقبلها ونؤمن بها ، لأنه ليس المطلوب منا أن نفحص أسرار الله حتى إذا ما عرفناها وأدركناها نؤمن بها بل المطلوب منا أن نؤمن بها معتمدين على شهادته تعالى وإن لم ندركها لأنه وأن كان ليس فى وسعنا ادراك ذات الله ، ومعرفة أسراره بطريقة طبيعية إلا أنه تفضل ومنّ علينا بترقية عقولنا لأدراك هذا السر بواسطة فائقة على الطبيعة . وهى الايمان والتصديق بما أعلنه لنا فى كتابه الاقدس فالاعتماد كله فى معرفة الحقائق

المدينية . ليس على عقولنا وادراكاتنا . بل على شهادة الله وحده وكفى بالله شهيداً (١) .

شهادات المجامع المسكونية

أنه لما كثرت البدع وتعددت بشأن هذا السر الاقدس فى بدء الجيل الرابع واحدثت اضطرابات وقلاقل عظيمة فى الكنيسة عقد المجمعان المسكونيان أحدهما فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥ م . مؤلفا من ٣١٨ أسقفا والآخر بمدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ م . مؤلفا من ١٥٠ اسقفا واجمعا على القانون الآتى وهو :ــ

نؤمن باله واحد ضابط الكل . خالق السماء والارض ما يرى وما لا يرى ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق . مساو الآب فى الجوهر . الذى به كان كل شىء . الذى من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا : نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر وقام من الاموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب . وصعد إلى السموات وجلس

---

(١) ولقد اثبت القرآن ايضا توحيد ذات الله وتثليث اقانيمه بقوله (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله (هذا من جهة الناسوت اما من جهة اللاهوت) وكلمته القاها الى مريم وروح منه) فأوضح فى هذه الآية التثليث فى الوحدة وهو (الله) الملقى (وكلمته) الملقاة (وروحه) ثم اتم الآية بقوله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة (اى ثلاثة آلهة لا ثلاثة اقانيم) سورة النساء آية ١٦٤)

وهو نفس اعتقاد المسيحيين لانهم لا يقولون ان الله ثلاثة آلهة بل يقولون انه اله واحد فى ثلاثة اقانيم

عن يمين الآب . وايضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والاموات الذى ليس لملكه انقضاء

ونؤمن بالروح القـــدس الرب المحيي المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن . الناطق فى الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الاموات وحياة الدهر الآتى

ومن هذا القانون الذى هو المرجع الوحيد لمعرفة هذه العقيدة الجليل قدرها بعد الكتاب المقدس يتضح لنا تثليث أقانيم الله وتوحيد ذاته الكريمة

اما قانون الرسل فذكر وحدانية الله ثم سماه بالتتابع - الآب القادر على كل شيء - ويسوع المسيح ابنه - والروح القدس

الاقيسة المتخذة من الخليقة المحسوسة

انقسم اللاهوتيون الى فريقين من جهة الاقيسة المتخذة من الخليقة: ففريق منهم رفضها رفضا باتا بحجة أنه ليس للثالوث المقدس نظير بين جميع المخلوقات ولا مثيل له تعالى فى الكون مطلقا . وفريق آخر قبلها لانه رأى فيها خير وسيلة يرتقى بها العقل البشرى الى معرفة هذا السر العميق ناسبين إليه كل فضل وتاركين للخليقة كل نقص

وحيث انى أرى فى هذه الاقيسة وسيلة نافعة لتهيئة المدارك لفهم هذا السر العظيم فمن ثم أذكر أشهرها وهى : —

(١) الانسان الذى قال عنه جل شأنه أنه خلقه (على صورته كشبهه) فهو ذو عقل ونطق وحياة - فالعقل يشبه بالآب والنطق بالابن والحياة بالروح

القدس وبما ان العقل يعتبر والدا للكلمة . والكلمة مولودة من العقل دائما أبداً بغير انقطاع ولا انفصال . (لان عقل الانسان لايخلو مطلقا من الكلمة صامتا كان أو متكلما) فهكذا أيضا الابن الازلى هو كلمة الاب لم يزل قط مولوداً من الاب بغير انقطاع ولا انفصال . ميلاداً جوهريا طبيعيا دائما ثابتا فيه . فالاب يعتبر والدا دائما اى ناطق دائما . والابن مولود دائما اى نطقه . وكما ان العقل والكلمة لهما روح واحد وهو حياتهما . فهكذا الاب والابن لهما روح واحد وهو الروح القدس . وكما ان الكلمة توجد متى وجد العقل بدون ان يتقدم احدهما على الاخر او يتأخر عنه فهكذا الآب والابن لم يوجد بينهما تقدم او تأخر ولو غمضة عين . وكما ان الانسان اذا اراد اظهار كلمته للغير تجسمت تلك الكلمة بواسطة اللسان وظهرت للسامعين بدون انفصال او انقطاع عن العقل . فهكذا كلمة الآب الازلى عندما اراد ان يتجلى للناس اتخذ جسداً من القديسة مريم وظهر فيه بدون ان ينفصل من ابيه او ينقطع

فهذا القياس الذى لا ينكره احد يمثل لنا ذات الله تمثيلا عجيبا ويقرب فهمنا لهذا السر العظيم ولكن بهذا الفرق وهو ان الكلمة فى الطبيعة الانسانية ليست شيئا قائما بنفسه واما (كلمة الله) فشىء قائم بنفسه فى الطبيعة الالهية

(٢) واليك قياسا آخر لهذا السر الالهى وهو الشمس التى تعرف عندنا بثلاثة اشياء وهى واحدة فتعرف بالقرص الذى هو جسمها . والشعاع والحرارة الصادران عن هذا القرص ومن هذه الجهة ترسم لنا تثليث اقانيم الله وتوحيد جوهره لان قرص الشمس يرسم لنا الآب أى الأقنوم الأول من الثالوث الأقدس . والشعاع يرسم لنا الابن أى الأقنوم الثانى الذى هو مولود من الآب ميلاداً أزليا مساويا بالأزلية الآب كما أن شعاع الشمس مساو لوجودها . أما الحرارة فترسم لنا الروح القدس الذى هو الاقنوم الثالث الصادر من الآب صدوراً أزليا . وكما أن شعاع الشمس وحرارتها ينبعثان من القرص

ولم يكونا بعده فى الوجود ـ فهكذا الابن والروح القدس ولو أن أحدهما مولود من الآب والآخر منبثق منه ، إلا انهما لم يكونا بعده فى الوجود ـ فهذا القياس المحسوس الذى نراه بأعيننا يوميا من أسهل الاقيسة التى ترسم لنا تثليث أقانيم الله وتوحيد جوهره . ولكن بهذا الفرق أيضا وهو ان ضياء الشمس وحرارتها عرضان قائمان بجوهرها لا بذاتهما . أما الاقنوم الثانى الذى هو شعاع الآب ، والاقنوم الثالث الذى هو حرارة محبته ، فليسا عرضين ، بل لهما القيومية الجوهرية فى الطبع الالهى . لانه تعالى منزه عن الاعراض

قال القديس اثناسيوس فى السؤال والجواب الرابع لانطيوخس فى قياس الشمس هذا بخصوص الولادة والانبثاق : «كما أن قرص الشمس وحده هو علة وغير مولود من أحد . أما الشعاع فمعلول ومولود من القرص . والنور منبثق وبارز من القرص وحده وهو بالشعاع مرسل ومشرق على الارض . هكذا الله الاب وحده علة الاثنين وغير مولود . وأما الابن فانه من الآب وحده معلول ومولود . والروح القدس نفسه من الآب وحده معلول ومنبثق وهو بالابن مرسل إلى العالم»

(٣) ودونك قياسا ثالثا وهو النفس الحية الناطقة . فمع كونها ذات . حية . ناطقة . وأن الذات غير حياتها ونطقها ، وحياتها غير ذاتها ونطقها ، ونطقها غير ذاتها وحياتها . فليست هى ثلاثة أنفس ، بل نفس واحدة لانها لا تتعدد بالذوات بل بالصفات

(٤) وحسبك مثلا آخر وهو اننا إذا أتينا بثلاثة مصابيح فيكون نورها واحدا لاتحادها معا ويكون نورها مثلثا بحسب عدد المصابيح. فان كان النور الساطع من الثلاثة المصابيح واحدا ومثلثا . فاذن أمر مستطاع وهو أن يكون فى اللاهوت الاقدس واحد فى ثلاثة

فهذه الامثلة والاقيسة ، وإن كانت لا تمثل الله جل شأنه تمام التمثيل

لعجزها وضعفها ونقصها ولكونه تعالى يجل عن الامثال والاشكال ، ولا يشبه بالممكنات فى شىء من الاشياء (اش ٤٠ : ١٨ ومز ٨٩ : ٦) إلا إننا أتينا بها لا لاعتقادنا بأنها تفى بالغرض المقصـــود ، ولكن لتكون معوانا فقط لتقريب فهمنا لهذا السر الجليل قدره والعميق غوره . ومن ثم قال أحـــد اللاهوتيين ، إننا نستطيع أن نثبت وجود الله ، وإنه ذو ثلاثة أقانيم ، من معلولاته : (أولا) لكون هذه المعلولات ممكنة الوجود فيلزم أن تكون علتها واجبة الوجود (ثانيا) لكون هذه المعلولات . منها ما هو ذو حياة فيقتضى أن يكون هذا الحى معلولا لعلة ذات حياة . ومنها ما هو ذو نطق . فيقتضى أن يكون هذا الناطق معلولا لعلة ذات نطق ،

وينتج من ذلك أن الله واجب الوجود من جهة . وإنه ذو نطق وحياة من جهة أخرى . وهذا ما يقابل قولنا (الآب والابن والروح القدس) غير أن هذا الواجب الوجود يتميز بأنه علة وبأن الحياة والنطق معلولان له . والعلة إما أن تتقـــدم معلولها كتقدم الصانع على صنعته . والوالد على مولوده . أو تلازم معلولها كملازمة النار للحرارة والنور للشعاع (وهذا ما يطابق موضوعنا)

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن المجمع الاول النيقاوى أسهب فى شرح هذا المعنى . لان ضرورة سبق العـــلة على معلولها مما كان السند الوحيد لكفر آريوس الذى كان يقررها كأعتراض لا جواب له . خصوصا عند ما كان الفلاسفة المستأجرون منه يسعفونه بالقياسات والمقـــدمات الفلسفية التى كانوا يوردونها فى شأن الوجود المعلول ولزوم ، القبلية والبعدية ، فى هذا الشأن . إلا أن المجمع فضح ضلال آريوس وأثبت هذه القاعدة التى هى من أخص أساسات الايمان المسيحى . اى إننا نقول بعلة ومعلول بالحقيقة ولكن مع الايمان نقر إنه لا يتوسطهما زمن لا حقيقى ولا وهمى

المبحث الثانى

فى

أسماء الاقانيم الالهية

تمهيد — تعرف الاقانيم الالهية الثلاثة بالآب والابن والروح القدس . وهذه الاسماء الجليل قدرها لم يخترعها المسيحيون من أنفسهم . بل عرفوها من كتاب الله وشهاداته الصادقة عن ذاته الكريمة . لانها ولا ريب من الاسرار الغامضة العويصة التي لا يستطاع استقصاء عظمتها حيث تسمو وتفوق كل عقل وادراك . فمن ثم لا يجرؤ مخلوق كائنا من كان ان يخترعها او يصطلح على وضعها

قال له المجد مخاطبا تلاميذه (اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس مت ٢٨ : ٢٩) وبذلك حقق أن الاقنوم الأول يدعى (أبا) والاقنوم الثانى (ابنا) والاقنوم الثالث (روحا قدسا)

وبهذه الاسماء المباركة وبهذا الترتيب بيّن ربنا له المجد صورة الامانة المسيحية . ونحن تبعا لذلك لا نغير هذه الصورة الشريفة ولكن لو ذكرنا مثلا الابن فى غير هذه الصورة قبل الآب والابن والروح القدس . أو ذكرنا الروح القدس قبل الآب والابن . فلا نكون شوشنا رتبة الاقانيم الالهية « أنظر ٢ كو ١٣ : ١٤ » لان رتبة هذه الاسماء الشريفة ليست بطريق حدود المعلولات وقبل وبعد فى أقنومى الابن والروح القدس بل هى رتبة تسليم من المعلم الأول ربنا يسوع المسيح لان « القبلية والبعدية » لا وجود لهما بالنسبة للاقانيم الالهية . واذن لقد ضلّ اريوس بقوله حيث ان رتبة

الروح القدس هي الثالثة في الاقانيم وانها رتبة طبيعية لصدوره . وحيث أنه معدود بعد الابن في الرتبة فهو مخلوق منه

وحيث ان هذه الاسماء مصدرها كتاب الله الذي يجب ان يخضع له العقل خضوعا تاما . فيليق بنا أن نقبلها ونسلم بها بلا فحص ولا جدال ، عالمين أن معرفة هذه الأسماء بالتدقيق لايمكن الوصول اليها ولا التعبير عنها على ما فيها من عدم الفائدة للباحث ، لانها غير محدودة ولا مفهومة وبعيدة المنال عن كل انسان غير ان ذلك لايمنع من إيضاح معانيها ، وكشف عللها بقدر ما وصلت اليه أفهام البشر وعقولهم المحدودة

قال القديس كيرلس الاسكندري « يجب أن نصدق أن الله هو آب وأنه ولد ولداً . ولكن كيف أمكن هذا ؟ ذلك ما يجب أن نقلع عن طلب تفهمه . ولست أظن أن شخصا يجرأ على الهزء من اولئك الذين يسلمون عن حكمة بحقائق تسمو على العقل البشرى الضيق . وسر الولادة الالهية هو من هذه الحقائق التي تفوق كل عقل »

الاقنومان الاول والثاني

١ ـ لقد دعى الأقنوم الأول (أبا أو والداً) (١) والأقنوم الثاني (ابنا أو مولوداً) (٢) ولما كانت ولادة ابن الله جل شأنه ليست من نوع التوليد

---

(١) الاب والد دائما اى أنه ناطق دائما . والابن مولود دائما اى نطقه — لان الانلاد لايوجب الانقطاع . كما ان الانبثاق لايوجب الانفصال

(٢) لقد دعى البشر والملائكة ابناء لله . ودعى السيد المسيح ابنا لله . غير ان فرقا عظيما بين البنوتين . فالاولى بالنعمة والوضع : والاخرى بالطبع . ولذلك ميزها الوحي الالهي بقوله . الابن الوحيد « يو ١ : ١٤ — ١٧ » اى لا شريك له في هذه البنوة

الذى هو عبارة عن انتقال من اللاوجود إلى الوجود وكلاهما فى المادة تسامى الله عنها فمن ثم كان جديراً بنا أن نذكر أنواع البنوة ومعانيها قبل الشروع فى إيضاح هذه العلة وهى تسمية الأقنوم الاول والثانى بالآب والابن فنقول :

ليس من ينكر أن البنوة منها وضعية ومنها طبيعية . فالوضعية كأن ينزل الانسان عبده منزلة ابنه أو كأبوة الله جل شأنه للبشر (مت ٦ : ٩) حيث تعنى انه خالقهم وحافظهم ومنعم عليهم ومريد خيرهم

أما البنوة الطبيعية : فمنها ما هو محسوس بوجع وألم وتفاعل كولادة الحيوان . ومنها ما هو بغير ألم ولا انفعال ولا شهوة كتولد شعاع الشمس من جرمها . وتولد النور المحسوس من النور المحسوس ، فهذه وان كانت من غير ألم وشهوة لكنها محسوسة طبيعية . فدعيت بنوة بمعنى التوالد . لان اسم البنوة يشمل التوالد وهو ظهور الشىء من الشىء

ولنعلم ان بنوة ابن الله الازلية لم تدخل فى واحدة من هذه الاقسام جميعها . وانما نشبهها بولادة الشعاع من الشمس تقريبا لفهم هذا السر العظيم فقط . وذلك لانه كما أن الشعاع يصدر من الشمس طبيعيا فهكذا الابن يولد من الآب لا بتقدم الاختيار بل بحسب الطبيعة . وكما أنه لا يظهر أبداً جرم الشمس بدون شعاع فهكذا لم يكن الآب أبداً بدون الابن وكما اننا نخطىء إذا قلنا اننا نعاين الجرم أولا وبعده الشعاع فهكذا نخطىء أيضا إذا اعتقدنا ان الآب وجد أولا وبعده بزمن ولد الابن . بل كما أن شعاع الشمس مساو للشمس فى الوجود والزمن ، فهكذا الابن مساو للآب فى الازلية والابدية

على انه وان كان صدور الشعاع من الشمس يقرب فهمنا لصدور الابن من الآب إلا انه لا يمثل ذلك التوليد الالهى تمثلا وافيا . لا بل انه ليس فى كل المخلوقات على التحقيق طريقة صدور تمثل ذلك التوليد المنيف تمثيلا صحيحا

من سائر الوجوه ومن ثم كان لابد من تحصيل هذه المشابهة من طرق كثيرة بحيث ان ما يفوت إحداها يوفى على نحو ما من الأخرى فتمثيل الأبن (بالشعاع) يكشف لنا وجوده دائما مع الآب مشاركا له فى الأزلية وتسميته (بالأبن) تؤذن بمشاركته الآب فى الجوهر وتسميته (بالكلمة) توضح عدم التألم فى الولادة الالهية

ولعمرى انه وان كان الاقنوم الثانى صدر من الاقنوم الاول كقول الوحى الالهى . الا اننا نحذر كل الحذر من ان نعتقد فى ذلك الصدور بأنه حركة الى (الخارج) على حسب ما هو فى الجسمانيات : اما بحركة مكانية أو بتأثير علة فى معلوم خارج كصدور الحرارة من المسخن إلى المسخن : أو نفهم فيه ما فهمه الشقيان أريوس وسابيليوس حيث زعم الاول ان صدور الابن من الآب من قبيل صدور المعلول عن العلة بقوله « ان الابن صادر عن الآب على انه خليقته الأولى، مع ان الاقنوم الأول لا يعتبر علة للاقنومين الآخرين بحسب المعنى المعروف بل يعتبر انه « مبتدأ او اصلا لهما » والمبتدأ هو نقطة الأبتداء التى منها يصدر الآخر اى ان الأقنوم الاول هو نقطة ابتداء الاقنومين الآخرين

وزعم الآخر بأن هذا الصدور من قبيل ما يقال ان العلة تصدر الى المعلول من حيث تحركه او ترسم فيه شبهها بقوله « ان الله الاب نفسه يقال له الابن باعتبار تجسده وهو بعينه يقال له الروح القدس باعتبار تقديسه الخليقة الناطقة، حاشا وكلا . بل هو صدور من الداخل اى كصدور (الكلمة) المقولة عن قائلها التى تبقى مستقرة فيه دائما أبدا غير مفارقة له

علة تسمية الاقنوم الاول والثانى

(بالآب والابن)

أما علة هذه التسمية الجليل معناها فهي : —

حيث ان الاقنوم الاول هو بمنزلة ينبوع ومبدأ ولكن لا من مبدأ ، اعطى الاقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله . حتى ان الاقنوم الثانى الذى هو صورة الاقنوم الاول الجوهرية مساو للاب بكمال المساواة أي له طبيعة الآب وجوهره نفسه . ويمثل له فى ذاته . لا تمثيلا عرضيا خياليا بل ذاتيا حقيقيا تاما كما قال جل شأنه عن نفسه « من رآنى فقد رأى الآب » يو ١٤ : ١٩ ومن ثم صار حسنا ولائقا للغاية ان يدعى الاقنوم الاول (أبا) والاقنوم الثانى (ابنا) ايضاحا لوحدة الطبيعة ومشابهتها لكليهما لان كل مولود يشبه اباه فى جوهره وطبيعته وكل خصايصه . فالطير يلد طيرا والوحش يلد وحشا . والانسان يلد انسانا مشابها له فى كل شيء . كذلك ابن الله هو إله فى جوهره وطبعه كأبيه

وحيث ان حد الايلاد هو صدور حي من حي بمبدأ مقارن (١) (مشابه) يقتضى شبه طبيعته (شكله)

وحيث ان الاقنوم الثانى صدر من الاقنوم الاول حيا من حي بمبدأ ليس مقارنا فقط بل واحداً مع الذات الالهية . وهو بأبلغ نوع يستلزم شبه الطبيعة . لأن الوالد الطبيعي بفعل الايلاد يوجد شخصا شبيها بطبيعته

---

(١) وعليه . فلا يقال لكل حي أنه (مولود) بل بالخصوص لما يصدر بحسب حقيقة المشابهة ولا نقصد أي مشابهة كانت . بل ان يصدر الشيء بحسب المشابهة فى طبيعة نوع ما بعينه . كصدور انسان من انسان واسد من أسد

أما الشعر والوبر والديدان المتولدة من الحيوان فليست لها حقيقة (المولود والابن) لانها لم تكن مشابهة لما صدرت منه تمام المشابهة

فقط ولا يمكن أن يمنحه طبيعته ذاتها أما الله الآب فانه ولد الأقنوم الثانى ليس شبيها له فى الطبيعة فقط بل له (الطبيعة الالهية ذاتها) ولذلك صار فى أقصى حدود اللياقة والمناسبة أن يدعى الاقنوم الأول (أبا) والاقنوم الثانى (ابنا). وهذه علة تسمية الاقنوم الاول (بالآب) والاقنوم الثانى (بالابن)

٢ - ويدعى هذا الاقنوم تقدس اسمه (الكلمة) قال الوحى : فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله . والله هو الكلمة يو ١ : ١ ، وهو اسم فى منتهى المطابقة . لأنه جل شأنه لا يولد من الآب كأبناء الحيوان أو النبات الذى يخرج من الأصل أو الحب . أو كالانسان من امرأة . بل يولد بفعل العقل أى بتصور الآب ذاته . ومن ثم تدعى تلك الصورة كلمة . لأنها مفهومية العقل ونطقه المدعو أولا كلمة وعنه دعيت كلمة الفم كلمة لصدورها عن كلمة العقل . أو بعبارة أوضح . أن الاقنوم الثانى يدعى (كلمة) لأنه صورة الآب الكاملة التى صورها على ذاته بمشاهدته نفسه وهذه الصورة التى تصورها هى أنه إله كمثله وهو على حد قول الوحى الالهى (هو رسم جوهره عب ١ : ٣)

قال ابن المكين : لما كانت الاحوال الحكمية تقتضى تسمية الذات الألهية من جملة الصفات الذاتية (بالعقل) وقد وافقت أصول البيعة المسيحية وحكماؤها وأفاضلها على هذه التسمية ولم تنكرها وأثبتوا بهذه التسمية (أعنى تسمية الذات الالهية بالعقل) صحة القول بالتثليث من جهة القياس وتطابقوا فيه عقلا ونقلا وآمنوا به حقا . وهذا العقل لا يصح وجوده إلا بوجود خاصة النطق . لأن العقل يستلزم النطق والناطق انما سمى ناطقا لما فيه من جوهر العقل المنير على النفس العاقلة والناطق لا يصح تسميته أنه ناطق إلا بوجود كلمته الغريزية الطبيعية . كما أن الحى لا يصح تسميته حيا إلا بروح حياته . وهذه الكلمة الموجودة الغريزية فى العقل لا تزال موجودة معه فى خاصة جوهره لا تتأخر عنه ولا تتقدم عليه

فوجود العقل مقيد بوجود الكلمة . ووجود الكلمة مقيد بوجود العقل فلا عقل إلا وكلمة ولا كلمة إلا وعقل

وإذا فرض أن الكلمة صادرة عن العقل فيكون علة لها ووالداً لذاتها فافهم إن هذا الفرض فرض ذهني مفهوم فهما اعتباريا فقط . وليس هو فرضا خارجا ولا زمنيا . ومثال ذلك اننا نفرض ونفهم تقـــدم جرم كوكب الشمس على شعاعه بمعنى أن الجرم الشمسي علة لظهور شعاعه . فهذا وإن كان حقا لـكن من المحقق المعلوم أن جرم الشمس لا يوجد قط فى آن ولا ما هو دون طرفة عين إلا بوجود الشعاع فلا شعاع إلا وشمس ولا شمس إلا وشعاع . فالمفروضات الذهنيه والمفهومات العقلية الاعتبارية لا يلزم وجودها خارج زمني

وكذلك نقول فى العصب النوري . أنه سبب فى وجود حس البصر وعلة له . ولـكن لم يوجد قط عصب نورى إلا مع وجود حس البصر ، وإن كان العصب النورى هو حامل خاصه البصر ومتقـــدم عليها بالذهن وبالفرض المفهوم فقط . لـكن ليس ظاهراً حسيا ولا خارجا . وهذه القياسات بالمحدثات هى لبيان صحة القياسات فى الازليات

ولا تفهم من قولى ان الكلمة موجودة بوجود العقل دائمة الوجود ولم تزل معه . بمعنى ان هذه الكلمة هى التى تبرز عن آلات الـكلام كاللسان والشفتين . فليس الامر كذلك لـكن الكلمة الغريزية التى هى نطق العقل وتصوره . وهى التى يصير الناطق بها ناطقا ومفكراً

لانه لو فهمنا أن الانسان انما سمى ناطقا ليس إلا لـكونه يتكلم بالصوت والحرف الصادرين عن آلات الكلام كان القياس يقتضى أن يكون الاخرس غير انسان لانه لا يتكلم بالصوت والحرف . وليس الامر كذلك . ومن يقول أن الاخرس غير انسان ؟ ومما يدل على ان الاخرس ناطق بجوهر كلمته الغريزية اللازمة لوجود العقل كونه يعبر عن غرضه باشاراته ويبلغ بها مطلوبه . فهو ناطق بكلمته الغريزية ولو لم يظهر الفاظا

كمن ينبه بآلات الكلام اللفظى

وقد يحق للاقنوم الثانى ان يدعى (كلمة) « لان الله كلمنا به عب ١ : ١ » ولأنه اعلن لنا افكار الله ومشيئته (يو ١ : ١٨) كما ان كلمة الانسان تعلن أفكار الانسان وارادته .

(٣) وقد دعى هذا الاقنوم الالهى أيضا (نوراً) (يو ٣ : ٩) لانه كان منذ بدء العالم هو النور الاصيل الازلى الغير المتغير العام لكل البشر الذى يقودهم الى السماء ويعلن لهم طرق المعرفة والهدى والخلاص لكل من يقبله ويسير بمقتضى ارادته . كما انه هو المرشد الى الطهارة الادبية والسعادة الابدية ، ومن يتبعه فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة (يو ٨ : ١٢)

ويتلخص مما تقدم ان الاقنوم الثانى جل شأنه دعى (ابنا) لبيان مساواته للآب فى الطبيعة ، (وكلمة) لبيان كونه صورة الآب الكاملة (وشعاعا) لبيان مساواته للآب فى الازلية (ونوراً) لاعلانه الحق للناس

وهذه الاسماء جميعها أعنى (الابن) و (الكلمة) و (الشعاع) و (النور) تدل على نقاوة هذه الولادة الالهية وسموها عن كل دنس وامتزاج . وعلى ان ميلاد ابن الله ليس ميلاداً جسديا بشريا ، بل روحيا عقليا إلهيا لانه صادر عن الآب كصدور الشعاع عن الشمس والكلمة عن العقل .

ولنعلم ان الكلمة فى التثليث المقدس نوعان لانه يفهم بها :—

(اولا) كلمة جوهرية مشتركة للثالوث الاقدس جميعه تتخاطب بها الاقانيم الالهية وتأمر بها المربوبات وتخرجها من العدم الى الوجود . فبهذه الكلمة الجوهرية قال الله « ليكن نور فكان نور » تك ١ : ٣

(ثانيا) كلمة شخصية أقنومية اى اسم خصوصى لابن الله وهو ربنا يسوع المسيح الذى يقول عنه الكتاب « فى البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » يو ١ : ١

الاقنوم الثالث

لقد دعى الاقنوم الثالث جل شأنه الروح القدس ليس لان بينه وبين الاقنومين الاخرين تميزاً فى روحانية الجوهر . كلا ، لانهم متساوون فى ذلك ، وان كلا من الاقنومين الآخرين يسمى روحا ايضا . قال الكتاب «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى ان يسجدوا يو ٤ : ٢٤ و٢ كو ٣ : ١٧ »

فلفظ الروح القدس اذا اعتبر بقوة كلمة فهو مخصوص للدلالة على الاقنوم الثالث من الثالوث الاقدس أما إذا اعتبر بقوة كلمتين فهو عام للثالوث كله لان الروح يدل على تجرد الجوهر الالهى عن المادة . والقدس يدل على تمحض الخيرية الالهية . فالآب روح . والإبن روح ، والآب قدس ، والإبن قدس . غير انه لما دعى الاقنوم الاول باسم دال على نسبته إلى الاقنوم الاول اختص الاقنوم الثالث بالإسم المشاع وهو الروح ، ليدل على ان الاقنوم الاول ناطق بأقنوم كلمته ، حى بأقنوم روحه

وربما دعى بهذا الإسم اشارة إلى اعماله الخاصة به ، والغير المنظورة (يو ٣ : ٨) لان الروح يدل فى الجسمانيات فيما يظهر على دفع وتحريك . ومن ثم يدعى النفس والريح روحا

وقد دعى هذا الروح الالهى (بارقليط (١)) وهى لفظة يونانية معناها المعزى . وذلك لانه كان عتيداً ان يحل على التلاميذ فيعزيهم ويملأهم شجاعة وقوة وحكمة لاذعة بشرى الخلاص بين الملأ . حتى إذا ما حلت بهم الاراجيف المرهبة فلا ييأسون ولا يرهبون بل يتشجعون ويتقوون . قال جل شأنه « فتى اسلموكم فلا تهتموا كيف او بما تتكلمون . لانكم تعطون

---

(١) (بارقليط) معناه لغة المحامى والمدافع والوسيط . واصطلاحا كنسيا (المعزى)

فى تلك الساعة ما تتكلمون به لان لستم انتم المتكلمين بل روح ابيكم الذى يتكلم فيكم مت ١٠ : ١٩ .

وهو وان كان جل شأنه له طبيعة الاب وجوهره نفسه كالابن إلا انه لم يدع ابنا ولا مولوداً . بل يقال له (روح منبثــــق يو ١٥ : ٢٦) أى صادر أو خارج من الآب

(علة وصف صـــدور الابن بالولادة)
(والروح القدس بالانبثاق)

لا يمكــن للعقل البشرى أن يعرف علة هذا الوصف اوكما قال القديس اثناسيوس معلم لاهوتى العالم كله (انه امر لا يفسر) لانه من الامرار الغامضة التى لا يدركها كائن مــن كان لانها خاصة بالله وحده . غير انه لما كان الاقنوم الاول المسجود لعظمته يعتبر بمنزلة العقل عند علماء اللاهوت والفلاسفة . والاقنوم الثانى أسماه الوحى كلمة (يو ١ : ١) والكلمة حسب تعريف الفلاسفة تولد من العقل لهــــذا وصف له المجد بأنه مولود .

اما الاقنوم الثالث فلكون اسمه تعالى ذكره يفيد الدلالة على القوة الحركة ، لهذا وصف بأنه منبثق كما تنبثق نسمة الانسان من نفسه

غير ان من يصدر بفعل الولادة حاصل على الطبيعة الالهية كمن يصدر بفعل الانبثاق لانه كما ان (الابن) يصدر من الآب طبيعيا هكذا (الروح القدس) يصدر من الآب طبيعيا وصدورهما معا . والامتياز اقنومى فقط فى عدم الايلاد يميز الآب . والايلاد يمـــيز الابن . والانبثاق يميز الروح القدس

وقد يقرب فهمنا لهذا السر العظيم . مثل آدم (١) وحواء وهابيل .

---

(١) هــذا القياس ذكره القديسون اثناسيوس الرسولى واغريغوريوس النازينزى ويوحنا الدمشقى وايرونيمس

فكما ان حواء وهابيل صدرا من آدم . وكلاهما خرجا من جوهره شبيهين بطبيعته . وكلا منهما من بشر ومع ذلك فهابيل يدعى ابنا لآدم وأما حواء فلا تدعى بنتا له . وذلك لان حواء وإن كانت من آدم شبيهة بطبيعته . لكنها لم تكن منه بفعل يقتضى اتحاد انسان شبيه بآدم . كالفعل الذى صدر به هابيل . فمن ثم وإن كانت منه شبيهة به لم تدع بنتا له .

وهكذا الابن والروح القدس . وإن كان كل منهما له جوهر الآب نفسه وشبيه له . إلا أن أحدهما يدعى ابنا مولوداً والاخر روحا منبثقا . غير ان الانبثاق لا يدل على الانفصال بل هو دائم غير منقطع . ولهذا لم يقل السيد المسيح أنه « انبثق » فى الماضى بل قال « ينبثق » فى المضارع ليدل على أنه دائم بغير انقطاع أو انفصال

الانبثاق

مما لا جدال فيه أن صدور أحد الاقانيم الثلاثة الالهية من الاقنوم الآخر انما هو سر من اسرار اللاهوت الغامضة التى لا يستطاع إدراك كنهها بالفلسفة والحكمة البشرية . لانها أسرار تفوق عقول سائر المخلوقات ولا يأمن الباحث فيها من الخطأ والزلل . الا اذا آمن واعتقد بما ورد عنها فى الكتب السمائية والمجامع المسكونية واقوال آباء الكنيسة الذين يوثق بقولهم لان بعضهم تلقن ذلك من الرسل الاطهار والبعض الاخر بالتسلسل من الخلفاء فضلا عن قداستهم وصحة تعاليمهم

أما ما جاء عن هذه القضية اللاهوتية فى الكتب السمائية فهو قوله جل شأنه « ومتى جاء المعزى الذى سارسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق يو ١٥ : ٢٦ » وبذلك أثبت أن مصدر الروح القدس انما هو الآب وحده ، وما عدا ذلك فهو ضلال وخطأ ، إلا اذا اعتقدنا أن الناس يعرفون من هذه الأسرار ، ما لا يعرفه الإله نفسه وذلك باطل

أما ما جاء فى قانون الايمان الذى اقرته المجامع المسكونية عن هذه القضية اللاهوتية فهو « نؤمن بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق فى الانبياء » وهو قول صريح لا يحتاج الى تأويل أو تفسير . وان من زاد أو غير كلمة من قرارات هذه المجامع يقع تحت الحرم والفرز . واليك نص الحرم « أنه لا يسمح لأحد ان يؤلف أمانة أخرى غير الامانة المحدودة من الاباء القديسين الملتئمين بمدينة نيقية بالروح القدس وأما الذين يتجاسرون على ان يؤلفوا امانة أخرى فان كانوا اكليريكيين فليتجضوا وان كانوا عالميين فليحرموا » (مجمع افسس)

أما ما جاء فى اقوال آباء الكنيسة عن هذه العقيدة فهو : —

اولا — قال القديس اثناسيوس فى محاولته مع اصحاب اريوس فى المقالة الى اولها: أمسيحى أنت . «قال ان الروح القدس ليس له آب بما أنه لم يولد ، وليس هو مكونا بل له الله علة الذى هو روحه ومنبثق منه» . وقال فى السؤال والجواب الحادى عشر « اقول ان فى الله علة واحدة وهى الآب لأن هذا الآب نفسه يلد الابن ويبثق الروح القدس » .

ثانيا — قال القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية « قد تعرف ثلاثة اقانيم ونؤمن بها . الآب الذى لا ابتداء له والابن الوحيد والروح القدس المنبثق من الآب وحده » .

ثالثا — قال القديس اغريغوريوس « ان الخاصة الانبثاقية هى موجودة فى الآب فقط » .

رابعا — قال يوحنا فم الذهب « ان الاب علة واحدة للابن وللروح القدس » .

(اجماع الكنائس المسيحية قديما شرقا وغربا)
(على انبثاق الروح القدس من الآب)

ان عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب وحده لم تعترف بها الكنائس

الشرقية فحسب منذ بدء المسيحية . بل الغربية ايضا التى لم تعلم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن إلا فى القرن السابع واستمر هذا التعليم مدفونا فى حيز النسيان حتى الجيل التاسع ولم يقبل رسميا الا فى الجيل العاشر

فقد جاء فى تاريخ الانشقاق صحيفة ٣٥٤ عن البابا لاون الثالث : انه عند ما اقترح عليه بدعة (١) الانبثاق من الابن وخرق حرمة دستور الايمان قال [انى لا أعلم ما اذا كان الآباء القدماء عملوا أعمالا أفضل بتركهم هذه الكلمة . ولا أقدر أن اؤكد أنهم لم يعلموا جيداً هذا الامر كما نعلمه نحن . لانى لا اتجاسر أن أشبه نفسى بهم فضلا عن أن افضل نفسى عليهم . ومهما كانت غايتنا حسنة . فيجب علينا ان نخشى لئلا نضر نحن ما هو فى ذاته حسن بعدنا عن المنهج القديم فى التعليم . لان الآباء لما منعوا كل زيادة فى الدستور لم يقسموا النيات الى نية صالحة ونية رديئة بل منعوا الزيادة منعا مطلقا حتى أنهم لم يسمحوا ولا بان يفتكر أحد لماذا فعلوا هكذا

ولم يكتف بهذا الاقرار بل منعا لكل تغيير فى دستور الايمان عقد مجمعا سنة ٨١٠ م ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحا سالما بدون الزيادة . ونصبها أمام الباب المقابل لقبرى بطرس وبولس وكتب عليها هذا العنوان :

(أنا لاون قد نصبت هذين اللوحين حبا فى الايمان الارثوذكسى وحفظا له)

ومن اقرار هذا البابا المستقيم الرأى وغيره يتضح أن سائر الكنائس

---

(١) ان صاحب هذه البدعة او الاقتراح هو رجل يدعى لوكيوس ظهر فى اواخر الجيل الثامن واخذ بنشر بدعته اولا فى فلسطين فلم ينجح فذهب الى فرنسا واذ جاهر بهذا المعتقد الفاسد ارسل الملك كارلس الكبير ثلاثة قصاد ليعرضوا هذا الاقتراح على البابا لاون الثالث فرفضه وامر بنقش المعتقد الصحيح على لوحين من الفضه

فى فجر المسيحية كانت تعتقد بانبثاق الروح القدس من الآب فقط .

اما هذه الضلالة المنكرة فلم تدخل الكنيسة الغربية رسميا إلا سنة ١٠١٤ م كما سبقت الاشارة حين قررها بنديكتوس الثامن . ثم حذت حذوه الكنائس البروتستانتية أيضا غير ان علماء هذه الكنائس (البروتستانتية) لم تسترح ضمائرهم لهذه الزيادة ، وما زالوا يعتقدون حتى الآن بأنها فى غير محلها كما يظهر مما جاء فى (كتاب علم اللاهوت للقس جمس صحيفة ٢٧٣) حيث قال :

« والآن نقول ان المجمع النيقوى اكتفى بتلخيص التعليم فى جملة واحدة مختصرة فى دستور الايمان الذى اصدره ثم ان المجمع القسطنطينى سنة ٣٨١م زاد عليها « المنبثق من الآب » (دون لفظ الابن) وأوضح التعاليم الجوهرية فى شأن الروح القدس » .

« ومن ثم شرعت الكنائس الغربية ولاسيما علماء اللاهوت فيها أن يبينوا لزوم ذكر انبثاقه من الابن أيضا لاعتقادهم صدق ذلك ولما رأوه من انضمام كثيرين من الهراطقة الأريوسيين فى الكنيسة واعترافهم المبنى على عدم ذكر انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب حاسبين ذلك مما يحط شأن الروح القدس والابن أيضا . ولذلك قررت تلك الكنائس فى مجمع عقدته فى توليدو فى أسبانيا سنة ٥٨٩ م ادراج لفظ « والابن » ، بعد قوله « المنبثق من الآب » فى دستور الايمان القسطنطينى بدون مشاورة الكنائس الشرقية ، ثم قبل ذلك فى الكنائس الغربية قانونيا وصدق عليه البابا . أما الكنائس الشرقية فأصرت على رفضه . ولا يخفى ان استبداد الكنيسة الغربية فى اضافة شىء جوهرى الى دستور الإيمان الذى اتفقت عليه الكنيستان كان فى غير محله » .

وجاء فى صحيفة ١١٣ من هذا الكتاب ايضا ما يأتى —

« اننا نتفق على ان ادراج لفظة « والابن » فى القانون النيقوى كان على اسلوب غير قانونى . ويليق لأجل السلام والوحدة فى المستقبل ان الكنيسة

كافة تنظر فى هذه المسألة قصد الحكم فى امكان ارجاع القانون النيقوى الى صورته الاصلية ، (اى بترك لفظة « والابن »)

هذا رأى علماء الكنائس البروتستانتية فى هذه القضية . وهو موافق لاعتقاد الكنائس الشرقية تمام الموافقة كما أن كثيرين من علماء اللاهوت الغربيين يوافقون على هذا الاعتقاد ايضا ويستنكرون تلك الزيادة اشد استنكار كما يظهر من قرار احد علمائهم حيث قال : « ليس ينبغى التجرؤ على قول شيء فى حق الالوهية الجوهرية سوى ما اعلن لنا بالوحى فى الكتاب المقدس ، والكتاب المقدس لم يعلن فيه ان الروح القدس صادر عن الابن بل أنه صادر عن الآب فقط كما يتضح من قوله « روح الحق الذى من عند الآب ينبثق يو ١٥ : ٢٦ » فاذن الروح القدس ليس صادراً عن الابن . وايضا فى قانون المجمع القسطنطينى الاول (نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب . والذى مع الآب والابن يجب أن يعبد) فاذن لم يكن واجبا بوجه من الوجوه أن يزاد فى قانوننا أن الروح القدس منبثق من الابن ، بل يظهر أن الذين زادوا ذلك هم تحت الحرم)

ومن ذلك يتضح أيضاحا جليا ان هذه الزيادة لا أصل لها ولا صحة مطلقا وانما هى دخيلة على الايمان القويم .

على أن ما يستدعى مزيد الاندهاش هو ان الكنيسة الغربية رغما عن كونها تعلم أن عملها هذا ضلال عظيم ، وأنه مغاير للنصوص الالهية الصريحة وللمبدأ الذى سارت عليه المسيحية منذ تأسيسها . إلا انها مع ذلك تبذل اقصى مجهودها فى تأييد عقيدتها هذه . تارة بأمور فلسفية ، وأخرى بوضع آيات كتابية ، تعلم هى قبل غيرها ان تلك الآيات لا علاقة لها بموضوع الانبثاق مطلقا

أما تلك الآيات فهى : —

(١) « اقبلوا الروح القدس يو ٢٠ : ٢٢ »

(٢) « متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم » يو ١٥ : ٢٥ و١٤ : ١٢
(٣) « كل ما للآب هو لى » يو ١٦ : ١٥
(٤) « روح الابن » غل ٤ : ١٦ ، ١ بط ١ : ١١
(١) فيقولون فى شرح الآية الاولى وهى (أقبلوا الروح القدس)
حيث ان المسيح له المجد أعطى تلاميذه الروح القدس ، فهو اذن منبثق منه وهو شرح فى منتهى الخطأ . لان السيد المسيح لم يعط تلاميذه أقنوم الروح القدس بل مواهب الروح القدس التى اصطلح الكتاب على ان يسميها روحا . كما عبر أشعياء عن ذلك بقوله « يحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب اش ١١ : ٢ » لانه مبدع هذه كلها . فاذن المقصود من قوله (اقبلوا الروح القدس) أى اقبلوا منه القوة التى لم تكونوا قد نلتموها إلى اليوم ، وهى السلطان على غفران الخطايا ومسكها والا لو كانت الدلالة على نفس اقنوم الروح القدس بكل واحدة من هذه المواهب للزم ان يكون سبعة اقانيم وهذا كفر شنيع «راجع ما جاء فى يو ٣ : ٨ و ٣٤ واع ١٩ : ٢ و ١٥ : ٨ » حيث تجد كل هذه النصوص تعنى المواهب وليس الاقنوم . قال يوحنا فم الذهب « ان الروح الذى اعطاه المسيح للرسل عندما نفخ فيهم والذى حل عليهم يوم الخمسين لم يكن جوهر الروح ولا اقنومه بل مواهبه » هذا ولا يخفى ان المواهب الالهية المنسوبة الى الروح القدس لم تكن نسبتها نسبة تخصيص يتميز بها عن باقى الأقانيم، حاشا وكلا . لانها تسلب المساواة من بينهم بل نؤمن بها انها من حيث هى من المشاعات الجوهرية فهى لكل الاقانيم على حد سواء للآب والابن كما للروح القدس

وقد اجمع علماء اللاهوت شرقا وغربا أن تخصيص المواهب بالروح القدس كان من باب الاشهار لهذا الاقنوم الالهى . فالامة اليهودية كانت تعتقد بالآب لأن الاقرار به مدون فى اسفارهم . واقنوم الابن صار مشتهرا

لمناسبة تجسده المجيد . ولاشهار الروح القدس نسبت اليه النفخة والالسن النارية وغيرها ليؤمن الجميع بالله انه فى ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس جوهر واحد لاهوت واحد بكل مساواة من دون تمييز فى المشاعات الجوهرية

(٢) ويقولون فى شرح الآية الثانية وهى (المعزى الذى سأرسله أنا اليكم) حيث أن المسيح أرسل الروح القدس فهو منبثق منه . وهو استنتاج غريب لايتفق والنصوص الالهية التى برهنت على أن الارسال لا يدل على شيء من ذلك ، وإلا لكان الابن مولوداً من الروح القدس لارساليته منه . حيث جاء عنه فى سفر أشعياء ما يأتى « والآن السيد الرب أرسلنى وروحه اش ٢٧ : ١٦ » وبما أن ارسال الروح القدس للسيد المسيح لا يؤخذ دليلا على انه مولود منه فان ارسال الروح القدس من السيد المسيح لا يؤخذ دليلا على انه منبثق منه ايضا . مع العلم ان الارسال وقع تحت زمن ، اما الانبثاق فمنذ الازل وفرق عظيم بين الامرين . فالاول يدل على الأفعال الخارجية المشاعة بين الاقانيم الالهية . اما الثانى فيدل على الافعال الداخلية الخاصة بالصدورات الاقنومية

(٣) ويقولون فى شرح الاية الثالثة وهى (كل ما للآب هو لى) حيث أن كل ما للاب هو للابن فله أن يبثق الروح القدس أيضا وهو تعليل فى منتهى البطلان لان الافعال الالهية إما داخلية كالاتلاد والبثق وهى تختص بالاب ، وإما خارجية كالعلم والقدرة وهى مشتركة ومشاعة بين الاقانيم الثلاثة . فقول السيد له المجد (كل ما للاب هو لى) يقصد به (العلم) بنوع أخص وهو داخل ضمن الافعال الخارجية التى تشترك فيها الاقانيم الثلاثة على حد سواء وذلك بخلاف الخواص الاقنومية الغير المتعدية ولا مشاعة فلا يقال للاب مولود ومنبثق . ولا للروح القدس آب وابن : بل يقال للاب ... والابن مولود ومتجسد . والروح القدس منبثق

ومما يؤيد ذلك ما جاء في نهاية هذا النص حيث قيل لهذا قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم » فدل بذلك على انه يقصد العلم لا البثق . وإلا فاذا اتخذنا هذا القول دليلا على بثق الروح القدس لساغ لنا ان نتخذه دليلا على مشاركته للآب في الأبوة أيضا . لان الآية تقول (كل ما للآب هو لي) وحيث ان ما للآب هو الابوة فيكون الابن مشتركا معه فيها . وهذا باطل بل كفر شنيع

قال القديس اثناسيوس « ان المسيح قال عن الروح القدس انه يأخذ مما لي ويخبركم لئلا يظن أنه غريب عن الآب والابن لان له جوهرهما ولاهوتهما

وعن هذه النصوص فانهم يأتون بأدلة عقلية فلسفية يؤيدون بها معتقدهم زاعمين ان عقيدة التثليث المقدس مبنية على الحكمة والفلسفة البشرية، وجهلوا او تجاهلوا بأنها ليست من العلوم الفلكية او الطبيعية او الهندسية التي يقال عنها ان المحدثين اوعصنتهم الآلات التي ساعد طول الزمن في اتقانها على ما لم يصل اليه الاولون ولا هي من علم التشريح الذي يقال عنه ان التجارب الكثيرة زادته وضوحا عما كان عليه في زمن السالفين وانما هي علم الهي بل سر الاسرار التي لا يعرف عنها احكم البشر واوسعهم عقلا إلا ما اعلنه الوحي الالهي عنها فقط وما خلا ذلك فهو باطل وضلال

(٤) يقولون في شرح الآية الرابعة حيث ان الروح القدس دعي روح الابن «غل ٤ : ٦ » و « ١ بط ١ : ١١ » فهو منبثق منه ولكنهم اخطأوا الصواب لان ذلك لا يدل على الصدور بل على المساواة في الجوهر فقط :
قال القديس باسيليوس « يقال عن الروح القدس انه روح المسيح لأنه مساو له في الطبيعة »

واليك أدلتهم مشفوعة بالرد عليها : —

(١) يقولون ان الروح القدس ان لم يكن منبثقا من الابن فلا يمتاز عن الابن اذ لا يوجد في اللاهوت تمييز بين الأقانيم الا من وجه صدور الاقنوم الواحد من الآخر .

(الرد) ان اول من علم بهذا التعليم هو توما اللاهوتى الذى قال ان التمييز بين الاقانيم الالهية لايكون الا بالصدور . فمثلا اقنوم الاب يتميز من اقنومى الابن والروح القدس لكونهما صادرين منه . فاذاً من الضرورة صدور الروح القدس من اقنوم الابن لكى يتميز منه . وهذه فلسفة باطلة والبحث فى موضوعها يفوق ادراكنا ويكفينا ان نعرف ان التمييز بين الاقنوم الثانى والثالث هو من حيث ان مفهوم صدور الابن هو مفهوم آخر غير مفهوم صدور الروح القدس . فالواحد مولود والآخر منبثق

وهبهم صادقين فى نظريتهم هذه . فهل هم أعرف بمصادر اللاهوت من الوحى نفسه الذى سكت عن ذلك فكان سكوته برهانا قاطعا على ان صدور احد الاقانيم من أقنوم واحد كاف لان يميزه عن غيره ؟ ألا فليسكت الناس وليعلن الله مصادر اللاهوت لانه هو وحده أدرى به وأعلم . ونحن ما علينا إلا أن نؤمن ونسلم

(٢) يقولون ان المسيح من عادته أن يعزى الى الاب كل ما يخص سلطانه اتضاعا واحتشاما وتعليما لنا بمثاله .

(الرد) وهذا تعليل لا ينطبق على الحقيقة بوجه من الوجوه لانه ليست كل الامور يحسن فيها الاتضاع فتلك انما هى عقيدة ايمانية وقضية لاهوتية تفوق اطوار البشر جميعاً فيتعين اظهارها على حقيقتها وإلا لكان الاتضاع معها علة ضلال الناس وزيغانهم عن السبيل السوى . وجل شأنه أحكم من ان يأتى أمراً يفسد على عبيده أخص معتقداتهم

(٣) يقولون (لأنه قال يشهد لى) فمن شهد لآخر وكان صادرا منه كانت شهادته عند الناس مشبوهة .

(الرد) وهذا برهان منقوض وباطل بالبـــداهة لأنه إذا كان قوله (الروح القدس منبثق منى) يجعل شهادته مشبوهة . فاذن استشهاده هو بالاب كان فى غير محله لان ولادته منه تجعل شهادة الأب عنه مشبوهة

وهل ذلك يتفق وحكمة السيد المسيح السامية وأليس هو أحكم من ان يفوته أمر استطاع البشر ادراكه ؟

(٤) يقولون ان السيد قال ذلك ليفند ارطقة أونوميوس الذي زعم أن الروح القدس منبثق من الابن لا من الآب بنوع أن الروح القدس هو ابن الابن ، وابن ابن الآب

(الرد) وهذا استدلال بعيد عن الصواب بعداً شاسعاً لأنه أي عالم حكيم في سبيل تفنيد ضلالة ما يوقع الناس في ضلالة أشنع منها ، وماذا استفاد المؤمنون من نجاتهم من ضلالة اونوميوس وقد وقعوا في ضلالة أخرى (حسب زعمهم) أننا نربأ بربنا يسوع المسيح مصدر الحكمة والمعرفة عن أن يقول قولا أو يعمل عملا من شأنه أن يوقع الناس في العطب والهلاك

هذه هي الادلة والبراهين التي يقدمها الذين يعتقدون بانبثاق الروح القدس من الآب والابن وهي أدلة سقيمة واهية ضعيفة لاتروى غليلا ولا تغني فتيلا مهما أولوها حسب ميولهم واهوائهم وخرجوا معانيها على غير المفهوم من منطوقها الواضح الصحيح

اما الاية الوحيدة التي يجب الاعتماد عليها في معرفة هذه العقيدة دون غيرها فهي الاية الواضحة الصريحة القائلة « ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق يو ١٥ : ٢١ » وحسبنا هذا البرهان لأن الذي نطق به هو السيد المسيح الذي هو إله ويعلم الذات الالهية التي هي ذاته بأجلى علم وأحق معرفة

ويهمنا ان نختم هذا البحث بتزييف الرأى القائل ان دستور الايمان المنسوب الى القديس اثناسيوس يقول فيه « ان الروح القدس من الآب والابن لا مصنوعا ولا مخلوقا ولا مولودا بل منبثقا » مع ان التكلم عن بثق الروح القدس ابتدأ في الجيل السابع أي بعد نياحة الانبا اثناسيوس بثلثماية سنة .

ثم ان القديس كيرلس كان بعد اثناسيوس بسبع وستين سنة . والقديس باسيليوس كان بعده بخمس عشرة سنة . وفم الذهب كان بعده باثنى واربعين سنة وهؤلاء كلهم كانوا يعتدّون ان الروح القدس منبثق من الاب وحده فكيف كان يعتدّون ذلك ان كان مسطورا فى دستور ايمان اثناسيوس أنه منبثق من الاب والابن . اذن ما نسب لهذا القديس فى هذا الموضوع باطل ومزور .

المبحث الثالث

في

أن أسماء الاقانيم الالهية لا تدل على نقص أو كمال يمتاز به أحدهم عن الاخر بل تدل على تميزهم فقط

لقد ثبت مما تقدم أن الاقنوم الاول من اللاهوت الاقدس يدعى (أبا) والاقنوم الثانى يدعى (أبنا) والاقنوم الثالث يدعى (روحا قدسا) غير أن البنوة التى يضاف بها الأبن الى الاب ، لا تدل على نقص فيه كما هو شأن الابناء أن يكونوا دون آبائهم . ولا تستلزم وجود سابق ولاحق ، ولا اكبر وأصغر . فتلك انما هى نقائص بشرية تسمو عنها الذات العالية ولا تليق نسبتها للثالوث الاقدس بحال من الاحوال . وبما ان للاقانيم الالهية طبيعة واحدة وجوهرا واحدا بدرجة متساوية فلم يكن هناك وجه لامتياز احدهم عن الاخر البتة . قال الابن جل شأنه « كل ما للاب هو لى يو ١٦ : ١٥ » وحيث ان للابن جوهر الاب نفسه وطبيعته عينها فلا يمكن ان يكون دون الاب لأنه لم يوجد مطلقا شيء غير مساو لنفسه

فاذن هذه الاسماء انما تدل على تميز الاقانيم الالهية باضافة بعضهم الى بعض فقط لا على امتياز احدهم عن الأخر كمالا أو نقصا والدليل على ان هذه الاسماء لا تدل على فضل أو نقص أو امتياز أحد الاقانيم عن الاخر هو ان كلا منهم دعى بنفس الاسماء والالقاب الالهية التى دعى بها الاخر .

(راجع ما ورد عن ذلك فى الفصل الاول)

الاعتراضات المبنية على العلة والمعلول

والرد عليها

(١) اذا قيل . ان فى الاب اضافة الكمال فى الفضل وهى الابوة . وفى الابن والروح القدس اضافة النقص وهى البنوة والانبثاق

قلنا : ان الاضافة من حيث هى اضافة لا تدل على كمال أو نقص أصلا بل ذلك جميعه هو (من حيث المضاف بها) وإذا كان المضاف بالاضافات الالهية هو اللاهوت الواحد الذى هو الاب والابن والروح القدس بكمال المساواة . فلا يمكن أن يكون الاب أفضل من الابن والروح القدس . ولا الابن والروح القدس يكونان دون الاب لوحدة اللاهوت فى الاقانيم الثلاثة .

(٢) واذا قيل . أن الابوة فى الاقنوم الاول تدل على الفاعلية . والبنوة والانبثاق فى الاقنوم الثانى والثالث تدل على المفعولية ، وامتياز الفاعلية عن المفعولية أمر بديهى

قلنا : أن حصر الابوة فى الاقنوم الاول لا تدل على الفاعلية ولا البنوة فى الأقنوم الثانى تدل على المفعولية . لأن الاقنوم الأول ليس علة للأقنوم الثانى بالحالة التى يكون فيها الوالد عـــلة لإبنه . لأن الوالد المخلوق يمنح إبنه طبيعة جديدة غير طبيعته بالعدد وأن كانت واحدة مع طبيعته بالنوع . فمن ثم يدعى علة وسببا لإبنه لأنه يوجد جوهراً جديداً ، وطبيعة غير طبيعته ، أما الأقنوم الأول فلا يعطى الابن جوهراً وطبيعة غير طبيعته ، بل يعطيه طبيعته عينها

(ملاحظة) لقد اصطلح اللاهوتيون . على أن يعبروا عن الصدور الالهى بقولهم أن (الآب مبدأ أو عـــلة الابن والروح القدس) وبما أن المبدأ أو العلة متخذ من معنى التقدم وليس فى الأقانيم الالهية متقدم

ومتأخر . فاذاً المراد بالعلة أو المبدأ هنا هو ما يصدر عنه شيء بنحو من الأنحاء . فلا يدل على التقدم ، بل على الأصل فقط (كالقرص والشعاع) ومن ثم لا يقال على الحصر . أن الأقنوم الأول علة أو سبب للاقنوم الثاني والثالث . أضف إلى ذلك أن الابوة فى الاقنوم الاول . طبيعية اختيارية كما هى فى المخلوقات ، وإذ ذاك ، فليست هى فضلا غير فضل اللاهوت نفسه الذي هو للإبن والروح القدس ، كما هو للآب . وهكذا قل فى الاقنوم الثالث أن صدوره من الآب على سبيل الانبثاق . لا يدل على وجود المفعولية فيه التي تصيره دون الآب الصادر عنه ، بل هو مساو له فى كل فضل . لان له معه ذاتاً واحدة ، ولاهوتاً واحداً ،وجوهراً واحداً .

(٣) وإن قيل : نعم أن الإبن والروح القدس لهما اللاهوت والجوهر الالهى نفسه . غير أنهما قبلاه من الآب لصدورهما منه فن ثم يكون الآب أسمى فضلا منهما

قلنا : أن من يحصل على شيء من غيره لا يعتبر أنه أقل فضلا منه . إلا إذا كان : (أولا) حصل له ذلك الشيء دون ما هو لمن أقتبله منه بالفضل . والحال أنه ليس للإبن والروح القدس أقل مما للآب فى اللاهوت لان الطبيعة الالهية منزهة عن المادة فهى غير منقسمة ولا متجزئة ، ومن ثم لا يمكن أن يكون الابن والروح القدس قد منحا جزءاً منها بل كلها (ثانيا) إذا لم يحصل له بالضرورة التي هو حاصل بها لمن صدر منه،والحال أن الاقانيم الالهية الثلاثة لهم اللاهوت بالضرورة على حد سواء (ثالثا) إذا لم يحصل له ذلك طبيعيا جوهريا كما هو لمن أخذ منه ،والحال أن اللاهوت للأقنوم الثاني والثالث هو طبيعي جوهري كما هو للآب (رابعا) إذا كان صدوره وحصوله على ذلك الشيء بعد الذي صدر منه ، بالزمن . والحال أن الابن والروح القدس ليس هما بعد الآب بالزمن ، بل مساويان له بالازلية . كما أوضحنا ذلك بمثل الشمس حيث قلنا إنه وإن كان القرص

أصلا والشعاع والحرارة صادران عنه إلا أن القرص لم يتقدم فى الزمن عن الشعاع والحرارة وقتا ما

(٤) وإذا قيل : إذا كان الآب والدآ والابن مولوداً والروح القدس منبثقا فيكون الجوهر إما منقسما حتى يكون لكل منهم خاصة وإما ان يكون الجوهر ذاته والدآ ومولودا وباثقا ومنبثقا.

فنجيب منكرين هذ الاستدلال بقولنا أن جوهر الثلاثة الاقانيم هو واحد ولكنه فى الآب مصحوب بخاصة الأبوة وفى الأبن مصحوب بخاصة البنوة وفى الروح القدس مصحوب بخاصة الانبثاق . وذلك بغير انقسام الجوهر وتجزئته ولا عجب فى ذلك لأنه إذا كان فى النبات قوة تنمى وقوة تنمو بغير انقسام جوهره فليس بعسير ان يكون هكذا فى جوهر الخالق القادر على كل شيء .

تذييل

هذا هو ما يجب أن نؤمن به نحو سر توحيد ذات الله وتثليث أقانيمه الأزلية ، وان كنا نستطيع أن ندركه حق الادراك لاننا قلنا آنفا : اذا كنا نرى فى الطبيعة أسراراً تعجز أفكارنا عن فهمها وادراكها، فليس بعجيب أن نرى فى الدين أسراراً تعجز عقولنا عن ادراكها وفهمها

قال العلامة هكسلى « ان اسرار الكنيسة كلا شيء ازاء أسرار الطبيعة فتعليم الثالوث ليس باغرب من المناقضات الكثيرة فى المظاهر الطبيعية »

وها هى الكهرباء لم يعرف العلماء حتى الآن حقيقة كنهها مع انها مخلوقة وواقعة تحت حواسنا وادراكنا

جاء عن أديسون المخترع الامريكانى الشهير ، انه لما سئل عن منافع الكهرباء قال « ان منافع الكهربائية وطرق استعمالها أكثر من ان يحصيها

العد . وفى الواقع اننا لا نزال فى بدء عصر الكهربائية . بل نحن لا نعلم حتى الآن ما هى . نعم لقد ذهب الكثيرون فى شرحها وتعليلها مذاهب شتى . ولكن معظمها لا ينطبق على الحقيقة . وما دمنا نجهل كنهها حتى الآن فكيف نقول اننا قد بلغنا غاية الاختراع والكمال فيها ؟ »

زد على ذلك. ان الدين الذى تدرك أسراره العقول ليس هو دينا الهيا سماويا بل هو من أوضاع البشر واختراعاتهم الباطلة حيث أنه لابد للدين الحق من اسرار سماوية فائقة تقصر العقول البشرية المحدودة عن ادراك مداها . قال بولس الرسول « فاننا ننظر الآن فى مرآة ١ كو ١٣ : ١٢ » أى ان معرفتنا الامور الالهية قاصرة غير جلية لانها حصلت فينا بمرآة الايمان والكتاب المقدس وبالتشابه والامثال المبهمة كأنها ألغاز مشكلة

قارن بين الدين السمائى الصحيح وبين أحد الاديان الكاذبة وحينئذ ترى اى الاثنين اكثر أسرارا وأعظم ألغازا

قال أحد اللاهوتيين « ان وجود اسرار فائقة الادراك فى الأمور الدينية ومخالفة لكل تصوراتنا لا تعتبر مضادة للعقل . ولكنها أرفع وأسمى منه فيجب أن نخضع لها ونقبلها بالايمان لان عقولنا لم تدرك كون الله فى ثلاثة أقانيم فقط بل لم تدرك كونه تعالى قائما بنفسه وأزليا ، وعلة العلل وغير معلول البتة وموجودا فى كل مكان فى وقت واحد وعالما بكل شىء وبكل ما يحدث منذ الازل والى الأبد فى كل وقت . ومع عدم ادراكنا هذه الاسرار فاننا نقبلها ونسلم بها »

وقال آخر « اذا كل العقل وعجز عن فهم سر التثليث والتوحيد فعليه حينئذ أن يوقن بأن هذا السر حفظه الله لذاته وما على البشر الا أن يؤمنوا ويصدقوا بما جاء عنه فى كتابه الالهى فقط »

وقال أحد العلماء « لا عجب من قصور الانسان عن ادراك ذات الله سبحانه وتعالى لانه لا يقدر يدرك الحقائق الطبيعية نفسها وهى اكثر قربا

منه ، ثم أنشد قائلا :

« أنت لا تعرف إياك ولم
تدر من أنت ولا كيف الوصول

أين منك الروح فى جوهرها
هل تراها أو ترى كيف تجول

أنت أكل الخبز لا تعرفه
كيف يجرى فيك أم كيف يحول

فاذا كانت طوايك التى
بين جنبيك بها أنت جهول

كيف تدرى من على العرش استوى
لا تقل كيف استوى كيف الوصول »

إذن فليصمت العقل ، ولتسكت الفلسفة ، ولينطق الوحى وحده . فله يجب أن تستكين العقول وتذعن الافهام .

ولالهنا أدوم الشكر والحمد الى آباد الدهور آمين

بسم الآب والابن والروح القدس الآله الواحد

الباب السابع

فى

الوهية السيد المسيح له المجد

تمهيد : تؤمن الكنيسة المسيحية وتعتقـــد من بدء نشأتها أن ربنا يسوع المسيح هو الاقنوم (١) الثانى من الثالوث الاقدس وهو مساو للآب والروح القدس فى الازلية والابدية والصلاح والجودة والقدرة والحكمة وجميع الكمالات الألهية وذلك بحسب ما ورد فى الكتب السماوية كما تراه واضحا جليا فى الأدلة والبراهين التى نقدمها لك فيما يلى : ـــ

---

(١) الاقنوم كلمة سريانية الاصل تشير فى معناها الى كائن حى قدير مستقل بذاته ينسب افعاله الى نفسه

أما الأدلة على ألوهيته له المجد فكثيرة منها :ـ

(١) ـ أسماؤه وألقابه الآلهية

(٢) ـ نبوات الانبياء عنه

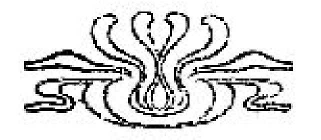
(٣) ـ آياته ومعجزاته

(٤) ـ قدرته على معرفة الغيب

(٥) ـ نبواته التي أنبأ بها

(٦) ـ طهارة سيرته

(٧) ـ سمو تعاليمه



الفصل الأول

فى

اسماء السيد المسيح والقابه الآلهية

لقد لقب ربنا يسوع المسيح بألقاب وأسماء هى من أقوى الادلة الناطقة بالوهيته لانها ألقاب وأسماء لايمكن أن يلقب بها البشر أو الملائكة مهما عظمت درجتهم وعلت منزلتهم . وان من نظر الى تلك الاسماء والالقاب الالهية التى دعى بها له المجد فى كتاب الوحى الألهى وكان عنده مثقال ذرة من المعرفة بعيداً عن الهوى مجرداً من الاغراض فلا يسعه الا الايمان والتصديق بأن يسوع المسيح هو الاله الحى الحاضر فى كل مكان المعتنى بجميع البرايا وله السلطان المطلق عليها

أما تلك الاسماء والالقاب فهى : —

واجب الوجوب لذاته(١)

أى

مستحيل عدمه

قال يوحنا : فيه كانت الحياة (يو ١ : ٤) ومعنى ذلك أنه قبل أن ظهرت الحياة كانت المسيح حياة فى ذاته ثم ابتدأ بعد ذلك يهبها لمخلوقاته وذلك لا يصدق إلا على الله وحده

(الله)

عظيم هو سر التقوى . الله ظهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠ : ٢٨) لكى يزينوا تعليم مخلصنا الله (تى ٢ : ١٠) ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه (تى ٣ : ٤) الكائن على الكل إلها مباركا الى الابد آمين (رو ٩ : ٥) بولس رسول لا من الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح (غل ١ : ١) فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (يو ١ : ١) هذا هو الاله الحق (١ يو ٥ : ٢٠) ربى والهى (يو ٢٠ : ٢٨) الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله (فى ٢ : ٦)

(الخالق)

فانه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الارض ما يرى وما

---

(١) واجب الوجود عكس ممكن الوجود لان واجب الوجود لم يتقدمه وجود والممكن الوجود هو الذى وجد بعد ان لم يكن موجوداً — والموجود ان كان فى طبعه غير متلاش فهو واجب الوجود

لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق (كو ١ : ١٦)

وأنت يارب فى البدء أسست الارض والسموات هى عمل يديك (عب ١ : ١٠) ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الاشياء ونحن به (١ كو ٨ : ٦)

كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو ١ : ٤) لانك أنت خلقت كل الاشياء وهى بإرادتك كائنة وخلقت (رؤ ٤ : ١١) خالق الجميع بيسوع المسيح (اف ٣ : ٩) فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به الاله الذى خلق العالم وكل ما فيه (اع ١٧ : ٢٤)

(الرب)

من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ (لو ١ : ٤٣) المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الارباب الذى وحده له عدم الموت (١ تى ٦ : ١٥) إلى ظهور ربنا يسوع المسيح (١ تى ٦ : ١٤) ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب (لو ٢ : ١١) لان لو عرفوا لما صلبوا رب المجد (١ كو ٢ : ٨) لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص (اع ١٥ : ١١)

أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك (لو ٢٣ : ٤٢) وعلى ثوبه وعلى فخذه إسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب (رؤ ١٩ : ١٥) يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل (اع ١٠ : ٣٦) راعى الخراف العظيم ربنا يسوع (عب ١٣ : ٢٠) كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يافاعلى الاثم (مت ٧ : ٢٢ و ٢٣)

(ابن الله)

هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت (مت ٣ : ١٧) أنت هو المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٦) كان حقا هذا الانسان ابن الله (مر ١٥ : ٣٩) والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله الحى (يو ٦ : ٦٩) أنا أؤمن ان يسوع هو ابن الله (اع ٨ : ٣٨) من اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو فى الله (١ يو ٤ : ١٥) وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت (مت ٣ : ١٧) اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩)

(القادر)

الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء (رؤ ١ : ٨) الرب الاله القادر على كل شىء (رؤ ٤ : ٨) تأخذ المجد والكرامة والقدرة (رؤ ٤ : ١١) حامل كل الاشياء بكلمة قدرته (عب ١ : ٣) أن يخضع لنفسه كل شىء (فى ٣ : ٢١)

(العليم)

الآن نعلم انك عالم بكل شىء (يو ١٦ : ٣٠) أنت تعلم كل شىء (يو ٢١ : ١٧) ولانه لم يكن محتاجا أن يشهد أحد عن الانسان لانه علم ما كان فى الانسان (يو ٢ : ٢٥) العارف قلوب الجميع (اع ١ : ٢٤) فعلم يسوع انهم كانوا يريدون أن يسألوه (يو ١٦ : ١٩) لان يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه (يو ٦ : ٦٤)

(الازلى الابدى)

يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم والى الابد (عب ١٣ : ٨) الكائن والذى كان والذى يأتى (رؤ ١ : ٨) الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن (يو ٨ : ٥٦) ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء (لو ١ : ٣٣) والان مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد

الذى كان لى عندك قبل كون العالم (يو ١٧ : ٥) كرسيك يا الله الى دهر الدهور (عب ١ : ٨)

(الحى الذى لا يموت)

أنا حى الى ابد الآبدين (رؤ ١ : ١٨) لماذا تطلبن الحى بين الاموات؟ (لو ٢٤ : ٥) وحينما تعطى الحيوانات مجداً وكرامة وشكراً للجالس على العرش الحى الى أبد الآبدين (رؤ ٤ : ١٩) الذى وحده له عدم الموت (١ تى ٦ : ١٦)

(معطى الحياة)

فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس (يو ١ : ٤) أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا (يو ١١ : ٢٥) ان الله أرسل ابنه الوحيد الى العالم لكى نحيا به (١ يو ٤ : ١٩) ان الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه . من له الابن فله الحياة . ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة (١ يو ٥ : ١٢)

(الديان (١))

فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله (مت ١٦ : ٢٧ و٢٥ : ٣١) ها أنا آتى سريعا واجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله (رؤ ٢٢ : ١٢) واخيراً قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل (المسيح) وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره ايضا (٢ تى ٤ : ٨) لانه لابد اننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان ام شراً (٢ كو ٥ : ١٠)

---

(١) علما ان القدرة على الديونة تستلزم القدرة على فحص قلوب الجميع ومعرفة الاسباب الموجبة لاعمالهم ولا يقدر على ذلك الا الله وحده فالمسيح اذن هو الله

ملاحظة ـ انه وان كان له المجد وعد تلاميذه ان يدينوا اسباط اسرائيل الاثنى عشر الا ان ذلك لا يؤخذ دليلا على انهم صاروا آلهة كمثله . فدينونته هو انما هي دينونة الخالق المطلع على القلوب المجازى الناس على حسب اعمالهم . أما دينونة اولئك فالغرض منها تعظيم ما ينالونه من الشرف وحسن المجازاة فى اليوم الاخير تمسكهم به واعتمادهم عليه وقبولهم دعوته ثم التوبيخ لفئة مخصوصة من العالم وهى الامة اليهودية التى ازدرت بتلك الدعوة المقدسة ورفضتها . ولما كان المقصود بذلك تمجيد التلاميذ وتكريمهم فقط فلم يوعدوا بالمجيء على سحاب السماء ولم يمنحوا السلطان على ارسال الملائكة لجمع الاخيار والاشرار كما قيل عنه تقدس اسمه

فهو إذن الديان الوحيد الذى يجازى كل واحد بحسب ما صنعت يداه خيراً كان أم شراً

(موجود فى كل مكان)

لانه حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم (مت ١٨ : ٢٠) وها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) وليس أحد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء (يو ٣ : ١٣)

(تقدم له العبادة)

لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الارض ومن تحت الارض (فى ٢ : ١٠) ولما رأوه سجدوا له (مت ٢٨ : ١٧) فسجدوا له ورجعوا الى أورشليم بفرح عظيم (لو ٢٤ : ٥٢)

وأيضا متى أدخل البكر الى العالم يقول ولتسجد له ملائكة الله (عب ١ :

[illegible] لالسنة

(غافر الخطايا)

يابنى مغفورة لك خطاياك (مت ٩ : ٢ ولو ٥ : ٢٠) ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب لا تقم لهم هذه الخطية (اع ٧ : ٥٩) إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطى اسرائيل التوبة وغفران الخطايا (اع ٥ : ٣١ و ٤ : ١٢) (ملاحظة) كل خطية يفعلها الناس انما هى ضد الله تعالى فحق المغفرة له وحده دون غيره لانه لا يقدر أحد أن يترك دينا ليس له : فاذن قدرة المسيح على المغفرة دليل قاطع على لاهوته.

(لا يتغير)

يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الابد (عب ١٣ : ٨) أنت أنت وسنوك لا تتغير (عب ١ : ١٢)

(فاحص القلوب)

انا هو الفاحص الكلى والقلوب (رؤ ٢٢ : ١٢) العارف قلوب الجميع (اع ١ : ٢٤ و ١٥ : ٨)

(ترفع له الصلوات)

فى ذلك اليوم تطلبون باسمى (يو ١٦ : ٢٦) لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى (يو ١٥ : ١٦) الحق الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الاب باسمى يعطيكم (يو ١٦ : ٢٣)

(بيده سلطان الموت والحياة)

انا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت الى الابد (يو ١١ : ٢٥) لانه كما ان الآب يقيم الاموات ويحيى كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء (يو ٥ : ٢٠) وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الابد (يو ١٠ : ٢٨) فقال أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه (لو ٧ : ١٤) ولما قال هذا صرخ بصوت

عظيم لعازر هلم خارجا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل (يو ١١ : ٤٣) فلما أخرج الجميع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية (مت ٩ : ٢٥ ومت ٨ : ٣١ - ٣٢ و ٢١ : ٨ - ٢٠)

(له سلطان على البشر والملائكة)

ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل « ملائكته » ببوق عظيم الصوت فيجمعون « مختاريه » من الاربع الرياح من اقصاء السموات الى أقصائها (مت ٢٤ : ٣٠ و ٣٢)

(له السلطان على الشياطين وحيوانات البر
وطيور السماء وسمك البحر)

أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟ (مت ٨ : ٣) آه مالنا ولك يا يسوع الناصرى أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله فانتهره يسوع قائلا أخرس واخرج منه فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه (١ : ٢٤)

فأجاب سمعان وقال له يامعلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئا ولكن على كلمتك ألقى الشبكة ولما فعلوا ذلك امسكوا سمكا كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرق (لو ٥ : ٦) فقال لهم القوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فتجدوا فالقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك (يو ٢٠ : ٦) فالشياطين طلبوا اليه قائلين إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير (مت ٨ : ٣١)

(له السلطان على الطبيعة الغير العاقلة)

ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم (مت ٨ : ٢٦) وفى الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشيا على البحر (مت ١٤ : ٢٥ يو ٦ : ١٩)

(ملاحظه) إن عمل ربنا يسوع المسيح هذا دليل قاطع على لاهوته

لانه لا أحد يستطيع ذلك سوى الله . قال أيوب : الباسط السموات وحده والماشي على أعالى البحار (أى ٩ : ٨) وقال صاحب المزمور : فى البحر طريقك وسبلك فى المياه الكثيرة وآثارك لم تعرف (مز ٧٧ : ١٩)

وفوق ما ذكر فانه أنزل نفسه منزلة لا تعطى إلا لله وحده وجاهر أكثر من مرة أمام ألوف من الناس بأن له سلطانا على تغيير الشرائع والنواميس . كما هو واضح من الادلة التى برر بها عمل تلاميذه فى يوم السبت ـ حيث اعتبر نفسه انه أعظم من الهيكل ولا يوجد أعظم من الهيكل الا الله وحده ثم جاهر بأن له سلطانا على أباحة العمل فى يوم السبت وهذه من حقوق الله التى لا يشاركه فيها أحد (انظر مت ١٢ : ٣) ثم صرح بأنه ابن الله بمعنى لا يصدق على غيره بدليل ما فهمه اليهود من هذا التصريح بانه يدعى المساواة للآب وهو لم ينكر ما فهموه بل صدقه «راجع يو ٥ : ١٧»

هذا وان أشهر الأسماء التى عرف بها الاقنوم الثانى جل شأنه هى (١) الابن (٢) الكلمة (٣) يسوع (٤) المسيح

أولا ـ علة تسمية الاقنوم الثانى بالابن (١)

لايخفى أن البنوة منها وضعية ومنها طبيعية ، فالوضعية كأن ينزل الانسان خادمه منزلة ابنه . أما البنوة الطبيعية فمنها مخصوصة بوجع وألم وتفاعل كولادة الحيوان أو ما هو بغير ألم ولا أنفعال ولا شهوة كتوله شعاع الشمس من جرم الشمس وتولد النور المخصوص من النور المخصوص فهذه وان كانت من غير ألم وشهوة لكنها مخصوصة طبيعية فسميت بنوة بمعنى التوالد لان اسم البنوة يشتمل على التوالد وهو ظهور الشيء من الشيء . ولنعلم أن بنوة ابن الله الازلية لم تدخل فى واحدة من هذه الاقسام وانما نشبهها بولادة الشعاع من الشمس تقريبا لفهم هذا السر العظيم فقط وذلك لأنه كما ان الشعاع يصدر من الشمس طبيعيا هكذا الابن يولد من الآب لا بتقدم

---

(١) تجد ذلك مشروحا شرحا ضافيا فى باب التثليث والتوحيد

الاختيار بل بحسب الطبيعة ، وكما أنه لا يظهر أبداً جرم الشمس بدون شعاع هكذا لم يكن الآب أبداً بدون الابن . وكما أننا نخطىء اذا قلنا اننا نعاين الجرم أولا وبعده الشعاع هكذا نخطىء أيضا اذا اعتقدنا ان الآب وجد أولا وبعده بزمن ولد الابن بل كما أن شعاع الشمس مساو للشمس في الوجود والزمن هكذا الابن مساو للآب في الازلية والابدية

أما علة تسمية الاقنوم الاول بالآب والاقنوم الثاني بالابن فهي :

حيث ان الاقنوم الاول هو بمنزلة ينبوع أو مبدأ ، ولكن لا من مبدأ ، أعطى الاقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله حتى ان الاقنوم الثاني الذي هو صورة الاقنوم الأول الجوهرية هو مساو للآب بكمال المساواة أي له طبيعة الآب وجوهره نفسه ومثال له في ذاته لا تمثيلا عرضيا خياليا بل ذاتيا حقيقيا تاما كما قال هو عن نفسه : من رآني فقد رأى الآب (يو ١٤ : ٩)

ومن ثم صار حسنا ولائقا للغاية ان يدعى الاقنوم الاول أبا والاقنوم الثاني ابنا ايضاحا لوحدة الطبيعة ومشابهتها لكليهما . لان حد الاتلاد هو صدور حي من حي بمبدأ مساو يقتضي شبه طبيعته والحال ان الاقنوم الثاني صدر من الاقنوم الاول حيا من حي بمبدأ ليس مساويا فقط بل هو واحد أيضا مع الذات الالهية وهو بأبلغ نوع يقتضي شبه الطبيعة لان الوالد الطبيعي بفعل الاتلاد يوجد شخصا شبيها بطبيعته فقط ولا يمكنه أن يمنحه طبيعته ذاتها . اما الله الآب فانه ولد الاقنوم الثاني ليس شبيها له في الطبيعة فقط بل له الطبيعة الالهية نفسها فهو بأبلغ نوع يدعى أبا كما أن الاقنوم الثاني بأبلغ نوع يجب أن يدعى ابنا لان ابن الانسان هو إنسان وكذلك ابن الله هو الله

وهذا هو علة تسمية الاقنوم الاول أبا والاقنوم الثاني ابنا .

ثانيا ـ الكلمة (١)

وقد دعى هذا الاقنوم الاقدس بالكلمة لان الله كلمنا به (عب ١ : ١) ولأنه أعلن لنا أفكار الله ومشيئته (يو ١ : ١٨) كما أن كلمة الانسان تعلن أفكار الانسان وارادته

قال القديس يعقوب السروجي « عقل الانسان محتجب وبكلمته يخاطب من يشاء . هكذا الآب السمائى فهو محتجب وبكلمته خاطب العالم »

والكلمة نوعان : كلمة العقل وكلمة الفم : أما المراد بالكلمة هنا فكلمة العقل لا الفم فكما اننا عندما نفكر فى شيء يحدث فى عقولنا صورة تسمى كلمة العقل وهى موجودة بوجوده غير مفارقة له هكذا الآب الازلى بادراكه ذاته برز هذا الكلمة الذى وجوده مساو لوجود الآب فى أزليته لا فرق بينهما فى الجوهر لكن فى الخواص اذ ان أحدهما والد والآخر مولود

واعلم ان الكلمة فى التثليث المقدس نوعان . لانه يفهم بها : —

اولا — كلمة جوهرية مشتركة للثالوث الاقدس جميعه تتخاطب بها الاقانيم الالهية وتأمر بها المبروءات وتخرجها من العدم الى الوجود . فبهذه الكلمة الجوهرية قال الله (ليكن نور فكان النور)

ثانيا — كلمة شخصية اقنومية أى اسم خصوصى لابن الله جل شأنه وهو ربنا يسوع المسيح الذى يقول عنه الكتاب : فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (يو ١ : ١)

ثالثا ـ يسوع

ربما يستغرب البعض لاول وهلة من وضع هذا الاسم كدليل على الوهية السيد المسيح له المجد أسوة بالاسماء الالهية السابقة ولكن لو نظرنا الى هذا

(١) تجد عنه هذه التسمية مشروحة شرحا وافيا فى باب التثليث والتوحيد

الاسم بعين التأمل لوجدنا أنه أفضل من سائر الاسماء التي تدعى بها الذات الالهية. لأن لفظ (الله) وهو أشهر اسم للذات العلية بحسب معناه ليس هو الا إلها حسبما هو رب وخالق الجميع واما اسم (يسوع) بحسب معناه فهو إله حسبما هو مخلص ومنقذ العالم . وان فعل خلاص العالم وانقاذه هو اشرف من فعل خلقته وايجاده . لا بل ان اسم (يسوع) فيه كرامة للجلال الالهي لم توجد في نفس الاسم الذي عرف عند الاسرائيليين كعلم الذات الالهية وهو (١) (يهوه خر ٣ : ١٤) فمعنى (يهوه) الموجود . وأما يسوع فمعناه الخالق والمخلص والحيي والمبرر والممجد (٢) يهوه هو عين وعلة الوجود واما يسوع فهو مبدأ النعمة والمجد وعلتهما (٣) يهوه انتصر على فرعون والمصريين واما يسوع فانه انتصر على فرعون العقلي الذي هو الشيطان والجحيم . (٤) يهوه وضع ناموس العدل للاسرائيليين واما يسوع فوضع ناموس النعمة والفضل للمسيحيين (٥) يهوه أدخل بني أسرائيل ارض الميعاد الكنعانية ، اما يسوع فأدخل المؤمنين ارض الميعاد السمائية ومن ثم يستنتج ان اسم يهوه هو عبارة عن اسم يسوع واسم يسوع هو الحقيقة المقصودة باسم يهوه . فيسوع هو الاسم الجليل الكريم الذي يصفه فم الذهب بقوله . (باسم يسوع غلب الموت وقهر وانهزم الشيطان وكسر ، وانفتحت أبواب السموات ، وانحدر الروح القدس ، وعتقت الاسرى . وصار الأعداء بنين والغرباء وارثين والبشر ملائكة ، به انهدم الحائط الحائل فيما بين السموات والارض ، وتمزق الظلام منذهلا واشرق النور ساطعا وفني الموت مبادا . وتجددت سائر الاشياء وليس ذلك فقط بل صار الله انسانا ، والانسان الها)

فأي شيء نظير هذا الاسم يسمو عقل المفكر فيه واي شيء مثله ينعش الحواس المرتاضة ويؤيد الفضائل وينمي الأخلاق الحسنة والمحتشمة ويحامي عن الأهواء العفيفة . فيكون يابسا قشفا كل طعام النفس أن لم يلت بهذا الزيت ويكون مكروها ان لم يملح بهذا الملح فان كتبت لا يرضيني أن لم اكتب

هناك يسوع ، وان جادلت او خاطبت فما ألذ ان لم اذكر هناك يسوع ، فيسوع عسل بالفم . ولحن لذيذ فى الأذن . وتهليل فى القلب

رابعا ـ المسيح

ان هذا الاسم الجليل وهو (المسيح) وان كان قد أطلق على كل ملك من ملوك اليهود قديما (مز ١٣٢ : ١٠ ، ١ صم ٢٤ : ٦) كما انه أطلق على الملوك الوثنيين أيضا (اش ٤٥ : ١) إلا أنه شتان بين المسيح يسوع وبين مسحاء البشر لان أولئك دعوا مسحاء لمسحهم بزيت القرن (١ صم ١٠ : ١) وأما ربنا فسـمى بالمسيح لانه مسح بالروح القدس (لو ٤ : ١٨ واع ٤ ٢٧) فهو (ماسيا) الموعود به الذى لايشاركه أحد من المخلوقات فى معنى هذا الاسم وإن شاركه فى لفظه . فكما ان لفظة عادل وقادر وحكيم اذا أطلقت على من اتصف بالعدالة والقدرة والحكمة من البشر كان لها معنى بخلاف المعنى المختص بالله جل شأنه كذلك لفظ مسيح فانها متى أطلقت على البشر كان المراد بها الاشخاص الذين مسحوا بالزيت علامة تكريسهم لخدمة الله فقط ولكن متى أطلقت على المسيح يسوع افادت معنى آخر ساميا جليلا فى منتهى حدود السمو والجلال . فتفيد انه هو كلمة الله الازلى الذى تجسد ومسح بالروح القدس وعمل الآيات والمعجزات الباهرة بقوته وسلطانه ومن ثم اصبح هذا الاسم الرفيع قدره علما على ربنا دالا على ألوهيته لايشاركه فيه أحد من البشر

وخلاصة القول ان ربنا له المجد بحسب الصفات الذاتية يسمى الله وابن الله . وبحسب الصفات الأقنومية يسمى الكلمة . وبحسب الصفات المنتسبة للخلائق يسمى علة العلل وبحسب الصفات المنتسبة للفداء يسمى يسوع المسيح

الفصل الثانى

فى

شهادة الانبياء لألوهية السيد المسيح

لقد ثبت من الاسماء والالقاب التى لقب بها ربنا يسوع المسيح أنه هو الاله الحق . و لان تؤيد هذه الحقيقة بشهادة الانبياء ايضا فنقول :

لايخفى ان عداوة اليهود للمسيحيين وبغضهم لهم ومضادتهم لهذه العقيدة وهى ألوهية المسيح لا يشك فيها أحد ولا يجهلها . فمن ثم أن شهدت نبوات الانبياء التى هى الان فى أيدى اليهود لهذه الحقيقة فحينئذ لا سبيل لأحد أن يسترب بهذه الشهادة ويظن ان المسيحيين ابتدعوها لتأييد معتقدهم وذلك لأيرادها من الكتب التى هى فى أيدى أعدائهم . ونعمرى . أن الله لم يبق الامة اليهودية فى العالم الى الان الا لتحمل هذه النبوات لتكون شهادة غير متهمة لما يعتقد به المسيحيون من جهة ألوهية السيد له المجد لا بل أن شهادات الأنبياء على لاهوت السيد المسيح هى أقطع برهانا وأسد دليلا لايمكن مناقضته من أى انسان يهوديا كان أم أمميا . ومن ثم قال بطرس الرسول : وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى تفعلون حسنا ان انتبهتم اليها (٢ بط ٢ : ١٩) أى أن شهادات الانبياء عن لاهوت المسيح وعظمته هى أعظم تأكيدا وأقوى دليلا ليس من الآيات والمعجزات فقط بل من صوت صادر من السماء من قبل الله الاب لانه وإن كان الصوت السمائى هو بذاته حق مؤكد لا شك فيه ومفيد بمقدار شهادة الانبياء ، إلا أن شهادة الانبياء عن ربنا له المجد بالنسبة الى البشر يقال إنها أثبت وأفيد من أى برهان آخر وذلك لانه قام أشرار كثيرون وكفرة ملحدون وتجاسروا على أن ينسبوا

الى السحر وقوة الشيطان كل ما صنعه جل شأنه من العجائب والمعجزات الباهرة (مت ١٢ : ٢٤) فمن ثم لم يكن أمرا غريبا أن ينسبوا ذلك الصوت الصادر من السماء الى السحر والخداع، على ان المسيح هو الذى أصدره كأنه من السماء ليخدعهم به مثبتا ما كان يدعيه . أما شهادات الانبياء الذين تقدموا وشهدوا عن امجاد السيد المسيح وحقيقة لاهوته فلا سبيل لتكذيبها ولا ريب فى صحتها لاننا إذا قلنا إن السيد المسيح وهو فى هذا العالم امكنه ان يقنع الناس فيسجدوا له بقوة السحر والشيطان فهل استطاع قبل ظهوره وتجسده بهذا المقدار من الزمن ان يقنع الانبياء ليخبروا عن مجده وينذروا الناس بلاهوته وملكه - ان ذلك لبعيد عن التصديق .

والآن نورد شهادات الانبياء عن لاهوت ربنا وهى اشد اقناعا واقطع حجة واكثر استحقاقا للقبول مبتدئين : -

اولا - من داود النبي العظيم

شهادات داود النبي لألوهية السيد المسيح

(الشهادة الاولى)

لقد شهد هذا النبي عن بنوة المسيح الطبيعية لله فى مزموره الذى يبتدىء به متعجبا من الاضطهادات العنيفة التى كان ملوك الارض عتيدين ان يضرموا نارها ضد الرب اى الاب ومسيحه اى ربنا يسوع المسيح بقوله: لماذا ارتجت الامم وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الارض وتآمر الرؤساء على الرب وعلى مسيحه (مز ٢ : ١و٢) الى ان قال على لسان مسيحه: الرب قال لى انت ابنى انا اليوم ولدتك اسألنى فأعطيك الامم ميراثا لك واقاصى الارض ملكا لك (مز ٢ : ٧و٨)

فهوذا داود النبي يشهد للمسيح انه ابن الله وان الله ولده في اليوم اي في الازل الذي ليس له ماض ولا مستقبل بل هو الحال الحاضر ومن ثم يعبر عنه (باليوم) ولا سبيل للشك بان المسيحيين حرّفوا هذه الكلمة اي (ولدتك) لانها هكذا في اصلها العبراني الذي هو بين ايدي اليهود حتى هذه الساعة

نعم ان مفسري اليهود لغرض سيء في انفسهم ينسبون اشارة هذا النص لداود النبي الا ان ذلك باطل . لانه غير ممكن ان يصدق معناه عليه بوجه من الوجوه لان ملك داود كان محدوداً منحصراً في نواحي اليهودية والجليل فقط ولا يصدق على غيره أيضا من الملوك الآخرين بل يختص اختصاصا مؤكداً بملك الملوك سيدنا يسوع المسيح ويصدق معناه عليه صدقا جليا لانه تعالى وحده هو الذي امتد ملكه الروحي أي كنيسته المقدسة الى اقاصي الارض وانتشر في جميع أنحاء المسكونة . لاسيما وان الوحي في نهاية هذا المزمور يأمر ملوك الارض ورؤسائها أن يسجدوا لهذه الملك ويعبدوه بقوله . فالآن أيها الملوك تعقلوا تأدبوا ياقضاة الارض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لانه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه (مز ٢ : ١٠ — ١٢)

وذلك لا يصدق على داود لانه انسان وإنما يصدق على المسيح لانه ابن الله الحي .

(الشهادة الثانية)

لقد شهد هذا النبي أيضا عن ولادة المسيح ولادة طبيعية من الآب في مزموره الذي يخبر فيه عن دوام ملك المسيح ومساواته للآب حيث قال : قال الرب (أى الله الآب) لربي (أى الله الابن) اجلس عن يميني (أى كن مساويا لي في السلطة والجلال الالهي) الى أن قال . من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ١١٠ : ١) وبهذا القول حقق النبي ميلاد المسيح من

الآب أزليا . لانه بقوله من البطن دل على الجوهر الالهى ، وهو من احسن ما يعبر به عن الجوهر . وبقوله قبل كوكب الصبح دل على أن المولود من الآب هو إله قبل الازمنة كلها . وواضح ان هذه النبوة المعترفة ببنوة المسيح الطبيعية لله وبالوهيته أيضا لايجوز انتسابها لشخص آخر غير المسيح لانه لا يمكن أن يقال عن أحد الناس أو الملائكة ان الله ولده من جوهره قبل الازمنة ولكنه يصدق بالضرورة على الابن المولود من الآب ميلاداً جوهريا أزليا وهو يسوع المسيح ربنا .

(الشهادة الثالثة)

شهد النبي أيضا لألوهـــية السيد المسيح شهـــادة واضحـــة جلية فى مزمور آخر حيث يدعو المسيح إلها بصريح العبارة قائلا : كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب إستقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الاثم ... إلى أن يأمر كنيسته أن تسجد له لأنه ربها وسيدها بقوله : لأنه هو سيدك فاسجدى له (مز ٤٥ : ٦ — ١٣) ومن المحقق أن هذا القول لا ينسب إلا إلى المسيح له المجد — نعم إن اليهود يدعون أن هـذا المزمور مقول عن سليمان الملك غير أن بطلان هذا القول لا يحتاج إلى دليل لأن سلـــيمان لم يدع إلها مطلقا ولم يدم ملكه إلى الأبد بل انقرضت مملكته سنة ٥٨٨ ق . م واحال أن الذى تكلم عنه النبي هنا يدعوه إلها من جهة ويقول إن كرسيه يدوم إلى الأبد من جهة أخرى . وذلك لا يناسب إلا المسيح وحده فهو إله وملكه لا نهاية له — قال عنه الملاك للقديسة مريم — : هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الابد ولا يكون لملكه نهاية (لو ١ : ٣٢)

(الشهادة الرابعة) (١)

وشهد هذا النبي أيضاً عن آلام ربنا يسوع المسيح وموته في المزمور الثاني والعشرين شهادة جلية واضحة للغاية شغلت كل آيات هذا المزمور من أوله حتى آخره

أما مضمون هذا المزمور فهو تخبير النبي عن ذل آلام سيدنا يسوع المسيح الذي به يقرر لنا كل متعلقات آلامه وموته مفصلا حتى إنه يخيل للمتأمل كأن النبي يخبر كمؤرخ عن أمور حدثت في الزمن الماضي لا كنبي يخبر بما هو عتيد أن يكون في الزمن المستقبل

ومن ثم ينسب هذا المزمور إلى فادينا نسبة واضحة بهذا المقدار حتى أن كل العلماء متفقون على أنه غـــير ممكن البتة أن ينسب بحسب معناه الحرفي إلى غيره

ولقد شط مفسرو اليهود عن الصواب حيث نسبوه الى داود بغباوة هذا عظم مقدارها مع ما هو غريب منه وبعيد عنه للغاية لاسيما قوله (ثقبوا يديَّ ورجليَّ واحصوا كل عظامي) الامر الذي لم يحدث لداود مطلقا وحدث للسيد المسيح بكامل معناه

وهاك بعض نبوات ذلك المزمور التي هي طبق ماحدث لربنا في يوم صلبه (إلهي إلهي لماذا تركتني . . . اتكل على الرب فلينجه . . . ثقبوا يديَّ ورجليَّ أحصى كل عظامي . . . يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون)

قابل هذه الآيات مع آيات ٢٦ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٦ من الاصحاح السابع والعشرين من انجيل متى . وبهذا يتضح لك صدق النبوة بأكمل مظاهرها وأدق معانيها

---

(١) انه ولئن كانت النبوات الدالة على آلام ربنا يظهر علينا بادىء ذي بدء كأنها خارجـــة عن موضوع الكتاب ولكننا آثرنا ذكرها لنثبت بها حقيقة ما ورد في الانجيل ومتى ثبتت حقيقة الانجيل لم يكن هناك سبيل للريب في لاهوت السيد له المجد

شهادات اشعيا النبى لألوهية السيد المسيح

(الشهادة الأولى)

ولقد شهد اشعيا النبي لهذه الحقيقة وهى ألوهية السيد المسيح فى مواضع كثيرة من نبوته — منها اخباره عن ميلاد المسيح من عذراء بتول بقوله : يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل. زبداً وعسلا يأكل (اش ٧ : ١٤ و ١٥) أما الآية التى يمنحها الله لشعبه للخلاص فهى أن العذراء تحبل وتلد وهى بتول أيضا . ومن المحقق ان العذراء التى حبلت وولدت وهى بتول لم تكن سوى القديسة مريم والدة الاله كما هو ثابت من الانجيل والتاريخ . فالمسيح اذن هو الله لان النبي اسماه (عمانوئيل) ومعنى — عمانوئيل — الله معنا — وكما أن النبي بهذا الاسم برهن لنا على لاهوت المسيح هكذا أوضح لنا تحقيق ناسوته بما يستلى به قائلا : زبداً وعسلا يأكل (اش ٧ : ١٥) لان ذلك يخص ناسوته المساوى به غيره من البشر ما عدا الخطية . فليت شعرى أى كلام يمكن أن يكون أوضح من هذا الكلام فى ايضاح لاهوت المسيح وناسوته وتحقيق طبيعته الالهية والبشرية؟

(الشهادة الثانية)

وشهد هذا النبي شهادة أخرى من أوضح الشهادات على لاهوت المسيح وناسوته معا بقوله .

لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الابد (اش ٩ : ٦ و ٧) فلعمرى أية شهادة على لاهوت السيد المسيح وناسوته

أوضح من هذه الشهادة ؟ لانه اذ دعاه ولداً حقق ناسوته ولكى يحقق لاهوته اردف ذلك القول بذكر صفاته الدالة على ذلك فقال : (يدعى اسمه عجيبا مشيراً الها قديراً أبا أبديا رئيس السلام)

فمن هو ذو الاسم العجيب إلا الله ومن هو الذى يدخل فى مشورة الله الا أحد الاقانيم الأزلية . ومن هو القدير أبو العالم العتيد الا الله وحده؟ اذن المسيح إله متأنس

(الشهادة الثالثة)

وصرح هذا النبي ظاهرا بألوهية ربنا ورسمه بعمل الآيات والمعجزات فى نبوة أخرى فقال : قولوا لخائفى القلوب تشددوا لاتخافوا هوذا إلهكم . هو يأتى ويخلصكم . حينئذ تنفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح حينئذ يقفز الاعرج كالأيل ويترنم لسان الاخرس (اش ٣٥ : ٤-٦) والحال أن هذا الوصف لاينطبق إلا على يسوع المسيح وحده لانه هو الذى دعى مخلصا كما قال الملاك ليوسف . فستلد (مريم) ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت ١ : ٢١) ثم أنه هو الذى اشتهر بعمل الايات والمعجزات ففتح أعين العمى واسمع آذان الصم وأنطق الخرس وجعل المقعدين يطفرون كالايلة

ليت شعرى أليس هو الذى لما حضر اليه تلميذا يوحنا وقالا له أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر لم يجبهما بالكلام بل وهب النظر للعميان والشفاء للعرج والبرص والصم ثم قال اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لايعثر فى (مت ١١ : ٣ - ٦) فاذن الذى قال عنه أشعيا هو الهكم يأتى ويخلصكم حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح هو يسوع المسيح نفسه دون غيره

(الشهادة الرابعة)

وشهد هذا النبي عن آلام وموت المخلص شهادة مدهشة للغاية استغرقت الاصحاح الثالث والخمسين كله من نبوته

أما مضمون هذا الاصحاح فهو تخبير النبي عما يقاسيه له المجد من ظلم الأشرار واحتمال الآلام وقساوة الذين حكموا عليه وصمته أمام الولاة أثناء تلك المحاكمة ثم مسامحته للمعتدين عليه . كل ذلك بتفصيل واضح جلي كما حدث له وقت الصلب تماما بحيث يتبين للمتأمل فيه كأن النبي يخبر كمؤرخ عن أمور حدثت في الزمن الماضي لا كنبي يخبر بما هو عتيد أن يكون بعد ٧٠٠ سنة آتية

ولقد كان اليهود الى القرن الثاني عشر ينسبون هذا الاصحاح الى المسيح ولكن لسبب جدالهم مع المسيحيين اضطروا ان يأولوه الى تأويل آخر ويقال إنهم في هذه الايام أسقطوا هذا الاصحاح من الأصحاحات المنتخبة للقراءة الأسبوعية لكثرة ما فيه من تعليم الفداء بالمسيح

واشهر النبوات الواردة في هذا الاصحاح هي :

«محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن. ظلم أما هو فتذلل لم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » . « أنه ضرب من أجل ذنب شعبي » . « أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . أنه جعل نفسه ذبيحة إثم » . « وجعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته (اش ٥٣)

أما النبوة الاخيرة وهي «جعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته» فمن أغرب النبوات وأعجبها (ومعناها) انه كان من المقرر أن المصلوبين يدفنون في مقبرة مختصة بالمذنبين فلما حكم بيلاطس على يسوع بالصلب كان المفروض فيه ان يسري عليه هذا الحكم عينه ويدفن مع الاشرار ولكن النبوة تشير بأن هذا القرار لابد من تغييره ودفن المسيح في قبر غني . مع العلم ان تمام هذه

النبوة فى بداية يوم الصلب كان يظهر عليه بأنه من أصعب الممكنات وذلك للاسباب الآتية وهى : —

أن تلاميذه تركوه وهربوا فكان المنظور أنه يدفن مع اللصوص الاشرار . ولو لم يهرب التلاميذ وأرادوا أن يدفنوه لما سمح لهم بيلاطس أن يستولوا على جثمانه ، ولو استولوا عليه لما أمكنهم أن يدفنوا بقبر غنى ليدفنوه فيه بحسب نص النبوة

ولكن أنظر عمل الله فانه ما كاد يسوع يسلم الروح حتى ظهر يوسف وهو رجل غنى وطلب الجسد من بيلاطس فاخذه ودفنه فى قبره الجديد (مت ٢٧ : ٢٧) وبذلك تمت النبوة بطريقة عجيبة ثبت منها انها النبوة والاعظم والاعجب فى العهد القديم . وما زال تمامها يؤيد انها انما تصدق على المسيح دون غيره

شهادة ميخا النبى لالوهية السيد المسيح

ولقد شهد ميخا النبي للاهوت المسيح وناسوته شهادة جلية واضحة للغاية حيث قال مخاطبا القرية التى ولد فيها المسيح : أما أنت يا بيت لحم افراته وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل (مى ٥ : ٢) ومن هذه النبوة يتضح ان المتسلط فى اسرائيل المتجهة اليه النبوة له ميلادان احدهما زمنى فى بيت لحم والآخر ازلى قبل كل زمان لانه يصرح بأن المولود فى بيت لحم خروجه وولادته ، منذ البدء منذ ايام الازل ، وهذا لا يمكن ان ينسب الا لمن يكون إلها لانه ليس ازلى الا الله . وقد اقر جمهور اليهود ان هذه النبوة تشير الى ميلاد المسيح فى بيت لحم اليهودية ويؤيد ذلك جوابهم لهيرودس عندما سألهم اين يولد المسيح . قالوا ، فى بيت لحم اليهودية ،

فاذن المسيح المولود فى بيت لحم بحسب ما هو انسان هو الله المولود

من الاب قبل كل الدهور بحسب اقنومه الالهى

شهادة سليمان الحكيم لألوهية السيد المسيح

ويتضح لاهوت السيد المسيح مما نطق به الروح القدس على فم سليمان الحكيم حيث قال : من صعد إلى السموات ونزل . من جمع الريح فى حفنتيه . من صر الماء فى ثوب . من ثبت أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم إبنه أن عرفت (ام ٣٠ : ٤) وبهذا الكلام الجليل علمنا الروح القدس إن الذى خلق العالم له إبن . وهو الذى انحدر إلى الأرض لخلاصنا . فاذن يسوع المسيح هو الله لان إبن الله هو الله نفسه . أما قوله . إن عرفت . فيشير إلى عمق ذلك السر الذى لا يدركه أحد من المخلوقات

شهادات دانيال النبى لألوهية السيد المسيح

(الشهادة الاولى)

واقد شهد دانيال النبى عن لاهوت السيد المسيح شهادة واضحة جلية حيث أثبت إنه هو الاله الحق الذى تتعبد له جميع الشعوب والامم والقبائل وإن مملكته تعم العالم كله ، كما إنها ليست قابلة للانحلال والاضمحلال كغيرها من ممالك العالم بل تبقى إلى الابد حيث لا يكون زمان بعد لانه لا يمكن لأى قوة أيا كان نوعها أن تنتصر عليها وتلاشيها بل بالعكس هى تحطم وتلاشى غيرها وتسود على سائر مقاوميها بقوله : كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن الانسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجداً وملكوتا لتتعبد له جميع الشعوب والأمم والالسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض (دا ٧ : ١٣)

وليت شعرى أتوجد نبوة أوضح وأجلى من هذه النبوة التى دعت يسوع المسيح باسم دعى به فى الانجيل ٨١ مرة لانه من هو ابن الانسان

الذى يقول عنه دانيال النبي : تتعبد له كل الشعوب أليس هو يسوع المسيح الذى رآه القديس استفانوس قائماً عن يمين الله فقال عنه : ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الانسان (أى المسيح) قائماً عن يمين الله (أع ٧ : ٥٤ - ٥٦)

(الشهادة الثانية)

وجاء فى هذا السفر أيضاً نبوة عجيبة عن السيد المسيح لم تثبت الوهيته فقط بأن دعته (قدوس القديسين) وهى صفة الله بلا محالة بل عينت الوقت الذى يأتى فيه الى هذا العالم للخلاص بغاية الدقة والضبط وذلك انه بينما كان النبي يسكب نفسه امام الله بتواضع عميق وانكسار قلب لاجل غفران خطايا شعبه واستمداد المراحم الالهية اجاب الله بقوله : سبعون اسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين . فاعلم وافهم انه من خروج الامر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة . وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح (أى يموت) وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة والى النهاية حرب وخرب قضى بها . ويثبت عهداً مع كثيرين فى اسبوع واحد وفى وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة (دا ٩ : ٢٤ - ٢٧)

ولشرح هذه النبوة بالايجاز يجب ملاحظة ثلاثة أمور هامة وهى :-

اولا : الوقت الذى صدر فيه الأمر لتجديد اورشليم وبنائها

ثانيا : المراد بالاسبوع

ثالثا : تقسيم المدة من صدور الامر الى مجىء المسيح

١ — فصدور الأمر بتجديد أورشليم وبنائها كان سنة

٢٠ من حكم الملك ارتحشستا الذى ملك سنة ٤٧٤ ق. م كما أثبته أشهر مؤرخى العالم

٢ ـ والمراد بالاسبوع ٧ سنين أى كل يوم سنة (انظر حز ٤ : ٦) فيكون سبعون اسبوعا فى سبع سنين يساوى ٤٩٠ سنة من صدور الامر بتجديد اورشليم حتى صعود المسيح للسماء

٣ ـ أما المدة فقسمت إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول ٧ أسابيع
والثانى ٦٢ اسبوعا
والثالث اسبوع واحد

فالقسم الأول الذى هو سبعة اسابيع أى ٤٩ سنة هو عبارة عن المدة التى صرفت فى تجديد اورشليم لبنائها على يد نحميا

والقسم الثانى الذى هو ٦٢ اسبوعا أى ٤٣٤ سنة هو عبارة عن المدة التى استمر فيها اليهود على ما كانت قد استقرت عليه أحوالهم الدينية والسياسية وفى خلال هذه المدة كانوا يتوقعون مجىء الماسيا

فيكون من تجديد الهيكل إلى بداية عمل المسيح هو ٤٨٣ سنة أى ٤٩ زائد ٤٣٤

وتقدم ان صدور الأمر بناء اورشليم كان سنة ٤٥٤ ق.م فاذا طرحناها من ٤٨٣ سنة كان الباقى ٢٩ سنة وهى المدة من ميلاد المسيح الى السنة التى أبتدأت فيها دعوته للناس تقريبا لأنه واضح من الاناجيل أنه ابتدأ يدعو الناس بعد ان بلغ الثلاثين من عمره

أما الاسبوع الاخير فهو الذى كانت فيه خدمة المسيح التى استمرت نحو ٤ سنوات وفى وسطه صلب ومات وقام واذا أضفنا الى هذا العدد الثلاث سنين الباقية من الاسبوع الذى مات فيه كان المجموع ٤٩٠ سنة (وهى السبعون اسبوعا)

وهاك العملية بالايجاز:

في سنة ٤٥٤ ق . م صدر الأمر ببناء أورشليم
٣٣ سنة من ميلاد المسيح لصعوده بالتقريب
٣ سنين بقية الاسبوع الذي مات فيه

٤٩٠ سنة

انه ولئن كان قد مات في وسط الاسبوع الا أن النبوة يتسحب زمانها إلى بعد موته بثلاث سنين اذ أن النبي يقول : « ويثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الاسبوع تبطل الذبيحة والتقدمة (بموته) »

شهادة زكريا النبي لألوهية السيد المسيح

ولقد صرح زكريا النبي بالوهية السيد المسيح وربوبيته بأقوال واضحة جلية حيث دعاه ربا متنبئا عن مجيئه الى العالم وانضمام سائر الشعوب تحت لوائه الملكي بقوله: ترنمي وافرحي يابنت صهيون لأني هأنذا آتي واسكن في وسطك يقول الرب . فيتصل امم كثيرة بالرب في ذالك اليوم ويكونون لي شعبا فأسكن في وسطك فتعلمين ان رب الجنود قد ارسلني اليك (زك ٢ : ١٠ و ١١)

فهذه النبوة الصريحة الناطقة بربوبية الشخص المرسل لصهيون لقيادة سائر العالم لا تصدق على أحد سوى المسيح ربنا لأن صهيون لم تُوعد إلا به وجميع اليهود يسلمون ان وعود الله للانبياء انما كانت تتجه كلها إلى « المسيا » المنتظر وحده دون غيره

ولا يخفى أنه لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تكون هذه النبوة متجهة الى أحد الانبياء الذين كان يرسلهم الله لبني اسرائيل لانه لم يدع نبي قط أنه رب وحيث أن الشخص المتجهة اليه هذه النبوة دعي صريحا ربا فاذاً المسيح هو رب وله مع من أرسله ربوبية واحدة لان زكريا وصف كلا من المرسل والمرسَل بصفة واحدة وهي صفة الربوبية بقوله على لسان المسيح آتي وأسكن في وسطك يقول الرب (اى الابن) فتعلمين ان رب الجنود (أي الآب) ارسلني اليك (زك ٢ : ١٠)

الفصل الثالث

فى

شهادة الايات والمعجزات لالوهية

السيد المسيح

من المسلم به أن المعجزة أو الاية هى حادث خارق للعادة أو نواميس الطبيعة يصنع بقوة الله لاثبات أمر الهى .

وحيث أن المعجزات التى صنعها ربنا يسوع المسيح على كثرتها وتباين أنواعها كانت مما لا يقدر على عمله إلا الله وحده كأحياء الموتى وابراء الاكمه .

وحيث أنه جل شأنه لم يصنع تلك المعجزات فى خفية أو على انفراد بل صنعها جهراً وأمام شهود كثيرين منهم الأعداء والاحباء وكلهم أمنوا على صدقها واعترفوا بحقيقتها بعد فحصهم إياها واقتناع حواسهم بها (اع ٢٦ : ٢٦)

فاذاً هذه الايات والمعجزات من أدل البراهين التى حققت لاهوت ربنا له المجد ومساواته للآب فى القـــدرة والعظمة . إلا إذا أنكرنا حدوثها وارتبنا فى حقيقتها . وكلا الامرين باطل

فانكار عجائب السيد المسيح مما لا يمكن مطلقا وذلك لأنها مشهورة ومعروفة فى العالم كله وليس التلاميذ فقط هم الذين اعترفوا بصدقها وحقيقتها بل الوف المؤرخين المعروفين الخارجين عن الديانة المسيحية اعترفوا بها ودونوها فى تواريخهم التى لا يشك أحد فى صدقها . ومن بين المؤرخين

الذين شهدوا لهذه الآيات يوسيفوس (١) المؤرخ اليهودى الشهير الذى قال :

« وكان فى ذلك الزمن رجل لو صح أن ألقبه باسم رجل يقال له يسوع وكان ذا حكمة بليغة رائعة وكان يجىء من ضروب المعجزات بأبدعها وكان يهدى الى صراط الحق طالبة الحق ومن يستهدون الى موارده . فتبعه قوم كثيرون من اليهود والامم وهو ذلك المسيح الذى نم عليه زعماء طائفتنا الى بيلاطس ودبت عقارب سعايتهم به فامر بيلاطس أن يصلب فمات على الصليب ولم يكن ذلك ليصد من كلفوا به أولا عن أن يبعثوا اليه بواجبات حبهم وتباريح مودتهم. وأنه قد انبعث إليهم فى اليوم الثالث حيا وقد انبأت بذلك الأنبياء . وهذا خلا مايتعلق به من باقى النبوات الكثيرة . وشيعة المسيحيين لاتزال الى أيامنا فى نمو وازدياد وقد دعوا مسيحيين نسبة إلى المسيح زعيمهم ومؤسس أركان دينهم » اه

وعلى فرض أن آيات السيد المسيح لم يشهد بصحتها سوى تلاميذه فليس هنالك مايدعو للريب والشك فى صحتها لأنه أية فائدة كان يطلبها التلاميذ لأنفسهم من وراء انذارهم بتلك الآيات لو أنهم كانوا متحققين كذبها وبطلانها . لعمرى أنهم ما كانوا يستطيعون أن يحصلوا على أقل فائدة أو ربح سوى ما اكتسبوه حقا وهو كراهية العالم لهم والاضطهادات والعذابات القاسية التى صبت على رؤوسهم

ونستطيع أن نتصور مدى ذلك الخطر الذى كان التلاميذ معرضين له من جراء الانذار بتلك الآيات إذا علمنا أن ذلك كان ضد كل قوة الكهنة يهوداً كانوا أو أمما (وهاتان قوتان لا يستهان بهما)

فكهنة اليهود كانوا كثيرى العدد والعدة لهم سطوة عظيمة بين امتهم ونفوذ شديد فى الحكومة وكانوا قابضين على زمام الرأى العام

وكهنة الامم كان لهم عظيم السيادة والوقار لدى الشعب وكانت قوانين

---

(١) يوسيفوس فى الباب ٢٠ والرأس ٨

البلاد تحمى شرفهم وتذود عن كرامتهم وسيادتهم

ومن هنا تتضح حراجة مركز التلاميذ والصعوبات المحدقة به حيال هذا العمل الخطير . فلو لم يكونوا مقتنعين تمام الاقتناع بحقيقة ما أنذروا به لما تجاسروا وعرضوا أنفسهم لذلك الخطر الماحق

هذا فضلا عن أن إنذار التلاميذ بعجائب السيد بعد موته هو فى ذاته من أقوى الأدلة وأسدها على حقيقتها لانه إذا كان وهو حى يشجعهم بحضوره كانوا يرتجفون خوفا من أعدائهم وينكرون نسبتهم اليه (مت ٢٧ : ٧٠) فكيف يجاهرون بعجائبه إذا كانت باطلة وهو ميت لا علاقة لهم به

وإذا كان التلاميذ قد ابتدعوا هذه المعجزات حبا فى تمجيد سيدهم . فلماذا لم يهملوا ذكر الأمور التى تحقره عند الناس وتكون سببا فى منعهم اعتناق دينه ويكتفوا بذكر الامور التى تمجده وترفعه وتسهل عليهم المناداة باسمه . على أننا نرى من حيث آياته ومعجزاته أنهم ذكروا منها القليل وتركوا الكثير (يو ٢٠ : ٣٠) أما من حيث آلامه وإهاناته فلم يتركوا منها شيئا البتة بل كتبوا عنها بتدقيق عظيم مفصلين بإسهاب وتطويل كل نوع من أنواعها المذرية المخجلة التى لا تتفق ومقام ربهم وسيدهم العظيم . وما كتب أحدهم عن هذه الاهانات وأهملها الآخرون كما اعتادوا أن يفعلوا فى أمر الآيات والمعجزات بل كتبوا جميعا عنها بشرح واف مستفيض يكاد أن يكون شاملا جامعا لكل ما لحقه من ضروب تلك الاهانات

ليت شعرى أليس ذلك دليلا قاطعا على صدق الرسل فى كل ما قالوا وأخبروا عن سيدهم . إذن المعجزات الوارد ذكرها فى الانجيل هى صحيحة صادقة لا ريب فيها وأنها من أجل وأسمى البراهين الدالة على لاهوت ربنا وسلطانه الالهى

أما الشك فى حقيقة تلك المعجزات فغير ممكن أيضا وذلك لأسباب

ثلاثة (١) : —

(١) لأنها لم تكن خيالية ظاهرية بل كانت قابلة لامتحان الحواس فيستطيع الناس ادراكها ادراكا حقيقيا والحكم بصحتها

(٢) لم تكن مصنوعة بواسطة طبيعية

(٣) لم تكن مصنوعة بقوة الشيطان ولا يمكن نسبتها الى أية قوة أخرى سوى القوة الالهية السماوية

١ — كونها لم تكن خيالية ظاهرية بل كانت قابلة لامتحان الحواس ويستطيع الناس ادراكها ادراكا حقيقيا فذلك لان مقتبليها كانوا يحسون بها فى أنفسهم مع تحققهم اياها على الدوام والاستمرار . فالعمى كانوا يشعرون أنهم يبصرون جليا . والمرضى يحسون أنهم أصحاء حقا . والموتى يوقنون انهم فى عالم الاحياء وليسوا فى عالم الاموات

هذا فضلا عن ملاحظة أعداء السيد المسيح ومقاوميه هذه المعجزات وفحصهم اياها فحصا دقيقا حبا فى اظهار كل ما يمكنهم أن يروه فيها من الغش والخداع

فلو كانت تلك المعجزات خيالية ظاهرية فقط لما أمكن للعمى ان يبصروا والمرضى أن يصحوا ولما كان ذلك الخيال يستمر زمانا هذا مقداره ولا كان ينتشر ويعلن للناس فى سائر انحاء المعمورة، ولما كان يسكت الاعداء عن كشف ما فيه من غش او خداع

٢ — وأما كونها لم تكن مصنوعة بقوة طبيعية فلأن القوة الطبيعية لا يمكن أن تعيد ميتا الى الحياة ولا تفتح عينى مولود أعمى . لانه من الواضح الثابت ان المخلوق يستحيل عليه ان يصنع شيئا من لا شيء . هذا فضلا عن أن القوة الطبيعية تعمل بوسائط مناسبة وموافقة لتلك الاعمال على ان السيد

---

(١) راجع المبحث الثانى ص ٢٠ و ٢١

المسيح لم يمتنع عن تلك الوسائط فقط بل عمل وسائط مضادة لعمله المقصود . فعندما أراد أن يفتح عيني المولود الاعمى طلى عينيه بالطين و وضح أن الطين ليس مصلحا للنظر بل مفسداً له

ثم ان الاعمال الطبيعية تعمل عملها بطيلة الزمن وفي الموضوع الحاضر مع مباشرتها له والحال ان السيد المسيح لم يعمل آياته بطيلة الزمن بل كان يعملها في لحظة واحدة إما باللمس او بكلمة أو بمجرد الارادة (مت ٨ : ٣) . ثم انه كان يعمل هذه الاعمال في اماكن بعيدة عن الموضوع فشفى ابن خادم الملك(١) وهو في قانا الجليل بينما ذلك الابن كان في كفرناحوم (يو ٤ : ٤٦) وشفى ابنة الكنعانية وهو في الطريق وقد كانت تلك الابنة منطرحة على فراشها في البيت (مت ١٥ : ٢١) وذلك بمجرد كلمة فقط خلواً من مباشرة الموضوع لأنه كان يقول الكلمة فتكون المعجزة (مت ٨ : ٥) او كانت قوة الشفاء تخرج منه مع خروج الكلمة من شفتيه « يو ٥ : ٨ » ولا يخفى ان عمل الشيء بمجرد كلمة او امر هو من خصائص القدرة الألهية فقط ولا يقدر عليه مخلوق بشري مهما كان رفيع المقام عظيم القدرة

٣ — واما كونها لم تكن مصنوعة بقوة الشيطان ولا يمكن نسبتها الى أية قوة اخرى سوى القوة الالهية السمائية فذلك لسببين عظيمين احدهما يتعلق بذات الفعل وثانيهما يتعلق بغاية الفعل

اما فيما يتعلق بذات الفعل فان الشيطان وان قدر على الحركة المكانية

---

(١) (ملاحظة) لقد رفض ربنا الذهاب الى بيت خادم الملك لشفاء ابنه بالرغم من الحاح هذا الرجل باجابة طلبه ، وذلك لانه لو طاوعه ونزل لتوهم هذا الرجل وغيره ان المسيح لا يستطيع ان يشفي الا بحضوره عند المريض ولكن حبا في أن يقنع الجميع بأنه قادر على شفاء المرضى سواء في حال قربه وبعده عنهم قال لذلك الرجل اذهب ابنك حي فشفي ابنه للحال

واستخدام القوة الطبيعية وخدع الحواس إلا انه يستحيل عليه منح الحياة لميت . والنظر لأعمى ، والنطق لأخرس ، مع دوام ذلك واستمراره لمن اعطى لهم .

واما فيما يختص بغاية الفعل فان السيد له المجد لم يفعل هذه الافعال لمجرد تخفيف ويلات الناس واتعابهم او لجذبهم لمعرفته والاعتقاد بألوهيته فحسب بل لتحطيم قوة الشيطان وملاشاة مملكته ايضا . ويستحيل ان الشيطان يضاد نفسه وينقسم على ذاته . قال له المجد : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب وكل مدينة او بيت منقسم على ذاته لايثبت فان كان الشيطان يخرج شيطانا فقد انقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته (مت ١٢ : ٢٥) ومعنى ذلك انه ما دام له المجد يخرج الشياطين ويطاردهم وهذا داع الى بوارهم وهلاكهم وزوال سلطانهم فلا يعقل ان يستعين على خراب مملكتهم بواسطة رئيسهم

نعم ان طائفتى الكتبة والفريسيين ادعتا بأن المسيح صنع آياته ومعجزاته بقوة الشيطان غير ان ادعاءهم هذا لو تأملناه بعين الروية لالفيناه شهادة لنا لا علينا لأنه يحقق ان المسيح له المجد صنع آيات ومعجزات كما ورد عنه فى الانجيل (وهذه نقطة جوهرية فى الموضوع) اما انكار ما فيها من البرهان على قوته الالهية ونسبتها للقوة الشيطانية فلم يحملهم عليه سوى حسدهم له وبغضهم اياه فقط . فهم وان قصدوا بادعائهم هذا نكران ما لتلك المعجزات من الصفات الالهية ، إلا أن ذلك فى الحقيقة شهادة اضطرارية بصحتها

اذاً يتضح مما ذكر أن الآيات والمعجزات التى أجراها ربنا هى ظاهرة يقينية مجردة عن الغش والخداع والحيل الشيطانية وبالتالى هى برهان حى على تحقيق الوهيته . قال له المجد : فان لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه (يو ١٠ : ٣٨) وقال أيضا : لأن

الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى (يو ٥ : ٣٦) أى أن هذه الآيات والمعجزات تشهد أنى أنا ابن الله كما قلت لكم . وذلك لأنه اذا كان من المحقق انه لا يمكن أن تصدر أعجوبة حقيقية الا من قبل الله فقط فينتج من ذلك ان الأعجوبة الحقيقية المفعولة لاثبات أمر ما لا ينبغى أن يشك فى شهادتها إذ أنه تعالى لا يشهد للكذب ولا يثبته لأنه هو الحق المطلق

وبما أن المسيح أثبت لاهوته بعجائب ظاهرة يقينية منزهة عن الخداع والغش وبعيدة عن الشك والانكار فهو اذاً اله حق والا كان الله شاهداً للكذب ومؤيداً له . وذلك باطل بالبداهة

نعم لا ينكر أن الأنبياء والرسل صنعوا آيات ومعجزات كثيرة ولكن لا يمكن أن تتخذ دليلا على كونهم آلهة وذلك لأن معجزات السيد تمتاز عن معجزات أولئك العبيد بأمرين عظيمين جوهريين أحدهما من جهة الكثرة والآخر من جهة الكيفية

أما عن الكثرة فلأن السيد له المجد قد أجرى آيات ومعجزات أكثر من أى واحد آخر فلو جمعنا معجزات موسى وايليا واليشع والرسل لما عادلت كلها فى كثرتها معجزات ربنا التى يصفها يوحنا مع ما ذكر عنها فى الانجيل من الكثرة بقوله : وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة (يو ٢١ : ٢٥) الامر الذى دل على مقدار العجز الكامل عن ضبط واحصاء ما أتى به ربنا من الآيات والمعجزات الباهرة التى لو ذكرت بالتفصيل واحدة فواحدة لأصاب عقول الناس من جرائها ذهول وارتباك

أما عن الكيفية فلأن السيد المسيح كان يعمل الآيات باسمه وأمره وقوته الذاتية وسلطانه المباشر على عالم الطبيعة والانسان والارواح فكان يقول للشاب الميت لك أقول قم فيقوم . وللزوبعة العاتية والبحر الهائج

اسكت فيسكت . وللروح النجس انا آمرك اخرج منه فيخرج . شأن الاله القادر على كل شيء . وأما أولئك فكانوا يصنعونها باسم وسلطان غيرهم مقدمين ابتهالات وتوسلات كثيرة للحصول على مبتغاهم

خذ مثلا لذلك : عندما أراد له المجد أن يطهر الأبرص قال له « أريد فاطهر فطهر » مت ٨ : ٣ أما بطرس فعندما شفى الاعرج قال له : باسم يسوع الناصرى قم وامش . فقام ومشى (اع ٣ : ٦) ولما سئل أمام مجلس السبعين عن الاسم الذى فعل به هذه المعجزات جاهر على رؤوس الملأ قائلا : فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه انتم الذى أقامه الله من الاموات . بذاك وقف هذا أمامكم صحيحا (اع ٤ : ١٠)

وهذا هو الفرق الذى جعل الاول إلها والآخر بشراً . غير أنه لا يخفى أن بعض الكفرة الملحدين مثل توما هوبلس وداود هوم ينكرون المعجزات مطلقا ولا يسلمون بوقوعها . لزعمهم ان الاعتقاد بالمعجزات يؤدى الى انكار ما فى الطبيعة من تناسق وانسجام ولكن الواقع والحقيقة ان الاعتقاد بالمعجزات هو الذى يبرهن على هذا الانسجام لانه لولا هذا الانسجام لما ادركنا المعجزة وانها خارقة للعادة . واذا كان الانسان يتدخل باستمرار فى سير الطبيعة ويعدل فيه تبعا لاغراضه ومقاصده . وعمله هذا ليس هو الا صورة مصغرة لما يفعله الله بالطبيعة . فهل من المتعذر على الله ان يفعل هذا الفعل عينه . قال احد علماء الكتاب ان المعجزات لا تحدث نقضا او تغييراً فى نواميس الطبيعة عدا كونها توقف جريانها او تقترن بها نواميس اخرى لتأتى بحادث غريب عنها . مثال ذلك : اننا نستطيع ان نوقف ناموس النار اذا اضفنا اليه ناموس آخر وهو الماء . فالذى نستطيع نحن ان نفعله بواسطة يستطيع الله ان يفعله بغير واسطة كمعجزة اتون بابل حيث ابطل الله فعل النار بلا واسطة كما لو سكب عليها الناس ماء غزيراً . فاذن

المعجزات لا تتعارض مع النواميس الطبيعية وانما الذى حدا باولئك إلى هذا الاعتقاد الفاسد هو أمور كثيرة أهمها شدة ميلهم لانكار لاهوت السيد المسيح وعظمته لانهم رأوا ان الآيات والمعجزات من أقطع البراهين وأدلها على لاهوته (يو ٣ : ٢)

أما من كان مجرداً عن الاغراض والاهواء الفاسدة فيكفيه برهانا على امكانية حدوث الايات والمعجزات قوة الله العظيمة التى تستطيع كل شيء لان من امكنه ان يخلق الطبيعة ويضع لها الانظمة والنواميس الثابتة يمكنه بالبداهة ان يتصرف فيها بحسب ما يلائم مقاصده ومشيئته الصالحة

ومما يجب ملاحظته ان المعجزات ما زالت حتى الان تعمل بقوة السيد المسيح وبشفاعة قديسيه فى كل مكان فقامت برهانا صادقا محسوسا عما ورد عنها فى كتابه الالهى. نعم انها كانت فى بداية المسيحية اكثر منها الآن وذلك لان ظلام الوثنية حين ذاك كان يحجب نور الحق عن عقول الناس . اما الآن بعد الايمان فقد فضل الله ان يستعمل الناس عقولهم فى فحص أوامر الدين ونواهيه ومنها يستدلون على صدق دينهم

الفصل الرابع

في

قدرة السيد المسيح على معرفة الغيب

من المسلم به عقلا ونقلا ان معرفة الغيب مطلقة والعلم بالاشياء قبل كونها انما هي من خصائص الخالق جل شأنه التي لا يشاركه فيها احد من المخلوقات ولو كان من اطهر البشر وأقدس الملائكة ولا سيما الاضلاع على قلوب الناس والاحاطة بما تكنه ضمائرهم لان تلك من الأمور التي جعلها الله تحت سلطانه

وإذ قد عرفنا ذلك فلا مندوحة لنا عن الاعتقاد بالوهية السيد المسيح له المجد لانه كثيراً ما أنبأ بما دل دلالة قاطعة على ان لاتخفى عليه خافية بل يعلم الغيب وما تكنه الضمائر وانه خبير بالسرائر وبما هو مزمع ان يقع قبل كونه . وهوذا تاريخه الجليل حافل بالحوادث الدالة على سلطانه المطلق على سائر الازمنة الماضي والحاضر والمستقبل، الامر الذي دل على ان يسوع المسيح ليس إنسانا بل إلها مباركا إلى الأبد آمين (رو ٩ : ٥)

اولا : عندما تقابل جل شأنه مع المرأة السامرية كشف لها سرها وأعلمها بماضيها فاندهشت واعتقدت انه يستحيل على شخص بشرى غريب المكان أن يعرف ما عرفه هو من ماضيها إن لم يكن إلها سمويا ظهر ليكشف طريق الحق للبشر. واثقتها بما كشفه لها لم يسعها سوى الايمان به قائلة للناس هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم (يو ٤ : ٤٥)

ثانيا : عندما دعا نثنائيل باسمه على غير سابقة معرفة قال له نثنائيل من أين تعرفني أجاب يسوع قائلا قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك (يو ١ : ٣٨) فتعجب نثنائيل وتحقق أن الذى يعرف ماعرفه السيد يستحيل أن يكون بشراً لأن اموره الماضية التى أنبأه بها مما لا يعلمها إلا الله وحده وقد كانت نتيجة ذلك ان آمن نثنائيل فى الحال وأقر بالوهية ربنا قائلا يامعلم انت ابن الله (يو ١ : ٤٩)

ثالثا : عندما ظهر لتوما قال له : هات ياتوما أصبعك الى هنا وابصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبي (يو ٢٠ : ٢٧)

وقد اثبت بهذا القول انه علام الغيوب اذ علم بكل ما دار فى الماضى بين التلاميذ وتوما الذى قال : ان لم اضع يدى فى اثر المسامير لا اؤمن . فكان الجواب على قوله هذا (هات ياتوما اصبعك وابصر يدى) وبذلك جاء جواب المعلم مطابقا لسؤال التلميذ لفظا بلفظ وحرفا بحرف كأنه كان موجوداً معه . الامر الذى محا كل شك من قلب توما وحمله على الاعتراف بألوهية سيده قائلا : ربى والهى (يو ٢٠ : ٢٨)

رابعا : عند ما انبأ له المجد تلاميذه بنكرانهم اياه . قال له بطرس : انا لا انكرك ابداً ، فأكد له انه فى هذه الليلة ينكره ليس مرة واحدة ولكن ثلاث مرات . وقد كان الأمر كما قال بلا زيادة ولا نقصان (مت ٢٦ : ٣١)

خامسا : عند ما طلب من بطرس دفع الجزية أمره له المجد ان يذهب الى البحر ويلقى صنارته فيمسك سمكة وفى فمها استار يدفعه عن نفسه وعن سيده . واذ فعل بطرس هكذا وجد كما اخبره مولاه بغاية الدقة والضبط (مت ١٧ : ٢٧)

ولا يخفى ان من يعرف ما فى باطن السمكة وهى فى عمق البحر ويجعلها ان تحمل فى فمها ما يفى بالمطلوب فقط بلا زيادة ولا نقصان ثم تأتى مقدمة

نفسها لصنارة بطرس فانما هو الاله الذى يسوس الكون بحكمته ويسد احتياجات الناس بقوة سلطانه

سادسا : ارسل له المجد تلميذين ليعدا عيد الفصح واعطاهما علامة بأن الذى يصادفهما فى طريقهما ويدلهما على البيت انما هو رجل حامل جرة ماء . واذ خرجا وجدا كما قال لهما . فكان ذلك من ادل البراهين على انه عالم الغيب (انظر لو ٢٢ : ١٢ - ١٦)

سابعا : كان بين المكان الذى فيه السيد المسيح وبين منزل لعازر مسيرة يوم على الأقل ومع ذلك عرف الوقت الذى فاضت فيه روح لعازر بالضبط وانبأ تلاميذه به قائلا : لعازر مات (يو ١١ : ١٤) فلو لم يكن المسيح إلها لما استطاع ان يعرف تلك الحادثة حال وقوعها وينبىء تلاميذه بها

ثامنا : عند ما غفر خطايا المفلوج فكر الكتبة والفريسيون بالشر فى انفسهم ، فعلم له المجد بذلك ووبخهم عليه قائلا : لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم ؟ (مت ٩ : ٢ - ٤) وبهذا أثبت أنه فحص قلوبهم واطلع عليها . ونحن نعلم ان من يفحص قلوب الناس ويعلم ما انطوت عليه افكارهم انما هو الإله الحق دون غيره لأن ذلك من اختصاص الخالق الذى لا يشاركه فيه مخلوق .

واذا قيل لنا أن الانبياء والرسل كانوا يعلمون الغيب وينبئون بحوادث المستقبل قلنا أن بين علم السيد وعلم اولئك العبيد فرقا عظيما . فعلم السيد المسيح انما كان طبيعيا مطلقا يحيط بسائر الاشياء أما علم اولئك فكان اكتسابيا محدوداً وهبة من الله تلازمهم أحيانا وتفارقهم أخرى ولهذا كانوا يعلمون شيئا ويجهلون اشياء

فاليشع عرف ما فعله تلميذه جيحزى ولكنه جهل أمر الشونمية (٢ مل ٥ : ٢٣ و ٤ : ٢٧)

وبطرس عرف ما فعله حنانيا وامرأته سفيره ولكنه جهل أمر الرؤيا التي رآها في يافا (اع ٥: ١ و ١٠ : ١٤)

وبولس علم بارتداد بعض الناس عن الايمان وأنبأ بمعتقدهم الفاسد محذراً المؤمنين منه (١تي ٣ : ١) ولكنه جهل ما يصيبه في اورشليم حيث قال : والآن ها أنا ذاهب الى اورشليم مقيداً بالروح لا اعلم ماذا يصادفني هناك (اع ٢٠ : ٢٢)

وحيث ان المعرفة المطلقة بأمور الغيب والمستقبل ليست من خصائص البشر وانما هي من الصفات الالهية فقط . وحيث ان سيدنا له المجد لم يجهل امراً من الامور بل كان ينبيء بحوادث المستقبل كأنها واقعة تحت نظره الأمر الذي لم يفعله احد غيره . اذن فهو الإله الحق



الفصل الخامس

فى

نبوات السيد المسيح

التى انبأ بها وتمت تماما عجيبا

لقد انبأ له المجد بنبوات كثيرة متعددة وتمت كلها فعلا بشهادة اصدق المؤرخين واشهرهم ، الامر الذى ادهش العقول والابصار ودل على ان المتكلم هو عالم الغيب والمستقبل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة (١)

(النبوة الاولى)

فقد انبأ له المجد عن ديانته انها تبدو صغيرة فى العالم لأول امرها ثم تنمو وتزداد حتى تعم العالم كله مشبها اياها بحبة خردل صغيرة زرعها انسان فى حقله وترعرعت حتى صارت شجرة عظيمة (مت ١٢ : ٣١)

ومن نظر الى حال ديانة المسيح له المجد بعد قيامته وقارن بين حالتها وقتئذ وما وصلت اليه الآن من النمو والانتشار يعرف صدق تلك النبوة العجيبة وما لقائلها من الاقتدار على معرفة ما هو مخبوء ومستور فى طيات الدهور

---

(١) لقد تقلد ربنا له المجد ثلاث وظائف هى وظائف النبي والكاهن والملك فقد مارس الوظيفة النبوية باعلان مشيئته تعالى للبشر . ومارس الوظيفة الكهنوتية بتقديم ذاته كفارة عن خطايا العالم . أما الوظيفة الملوكية فقد مارسها بقهر الشيطان وبنقذنا من اسره (راجع عب ١ : ١ و ٤ : ١٤ ومز ١١٠ : ٤ وزك ٩ : ٢٩)

لقد بدت تلك الديانة فى علية صغيرة فى مدينة أورشليم وكان المنادون بها من عامة الناس فقراء صيادين بسطاء عديمى العلم . وكان المقاومون لها كثيرين أقوياء فلاسفة عظماء وعلى رأسهم ملوك العالم وقياصرته الجبابرة . قال تاسيتوس المؤرخ الشهير « أن المسيحيين فرقة مكروهة من الناس وحسب الرومانيون التنصر اثماً يستحق مرتكبه الموت » ولكن رغماً عن هذه المقاومات والاضطهادات المرة العنيفة التى لحقت تابعى هذه الديانة فأنها نمت وامتدت من اقاصى الأرض إلى أقصائها فائزة منتصرة على جميع الذين ناصبوها العداء . كنيرون وترجان ودومتيان وديوكلتيان الذين لم يتلاشوا فقط وتبقى الديانة المسيحية حية نامية . بل تسيطرت أيضاً على قلوب القياصرة الذين ورثوا تلك العروش عينها فحولتهم بقوتها الإلهية الخفية من معاول هدم إلى آلات حية عاملة مجدة فى تشييدها وتوطيد دعائمها الأمر الذى جاء مصداقاً لذلك الوعد الصادق وهو : أبواب الجحيم لن تقوى عليها (مت ١٦ : ١٨) أى أن قوة البشر والشياطين المكنى بها بأبواب الجحيم لا تستطيع أن تقهر كنيسة المسيح وتنتصر عليها .

ولقد أثبت مشاهير المؤرخين أن الانجيل نودى به بعد ثلاثين سنة للصعود فى كل ما عرف من المسكونة وقتئذ فكتب افلينيوس والى بثنية المجاورة لافسس رسالة للامبراطور ترجانوس بانتشار الديانة المسيحية بعد مدة ليست بطويلة قال فيها (انتشر هذا الوهم « أراد به الديانة المسيحية » كالعدوى بين عدد وافر من الناس ذكوراً واناثاً . كباراً وصغاراً . أغنياء وفقراء .شرفاء وأدنياء فتركت هياكل الآلهة بلا عبدة ومذابحها بلا ذبائح) وهكذا ما كاد ينتهى القرن الثالث لتأسيس تلك الديانة حتى اصبحت هى

الديانة الرسمية للمملكة الرومانية (١) ولم تزل تمتد وتنتشر منذ ذلك الحين حتى صار الآن الذين يجثون أمام يسوع المسيح ربنا ويعبدونه زهاء السبعمائة مليون نسمة أكثرهم من ارقى امم العالم تمدينا وحضارة . أليس فى ذلك برهان لا يكذب على صحة هذه النبوة الصادقة ؟

النبوة الثانية

ولقد تنبأ جل شأنه عن خراب اورشليم وهيكلها فقال : الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض (مت ٢٤ : ٢) وقد كان هذا الكلام وقتئذ يظهر أنه من أبعد الممكنات لأن اليهود كانوا فى حالة السلم والراحة وكان الرومانيون فى قوة لا يظن معها أن يعصيها امة صغيرة

---

(١) قال اوسابيوس المؤرخ المشهور (لما تأهب الامبراطور مكسنتيوس لمحاربة الملك قسطنطين وكان مكسنتيوس هذا قويا وذا جيش جرار خاف منه الملك قسطنطين جداً وعول على ان يرتكن على إله النصارى دون غيره. وبينما هو سائر فى طريقه لملاقاة عدوه رأى فى أفق السماء صليبا من نور مكتوبا عليه (بهذا تغلب) فاندهش قسطنطين وكل قواده من هذا المنظر العجيب وأخذوا يفكرون فيه وماذا يكون من أمره وبينما كان الملك نائما ظهر له السيد المسيح فى رؤيا ومعه صليب وأمره ان يصنع مثاله ويجعله على راية ويتقدم به للحرب . فلما استيقظ من نومه فعل هكذا وكانت النتيجة أن انتصر الملك قسطنطين على عدوه انتصاراً باهراً حتى انه بينما كان عسكر مكسنتيوس هاربين من وجه عساكر قسطنطين مروا على شاطىء نهر تيبر فانهال بهم الجرف وسقطوا جميعا فى النهر . أما قسطنطين فدخل رومه وعلم النصر يخفق على رأسه ثم اعتنق الديانة المسيحية واعتمد من يد سيلبسترس اسقف رومه وبذلك اصبحت الديانة المسيحية هى الديانة الرسمية للمملكة الرومانية وكان ذلك زهاء سنة ٣٣٠ للميلاد)

كاليهود ولكن رغما عن كل ذلك فقد تمت هذه النبوة بكل اجزائها فى سنة سبعين الميلاد على أيدى ملوك الروم حيث استولى تيطس على الهيكل فأحرقه وأزال مجده . وعلى المدينة فأخربها ودك أبراجها وحصونها ، وهكذا زالت اورشليم فخر الممالك وتلاشى هيكلها اعجوبة العجائب ولم يترك فيها حجر على حجر

وقد ذكر يوسيفوس اليهودى خراب اورشليم بالتفصيل التام حيث كان الرومانيون أسروه وبقى معهم وقت الحصار وبما انه كان يهوديا بل من كهنة اليهود كان طبعا لا يروى شيئا من شأنه تأييد نبوات المسيح ومع كل ذلك فتاريخه يعتبر بمنزلة شرح وتفسير لتلك النبوات عن خراب الهيكل وهاك ما رواه فى تاريخه :

قال : لما استولى عساكر رومه على المدينة أصدر تيطس أمرا أن يخربوا كل المدينة ما عدا ثلاثة ابراج . أما باقى السور فهدم تماما من جدرانه بحيث لم يبق فيه أثر يدل على أنه كان مسكونا . وقد أحرق اليهود أنفسهم أولا اروقة الهيكل ثم قذف أحد عساكر الرومانيين من تلقاء نفسه شعلة نار على الباب الذهبى فاشتعلت النيران والتهبت التهابا فأمر تيطس باطفائها ولكن لم يلتفت أحد الى أوامره من شدة الاضطراب ثم هجم العسكر على الهيكل ولم ينهم وعد ولا وعيد ولا ضرب ولا تهديد . ومع أن تيطس كان يتمنى بقاء الهيكل وكثيرا ما أرسل يوسيفوس الى اليهود لاغرائهم على ترك العند والعناد ، وليزين لهم التسليم والانقياد لحفظ الهيكل والمدينة فلم يأت كل ذلك بأقل فائدة لان المسيح سبق وتنبأ عن خراب أورشليم والهيكل فكان ذلك قضيا مقضيا

ولم يتنبأ جل شأنه على خراب أورشليم والهيكل فقط ولكنه تنبأ بضيقات مريعة تصيب سكان تلك المدينة بقوله : لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون (مت ٢٤ : ٢١) وقد وصف يوسيفوس المؤرخ اليهودى هذا الضيق الذى رآه رأى

العين فقال : لم توجد مدينة فى العالم احتملت مثل الضيق الذى حل بأورشليم فانه قتل من شعبها وقت الافتتاح مليون نسمة وأسر منهم سبعة وسبعون الفا وصلب منهم خلق كثير واشتد الجوع بمن بقى منهم حتى أكل بعضهم الجيف ودبيب الأرض وأصبح الأولاد يتشاحنون مع آبائهم على لقمة من الخبز وبلغ من أمر العسكر أن أكلوا الحب الذى يوجد فى زبل الحيوانات وجلود الدواب الميتة . ومن أفظع ما يروى عن حوادث هذا الضيق أن امرأة من أسرة عريقة فى المجد والنسب ذبحت ابنها وأكلته سراً . وبالجملة كان الضيق الذى حل بأورشليم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون »

ولم يتنبأ له المجد بحدوث ضيقات ومجاعات فقط بل تنبأ بحدوث مخاوف وعلامات عظيمة فى السماء » لو ٢١ : ٢١ ، وقد تم ذلك حيث قال يوسيفوس : ظهرت غرائب فى السماء قبل خراب أورشليم فظهر عند انتشاب الحرب فوق المدينة كوكب يشبه السيف ونجم من ذوات الأذناب ومكث سنة كاملة وفى عيد الفطير فى الساعة التاسعة مساء سطع نور عظيم جداً حول المذبح والهيكل كأنه نور شمس فى رابعة النهار وبقى نصف ساعة وانفتح دار باب الهيكل الداخلى الشرقى الذى كان ثقيلا جداً لأنه كان من نحاس وكان يلزم لقفله ٢٠ رجلا . ففهم من ذلك علماء اليهود أنه علامة الخراب ورأوا قبل غروب الشمس مركبات وجيوشا بأسلحتهم يركضون بين الغيوم . ولما كان الكهنة مارين ليلا فى دار الهيكل الداخلى فى عيد الخمسين شعروا بزلزلة وسمعوا صوتا كصوت جمع يقول : لنذهب من هنا

أما العلامة التى تأثر منها المؤرخ يوسيفوس أكثر من غيرها فهى ان فلاحا أتى قبل الحرب بأربع سنين وقت السلم التام فى عيد المظال وكان يصرخ قائلا «صوت من المشرق ، وصوت من المغرب ، وصوت من الرياح

الاربع ، صوت ضد اورشليم والبيت المقدس ، وصوت ضد جميع الشعب » وكان يجول فى انحاء المدينة صارخا بهذه الكيفية ولم يتيسر تسكيته بالوعد والوعيد ولا باللين والجد الشديد واستمر على ذلك سبع سنين وخمسة اشهر وقبل ان اخذت المدينة بقليل دار حول سورها وصرخ بأعلى صوته قائلا . الويل للمدينة وللشعب وللمقدس والويل لى انا ايضا . وحالما نطق بهذه العبارة الاخيرة اصابه حجر من احدى الآلات الحربية فوقع ميتا

ومن نبواته العجيبة على اورشليم ايضا أنها تظل محكومة بممالك اجنبية مختلفة حقبا طويلة وازمنة عديدة بقوله : وتكون اورشليم مدوسة من الامم حتى تكمل أزمنة الامم (لو ٢١ : ٢٤) وتم ذلك فعلا حيث تغلب عليها الرومان واليونان والعجم والعرب والمماليك والترك والمسيحيون وما زالت حتى الآن تحت هذا الحكم بعينه الى أن تتم تلك الايام التى قضى بها الله فى سابق علمه

ويحسن بنا أن نذكر هنا ما جاء عن تمام هذه النبوة العجيبة فى كتاب خلاصة الادلة السنية صحيفة ٢٣٥ حيث قيل : ـ

« وفى عهد ابن اخت قسطنطين الملك غار اليهود على تجديد بناء هيكلهم وساعدهم على ذلك عزم الملك يوليانوس الوطيد على قرض الديانة المسيحية وأبطال النبوة . فضم يوليانوس المذكور الى همته مساعدة حاكم فلسطين وبموجب طلب الامبراطور اجتمع حالا اليهود من جميع ولايات المملكة بابتهاج الظافر على تلال صهيون وكرسوا مالهم وقوتهم ووقتهم حتى النساء كرسن انفسهن بحماسة وغيرة لا تحد ولكن لم ينجح اتحاد القوة والحماسة ولم تزل أرض الهيكل اليهودى باقية تدل على خراب ودمار ذلك البناء لان يدا غير منظورة لا تقهرها اليهود ولا القياصرة كانت تعمل فى ذلك

أما وصف خيبة الأمل بأتمام هذا القصد التجاسرى الكفرى فذكره مؤرخ وثنى نبغ فى ذلك العصر واسمه مارسلينوس قال « واذ كان حاكم فلسطين

يلح بكل همة وحماسة على انجاز العمل كانت تخرج كرات نارية هائلة قرب الاساس على دفعات متواترة وتمنع من وقت لآخر الفعلة الملفوحين المشوهين من الاقتراب الى ذلك المكان . واذ استمر هذا العنصر الظافر المهلك يروعهم على هذا الاسلوب عدلوا عن العمل ،

وبذلك تمت نبوة المسيح له المجد على خراب اورشليم بحذافيرها

(النبوة الثالثة)

وتنبأ عن سقوط مدينة كفرناحوم وزوال مجدها بقوله : وانت يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية مت ١١ : ٢٤ وقد تم عليها ذلك ففقدت مجدها وعظمتها حتى صار نفس موقعها موضع اختلاف الجغرافيين ولم يعلم بالتحقيق حتى الآن ويرجح ان موقعها هو ما يقال له الآن (خربة تل حوم)

(النبوة الرابعة)

وتنبأ أن تلاميذه يقفون امام ملوك العالم وولاته مت ١٠ : ١٨ وكانت نبوته حينئذ تقرب من المستحيل لانه من كان يتصور أن صيادي الجليل الفقراء الخاملين يحوزون من الشهرة ما يجعلهم أهلا لان يقفوا امام ملوك الارض وعظمائها ولكن تم ذلك فعلا حيث وقف بولس امام نيرون الملك وهيرودس اغريباس وفيلكس الوالي . وقد وقف غيره من الرسل امام ملوك الارض وولاتها كما هو مدون في تاريخهم الصادقة الصحيحة (راجع اع ٢٤ : ٢ و ٢٥ : ١٢ و ٢٦ : ١)

(النبوة الخامسة)

وتشمل جملة نبوات

ولقد تنبأ له المجد عن آلامه وموته وقررهما قبل حدوثهما وقبل ان يتآمر عليه اليهود بهما وكان يتكلم عنهما كمن يتكلم عن أمر واقع في زمن الحال . وكذا أنبأ أيضا عن قيامته من بين الأموات في اليوم الثالث وهذا يتضح من قوله لتلاميذه : ها نحن صاعدون الى اورشليم وابن الانسان

يسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه الى الامم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفى اليوم الثالث يقوم (مت ٢٠ : ١٨)

ولم يخبر بما قد كان عتيداً ان يحدث له فقط ولكنه اخبر بما كان عتيداً ان يحدث لغيره ايضا فى هذه الحادثة الخطيرة حيث تقدم فاخبر بطرس بأنه سينكره فأنكره حقا وأعلم تلاميذه بأنهم يتفرقون ويتركونه وحده وهكذا حدث (يو ١٦ : ٣٢)

ثم اعلن ان واحداً من تلاميذه سيسلمه وكان ذلك كما قال . وانبأ تلاميذه إذ سكبت مريم تدهن على جسده ان فعلها هذا عتيد ان يمدح ويذاع فى اقاصى الارض كلها . وهذه فى الواقع نبوة غريبة للغاية تبين صدقها منذ نحو الفى سنة . فلو لم يكن المسيح إلها حقا لاستحال ان يعلم سابقا انه يذكر عمل امرأة فى بيت عنيا الوفا من السنين ويترجم خبره فى كل لغات العالم العالم الثابتة لها على ما عملته له

فهذه السلسلة العجيبة من النبوات المدهشة التى تمت بسائر اجزائها دليل واضح على لاهوته تقدس اسمه وذلك لان من يتقدم فيخبر بكل ما يحدث له ولغيره فهو إله بلامحالة لانه :

(اولا) هو شيء مختص بالله تعالى وحده ان يعرف بسابق المعرفة كل الامور المستقبلة لكى تكون تحت تدبير عنايته وهو وحده الذى يستطيع ان يقول ان هذا الامر سيصير هكذا

(ثانيا) هو شيء مختص بالله فقط ان يفحص القلوب والكلى ويميز بكمال التمييز كل النيات الخفية والحال ان سيدنا يسوع المسيح فعل الامرين كما رأيته واضحا جليا فيما ذكرناه . فاذن هو الاله الحق

الفصل السادس

فى

طهارة سيرة السيد المسيح له المجد

أما عن طهارة سيرة ربنا وعصمته فى كل تصرفاته وأعماله وأقواله فيسوع لنا القول بأنه هو الشخص الوحيد الذى ظهر فى العالم وكان المثل الأعلى فى طهارة السيرة ونقاوة السمعة وكرم الأخلاق ورقة العواطف وسمو المبادىء

قضى على الأرض زهاء ثلاث وثلاثين سنة وهو طاهر اليدين نقى القلب لم يعمل شراً ولا وجد فى فمه مكر بل كان قدوسا زكيا منزها عن كل دنس بعيداً عن الخطاة وأرفع من السماء . وبالجملة اذا تتبعنا تاريخ حياته النقية من أوله الى آخره لوجدنا ان العالم لم ير ولن يرى حتى منتهى الدهر شخصا تمثلت فيه صفات المسيح وأخلاقه السامية الكريمة التى لم يعتورها عيب ولم يلحقها دنس

ولقد وصف احد العلماء سيرة السيد المسيح الصالحة فقال : —

« انه لا يستطيع احد مهما اوتى من دقة الوصف ان يعبر عن جلال وسمو صفات المسيح العجيبة فانها بتمامها فريدة لم تتصور مثلها أسمى عقول القدماء ولم يسمع العالم بما يحاكيها من عصره الى الآن ولن يسمع حتى منتهى الزمان . فكما تفردت الشمس بين انوار السماء بصفاتها الخاصة كذلك تفرد يسوع المسيح فى تاريخ العالم بصفاته الطاهرة الخالية من كل عيب التى لا يمكننا ان نستوفى مدحها لأنها تجل عن مدح البشر »

وقال يوستينوس الفيلسوف المشهور بدفاعه عن المسيحية فى وصف صاحب هذه السيرة المباركة «ان المسيح لم يتكلم بالكذب مطلقا . ولا هم بخطية ابدا . ولا اقترف ذنبا . ولا ارتكب اثما . ولا اعاب احدا ولا اذاه . ولا منع طالبا . ولا رد سائلا . ولا اعرض عن مستغيث»

أنظر الشهادة التى شهد بها الذين حكموا عليه فى ليلة صلبه وتأمل فى الاقرار الذى أقر به بيلاطس البنطى أمام رؤساء الكهنة وعظماء الشعب فانه دعاهم وقال لهم بعد الفحص الدقيق ، قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب وها أنا قد فحصت أمامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه ولا هيرودس أيضا ، ومن هذه الشهادة المجردة من الهوى وذلك الاقرار الذى أقر به الوالى الرومانى بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن هيرودس والى الجليل تتضح طهارة ربنا ونقاوة سيرته

وقد جاء فى التاريخ عن ترتوليانوس ويوسابيوس ويوستينوس أن بيلاطس اعترف بطهارة سيد الكل ونقاوة سيرته مرتين : الاولى بارساله تقريراً يتضمن شرح واقعة الحال الى طيباريوس قيصر . والثانية بتسطيره تلك الواقعة فى السجل الخصوصى الذى كانت تكتب فيه كل الامور الهامة التى حدثت فى حكمه . ولذلك بقيت هذه التقارير وستبقى الى النهاية شهادة حية صادقة على طهارة ذلك الذى لا عيب فيه

ولم يشهد بيلاطس البنطى وحده ثلاث مرات متوالية ببراءة السيد وطهارته فى ليلة محاكمته بل شهد كثيرون غيره كيهوذا الاسخريوطى وقائد المائة واللص وامرأة بيلاطس التى جاء عنها فى الانجيل أنه بينما كان بيلاطس على كرسى الولاية ارسلت اليه قائلة : إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله (مت ٢٧ : ١٩) وشهد اللص موبخا رفيقه ونفسه قائلا : أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله (لو ٢٢ : ٤٣)

وشهد قائد المائة الذى رأى بعينه محاكمات السيد وسمع شهادة الشهود قائلا : حقا كان هذا الانسان باراً (لو ٢٣ : ٢٧)

أما يهوذا الاسخريوطى العدو الاله الذى كان مطلعا على سائر احوال المسيح وكان يشتهى ان يرى عيبا ولو بسيطا فيه سواء فى أعماله أو أقواله لكى يبرر به عمله ويسكن ضميره المضطرب فقد اعترف وأقر على رؤوس الاشهاد قائلا : اخطأت اذ سلمت دما بريئا (مت ٢٧ : ٤)

ومن يجرؤ ويقف فى وسط محفل عظيم يضم ألد أعدائه ومقاوميه ويهتف بملء فيه قائلا : من منكم يبكتنى على خطية (يو ٨ : ٤٦) ولم يعترض عليه أحد ولو بالباطل فهو بار لا عيب فيه بلا محالة

قال القديس اغريغوريوس (ان ناسوت يسوع المسيح تأله بالاتحاد الاقنومى وتقدس بنوع جليل جداً فى غاية الجلال . لان الله ليس قدوسا فقط بل هو غاية القداسة الجوهرية أيضا)

قال القديس باسيليوس (ان القداسة هى طبيعية لناسوت سيدنا يسوع المسيح حسبما هو متحد مع الكلمة الالهية)

قال القديس كيرلس (ان ناسوت سيدنا يسوع المسيح أخذ من اللاهوت كمثل ما يؤخذ الجمر من النار وذلك الاخذ ليس الا تشبيها كاملا للاهوت كما أن جمر النار مشابه للنار بكمال الشبه ولذا فناسوت ربنا يسوع المسيح قدوس بغاية القداسة)

هذا وان نقاوة سيرة ربنا يسوع المسيح وعصمته لم يشهد بها الوحى وآباء الكنيسة والذين رأوه رأى العين فقط لكن شهد بها أكثر فلاسفة العالم وأفرغوا جعبة ألفاظهم فى التغنى بمحاسنها

قال الفيلسوف ميل (١) « ولقد أحسن الدين فى اختيار هذا الشخص (المسيح) كنموذج كمال الانسانية ومرشد البشرية لأنه يصعب الآن حتى على

---

(١) كتاب البراهين العقلية فى صحة الديانة المسيحية صحيفة ٤٠

غير المؤمن أن يقتفى آثار الفضيلة ويتزين بجمالها بدون أن يحيا حياة يحبذها المسيح وتقع موقع الاستحسان عنده »

وقال نيان « المسيح باق كينبوع لا ينضب ترتشف منه الانسانية وتغسل ادرانها فتتجدد وفيه أيضا قد تجمعت كل محاسن ومكارم طبيعتنا »

وقال ليكى « من الخواص التى امتازت بها المسيحية انها قدمت للعالم نموذجا حيا كاملا للصفات الكاملة أخذ منذ ثمانية عشر جيلا يبث فى قلوب الناس محبة فائقة وقد برهن على قوة نفوذه »

وقال ستروس « ان المسيح باق الى الابد عنوان الدين الاسمى ونموذج الكمال المطلق »

وقال لنتيوس فى رسالة أرسلها الى القيصر « ان يسوع الناصرى مهوب تخرق نظراته القلوب. قدير على صنع العجائب متى أراد. محب لفعل الخير. وديع. لطيف. وقور. لم ير قط ضاحكا »

الفصل السابع

فى

سمو تعاليم السيد المسيح

لم يعاين العالم تعاليم معصومة من الزلل ومنزهة عن شوائب الضلال والخطل سوى تعاليم يسوع المسيح ربنا وكفاها فخراً انها أعلنت للبشر ما عجزت عنه سائر التعاليم الدينية الأخرى ، ليس الوثنية فقط ولكن اليهودية أيضا

فهى التى أوضحت للناس جليا ما هو الله وما هو الانسان وما هى نسبة الناس الى الله ونسبة بعضهم الى بعض . ثم نفت حب الذات والبغضة والانتقام وحثت على الطهارة القلبية وتجرد الاعمال من كل آفات العجب والافتخار . كل ذلك بطريقة لايمكن لاعظم الناس حكمة وحذاقة أن يأتى بمثلها . ومن ثم كان جديراً به ان يضع ديانة سامية صالحة لكل الشعوب . ملائمة لكل عصر من العصور . ثابتة غنية عن التغير والاصلاح كالديانة المسيحية التى لا تحاكيها ديانة اخرى فى قداسة اركانها وطهارة مبادئها وسمو شرائعها

وانك لو تصفحت الانجيل الذى يتضمن قواعد ومبادىء تلك الديانة الالهية لرأيت عليه روعة من الجلال والبهاء لا تراها فى مصاحف الأديان ولا كتب الفلاسفة والحكماء

سرح الطرف فى تلك الخطبة التى القاها جل شأنه على الجبل وهنالك تشعر كأنك فى حديقة ملأى بأحسن أنواع الازاهير ذات الارج الطيب

والعرف الزكي فتطيب نفسك وتتهلل روحك وترى السعادة محصورة في اقتطافك إحدى تلك الازاهير والتمتع بمنظرها البهي

دونك واحدة منها وهي القاعدة الذهبية القائلة : كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم ايضا بهم (مت ٧ : ١٢) فهي قاعدة لانظير لها في كتب البشر جمعاء حيث ذخرت فيها كل كنوز الحكمة والفلسفة فوافقت الذوق والعقل وأغنت عن كل قانون آخر دينيا كان أو دنيويا . ومن يحصر كل ما يحتاج اليه البشر من التعاليم التي تنفعهم دنيا وأخرى في قاعدة واحدة فانما هو الاله الكلي الحكمة

أما اذا رمت معرفة نكران الذات معرفة صحيحة وكيفية اعتزال الانانية ومحبة النفس التي طالما وقفت عقبة كأداء في سبيل تقدم الافراد والجماعات أو رغبت في معرفة الوسائل التي تستأصل شأفة الضغائن والاحقاد التي شوهت وجه الانسانية وصيرتها أميل للوحشية منها الى البشرية فاقرأ بامعان وترو تلك النصائح الغالية أو بالاحرى الدرر الكريمة التي مطلعها : أيها السامعون أحبوا أعداءكم . احسنوا الى مبغضيكم . باركوا لاعنيكم . صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم (لو ٦ : ٢٧) وهناك تجد ضالتك المنشودة

وإن تنس لا تنس مثل السامري الصالح الذي هو من أعجب ما سمعته آذان البشر حيث يعلمك ان تكون مستعداً دائما أن تظهر اللطف والمحبة والخلق الكريم للناس أجمعين . وأن تعمل الخير والاحسان مع كل أحد ولا سيما المتضايقين والبائسين دون ان تقتصر في هذا العمل الجليل على أقاربك وأصحابك وأهل وطنك وديانتك بل ساعد الجميع واصنع الخير مع الكل ولو كانوا من أشر الناس وألد الأعداء

هذا فضلا عن ان اسلوب تعليمه كان وحيداً فريداً في بابه فائقاً لأساليب كل من سواه في سائر العصور والدهور حيث كان ينظر الى كل ما يحيط به في العالم ويتخذ منه أمثلة وبراهين في غاية البساطة والمناسبة والدقة للكشف

عن أعمق الحقائق بأبسط العبارات وأقربها فهما بحيث يجد فيها الفيلسوف حكمة وبلاغة وسموا وتعمقا فى المعنى بينما يستطيع فهمها وادراكها ابسط الناس وأقلهم علما

ولدهشة نيقوديموس من سمو هذه التعاليم هتف متعجبا قائلا: يامعلم انك اتيت من الله معلما (يو ٣ : ٢) كما أن المتكلم فى سفر أيوب لابد وان يكون افتكر بهذا المعلم العظيم حين سأل : من مثله معلما صحيح المعرفة (أى ٣٦ : ٤ ، ٢٢)

ولم يشهد لسمو تعاليم المسيح أصدقاؤه فقط بل أعداؤه أيضا فجاء فى إنجيل يوحنا أن رؤساء الكهنة مرة أرسلوا اليه رجالا ليمسكوه غير أن هؤلاء الرجال لما سمعوا كلام المسيح تأثروا منه وتحققوا أنه يمتاز على كل من شاهدوه من الناس بأهمية مواضيعه وأسلوب تعبيره وأنه أعظم من معلمى الناموس وأسمى من رؤساء الكهنة فعادوا دون أن يقبضوا عليه، ولما سئلوا عنه قالوا : لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الانسان (يو ٧ : ٤٦)

ثم إنه بينما كان يعلم الشعب فى الهيكل ويفسر لهم النبوات المتعلقة به اندهشوا إذ سمعوه يتكلم كلاما غنيا غير معتاد وفائق الأدراك بل أحسن وأفضل من تعاليم علمائهم الذين قضوا السنين الكثيرة فى الدرس والمطالعة بينما هو لم يتعلم فى مدارس قط بقولهم : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم (يو ٧ : ١٥) وما كان أغناهم عن هذه الدهشة لو علموا أن المسيح ليس معلما عاديا بل هو الله الذى ألهم الأنبياء بما فى الكتب

وتظهر محاسن تعاليم ربنا يسوع المسيح وسموها واضحـــة على سائر تعاليم فلاسفة العالم وحكمائه المتقدمين والمتأخرين إذا أنعمنا النظر فيما يلى : ـ

(١) إنه لما رأى له المجد أن المحبة والمودة والمصافاة تصل بين النفوس

وترفع منها النفور وتقطع أسباب الشرور كما سبق وأوضحناه فقد نصحنا بقوله : أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم (مت ٥ : ٤٤)

(٢) ولما رأى أن الاهتمام المفرط والشره فى الحصول على الامور الدنياوية والتكالب عليها أصل لكل الشرور والمنازعات قال : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون . أنظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم باحرى أفضل منها (مت ٦ : ٢٥) أنظروا وتحفظوا من الطمع فانه متى كان لأحد كثيراً فليست حياته من أمواله (لو ١٢ : ١٥)

(٣) ولما علم أن الود يتم ويستمر بالمؤاساة أمر بالصدقة واصطناع المعروف بلا مفاخرة ولا رياء بقوله : اعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون نقيا لكم (لو ١١ : ٤١) ومتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك (مت ٦ : ٢)

(٤) ولما وجد أن الانقطاع عن الرذائل مما يؤدى الى التشبه بالله فقد حسم مادتى الشهوة والغضب لكونهما أصلا لسائر الرذائل بقوله : ان من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه (مت ٥ : ٢٨) وان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم (مت ٥ : ٢٢)

(٥) ولما نظر أن حب الرياسة يوجب المباغضة والمنافسة قطع أصله الذى هو الكبرياء بقوله : من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما (مت ٢٠ : ٢٦)

وهكذا من هذه التعاليم الصحيحة والمبادىء السليمة التى تستأصل شأفة الرذائل والنقائص

ولما كانت هذه التعاليم كلها لاتتم سرا وجهراً الا بالايمان بالقيامة العامة والمجازاة عن الخير والشر بمثلهما عنى أيضا باثبات هذه العقيدة عناية فائقة

بأقوال واضحة صريحة بعيدة عن كل شك وريب بقوله : فأنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٨)

ومما زاد تعاليم ربنا روعة وجلالا وميزها عن سواها هو عدم اكتفائه فيها بالقول بل أردفه بالعمل حيث دعم كلامه عن المحبة للاصدقاء والاعداء بتضحية ذاته الكريمة عن اعدائه ومحبيه . كما أنه أيد تعليمه فى الوداعة والتواضع بغسله أرجل تلاميذه . وبذلك أتم حد التعليم الصحيح الذى استطاع الفلاسفة أن يمدوه بالقول وعجزوا عن بلوغه بالفعل

وقصارى القول : هوذا تعاليم سيد الكل أمامك فاقرأ منها ما شئت وتأمل فيها بعين الحكمة والروية وبعدئذ احكم على صاحبها بما يمليه عليك وجدانك المجرد من الميل والهوى . وانا لا أظنك الا قانعا بأن المسيح هو ابن الله الحى

قد يزعم البعض أن تعاليم المسيح وإن كانت سامية وقيمة إلا أنها لم تكن جديدة فى بابها لأنه وجد فى ازمنة مختلفة من علموا تعاليم تحاكيها ولم تؤخذ دليلا على كونهم آلهة

فرداً على ذلك نقول انه مع عدم انطباق هذا الدليل المغلوط على تعاليم السيد المسيح السامية فاننا كنا نسلم به معهم لو كانت الوهيته تبرهنت بسمو تعاليمه فقط . اما والوهيته تبرهنت بأدلة عديدة مجتمعة كطهارة سيرته وسمو تعاليمه وآياته ومعجزاته ومقدرته على معرفة الغيب واسمائه والقابه الالهية الامور التى لم توجد مجتمعة فى شخص آخر غيره من البشر فإذن لا محل لهذا الاعتراض

ولنفرض أننا أثبتنا ألوهية المسيح له المجد بواسطة تعاليمه السامية فمن ذا الذى يجرؤ ويقول بان العالم رأى تعاليم تحاكى تعاليم المسيح وتماثلها وهوذا تعاليم أشهر الفلاسفة ملطخة بقبائح تنفر منها النفس الكريمة وبأباها

الطبع السليم

فأرسطو أباح للآباء قتل أولادهم إذا ضاق عليهم المعاش أو كانوا ذوى عاهات

وأفلاطون مدح المشاركة فى النساء والاولاد

وارستيبوس قال « انه يجوز للانسان أن يسرق ويزنى ويدنس ما هو مقدس كلما سمحت له الفرصة لانه لا شيء من هذه الأعمال قبيح فى نفسه بل انه يحسبها هكذا الجهال العاميون »

وسنيكا كان يبيح الانتحار عند حلول النوائب والخطوب الجسيمة بقوله « اذا كانت نفسك فى حزن وشقاء استطعت حالا ان تخلص منها فحيثما التفت ترى نهاية لذلك . هل ترى ذلك المهوى فهنالك المنجى . هل ترى ذلك البحر او النهر او البئر فالعتق فى قعرها . هل ترى تلك الشجرة الصغيرة فتحريرك متوقف عليها اى بانتحارك تعليقا ، فعنقك وحنجرتك طريقا انقاذ لك من عبودية كهذه ، وهكذا كل وريد فى جسدك »

فأين هذه التعاليم الفاسدة المنحطة من تلك التعاليم المقدسة السامية التى أعجب بها أشهر فلاسفة العالم ونظموا عقود المدح فى الترنم بمحاسنها

قال تستوى الفيلسوف المعروف « ان تعاليم يسوع لا يسبر غور فلسفتها العقل البشرى »

وقال الفيلسوف لوك « ان كمال كتاب المسيح وسموه لمما يدهش العقل ويقف عنده الفكر حائراً »

وقال دانيال وابستر « لا ريب عندى ان انجيل المسيح حقيقة إلهية لا شك فيها ولا يمكن أن تكون الموعظة التى القاها على الجبل من الاوضاع البشرية »

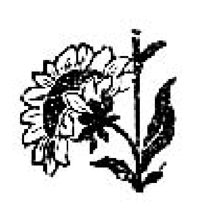
قال الفيلسوف ستورات «من من البشر يستطيع أن يخترع الأقوال المنسوبة للمسيح أو يتصـــور الحياة الشريفة والصفات السامية المعلنة فى الانجيل» .

قال جان جاك روسو «انى مقر بان جلال الاسفار المقدسة يشده عقلي وقداسة الانجيل تناجي قلبي ولها فيه وقع شديد» .

الخلاصة

حيث أننا قد رأينا الكتب السماوية تصف ربنا يسوع المسيح وترسمه كاملا بغاية الكمال ، أزليا غير متناه ، مدبرآ كل شيء بحكمته ، صانعا كل شيء بقدرته ، ماليا كل مكان بحضوره ، فاعلا كل شيء بجودته ، باغضا كل شر بقداسته ، مجازيا الفضيلة ، ومنتقما من الرذيلة

فأذن هو الاله الحق لأن هذه الاوصاف لا تنطبق الا على الله وحده



الباب الثامن

فى

الهرطقات التى قامت ضد لاهوت السيد المسيح

تمهيد

لقد قام ملحدون كثيرون وهراطقة مفسدون وشككوا فى لاهوت ربنا يسوع المسيح . منهم من كان فى القرون المتقدمة ومنهم من كان فى القرون المتأخرة . غير أن هرطقاتهم هذه لم تلبث أن تلاشت وزالت بتلاشاة أشخاصهم وزوالها لان ما بنى على غير أساس مصيره السقوط والانهيار والتلف والبوار

وأشهر من شك فى لاهوت المسيح هو (اريوس) الكافر المشهور

الفصل الأول

فى

هرطقة اريوس وقرار المجمع المسكونى الأول

اريوس

ولد هذا الشقى فى ليبيا وكان عالما ماهراً والكثرة علمه رسم قسا فى كنيسة الاسكندرية وعين مفسراً للكتب المقدسة . وفى ذات يوم بينما كان يعظ ابتدع فى الثالوث الاقدس بدعة وقال ان (ابن الله مخلوق) حاشا له من ذلك . واذ بلغت هذه البدعة الشنيعة مسامع البطريرك القديس بطرس خاتم الشهداء لم يلبث أن قطعه وفرزه من درجات الكهنوت وطرده من الاسكندرية . غير أنه لما أعتقل هذا البطريرك ووضع فى السجن بسبب الاضطهاد العنيف الذى اثاره الكافر دقلاديانوس خشى اريوس أن يبقى مقطوعا بعد موت البطريرك فطلب من وجوه الشعب ان يتوسطوا له لدى البطريرك ليمنحه الحل فلم يقبل بل زاده حرما بقوله : (فليكن أريوس محروما فى السماء وعلى الارض) ثم أوصى تلميذيه (ارشلا والاسكندروس) أن لا يقبلاه فى الكنيسة . وبعد أن استشهد القديس بطرس وتعين أرشلا خلفا له مال إلى قبول أريوس فى شركة المؤمنين غير أن المنية عاجلته فتوفى بعد ستة أشهر . ثم قام بعده الاسكندر فطرد اريوس من الكنيسة وزاد فى حرمه . وسبب ذلك ان البطريرك الاسكندر عند ما سمع ببدعة اريوس ألقى عظة على اقامة السيد للموتى مؤيداً بها سلطته الالهية ومساواته للآب والروح القدس ، وكان من بين الحاضرين الذين

سمعوا تلك الموعظـــة اللاهوتية اريوس الشقى فقال وهو جالس بين الحاضرين (ليس هذا تعليم الانجيل)

ثم اغتنم الفرصة فى الاحد الثانى ورد على رئيسه البطريرك فى موعظة بناها على قول السيد المسيح له المجد (أبى أعظم منى) ولما رأى الاسكندر تورط ذلك التعس فى الضلال نصحه ان يرفض هذا التعليم الفاسد فلم يقبل بل اصر على عناده وتمرده فعقد البطريرك مجمعا سنة ٣١٩ م وقطعه من شركة المؤمنين نهائيا . ومن ذلك الوقت اهتم البابا الاسكندر بمقاومة هذه المعتقدات الكفرية ودحضها . واذ كان شيخا ولم يستطع القيام بأعباء هذا العمل الخطـــير وحده قيض له الله شابا مشهوراً بالفصاحة ورشاقة الالفاظ هو اثناسيوس الرسولى البطريرك الاسكندرى بطل المسيحية وحامى لايمان القويم فاتخذه البطريرك الاسكندر سكرتيراً خاصا له وكاتما لاسراره وكان عمره وقتئذ اثنين وعشرين سنة وكانت رتبته الكنسية حينئذ (رئيس شمامسة) وكأن الله قد أقامه بتعيين خصوصى لمنازلة أريوس لأنه كان ذا فكر ثاقب وعقل راجح وبصيرة نيرة ومعرفة تامة بعلم اللاهوت . وبواسطة تأثيره ونفوذه اتخذ البطريرك صفة الحزم وعقد مجمعا ثانيا مؤلفا من مائة أسقف فى سنة ٣٢١ م وأيد حرم أريوس الذى توقع عليه سنة ٣١٩ م غير أن ذلك لم يثن عزيمة اريوس بل اتخذ كل الوسائل لنشر آرائه وتقوية حزبه فنظم الاناشيد وقصائد مملوءة بأشارات الاستخفاف بمقام السيد المسيح وبالثالوث الاقدس وعلمها للعامة

وبعد ذلك أخذ يسعى سعيا متواصلا حتى تقرب من الملك قسطنطين بواسطة أساقفة نيقوميدية ونيقية وخليكدون وشكوا له من البطريرك الاسكندر وأخبروه أنه قطع اريوس ظلما فأرسل الملك للبطريرك فحضر ولما مثل بين يديه استخبر الملك منه عن حال اريوس فقص له البطريرك قصته وكيف ان بطرس خاتم الشهداء قطعه وحرمه وأمر ألا يقبله أحد . فرأى

الملك قسطنطين أن يعقد مجمعا (١) عاما من جميع أساقفة العالم لتصدر الكنيسة كلها حكما بشأن لاهوت السيد المسيح باعتبار ان الاعتقاد بذلك هو الاساس الذى بنيت عليه الكنيسة فأصدر الملك منشوراً بحضور كل أساقفة العالم المسيحى فحضروا . وبما أنه لم تكن القسطنطينية قد بنيت بعد فاختار ولاة الامور لاجتماعهم نيقية عاصمة بثينية. وقد كان اعظم الحضور شأناً الاسكندر بابا الاسكندرية وهو البابا الوحيد فى ذلك العصر وكان يرافقه اثناسيوس شماسه وسكرتيره الخاص

وبعد ان انعقد المجمع ابتدأ اريوس الشقى يلقى مقالته الشنيعة على مسامع الآباء قائلا : (كان الآب اذ لم يكن الابن ثم أحدث الابن فصار كلمة له فهو مخلوق كمثل كل واحد ففوض الآب اليه كل سلطان فخلق السموات والارض)

فقال له الاسكندر : « قل لى ايما أوجب عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا» فقال اريوس «عبادة من خلقنا أوجب» فقال الاسكندر « ان كان الابن خالقنا كما عرفت وهو مخلوق فعبادته من عبادة الآب الذى ليس بمخلوق وتكون عبادة الخالق كفراً وضلالا لانه مخلوق على حسب قولك وهذا دليل قاطع على فساد ايمانك وقبح معتقدك » .

فصمت اريوس ولم يحر جوابا ولما أفحم بالبراهين العديدة السديدة التى قامت ضد معتقده الفاسد أمر الملك بحرمه وفرزه من المؤمنين فحرم سنة ٣٢٥ م . وكان الذين وقعوا الحرم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا . وهاك نص معتقدهم .

(نؤمن باله واحد ضابط الكل خالق السماء والارض مايرى ومالايرى ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو الآب فى

---

(١) كان هذا المجمع فى الغالب تحت رئاسة هوسيوس اسقف قرطبة

الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام من الاموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى فى مجده ليدين الاحياء والاموات الذي ليس لملكه انقضاء)

وبعد انعقاد هذا المجمع بخمسة شهور مرض الشيخ الوقور الصالح الاسكندر بابا الاسكندرية وتنيح فى ربيع سنة ٣٢٦ م ثم اختير اثناسيوس بطريركا خلفا له وبعد أن تبوأ اثناسيوس الكرسى الاسكندرى بمدة وجيزة أظهر الامبراطور قسطنس بن الملك قسطنطين رضاءه على اريوس لانه تظاهر بالتوبة والندامة رياء وخبثا غير أن اثناسيوس أبى قبوله فغضب الملك وامر بعقد مجمع فى مدينة صور فحكم ذلك المجمع الذى كان اكثر اعضائه من اخصام اثناسيوس بنفى هذا البطل العظيم فنفى ظلما وعدوانا وبعد ان صفا الجو للاريوسيين حاولوا ان ينصبوا اريوس مكان اثناسيوس فلم يقبل المؤمنون بل طردوه شر طردة فاستدعاه الملك الى القسطنطينية وكان بطريرك القسطنطينية وقتئذ شيخا جليلا تقيا من أخص انصار اثناسيوس يقال له الاسكندر فأمره الملك ان يقبل اريوس ليقدس على المذبح ويشترك معه فامتنع الاسكندر وقال ان ايمان اريوس مفسود لانه جعل الابن مخلوقا فكيف نقبله فى شركة المؤمنين . فقال الملك ان ايمان اريوس صحيح لانه ندم وتاب فقال البطريرك اذا كان الامر كذلك فليكتب ايمانه بخط يده ويقسم بالله فكتب ايمانه وهو يظهر غير ما يبطن ولما علم البطريرك خبث اريوس وخداعه ورأى انه لامناص من قبوله دخل الكنيسة وطرح نفسه على الارض باكيا وصلى إلى الله قائلا (إذا دخل أريوس كنيستك وقدس على مذبحك فاطلق عبدك من هذه الحياة . وإذا كنت تهتم بميراثك فاقبض أريوس عاجلا لئلا تدخل معه الضلالة إلى كنيستك)

وبعد أن صدر أمر الملك بقبول أريوس خرج ذلك الكافر من القصر يحيط به أصدقاؤه وحزبه وكان يحادثهم بكل سرور وانشراح ، غير أنه سرعان ما اعتزل عنهم فى مرحاض وترك خادمه واقفا بالباب وبعد برهة قرع الخادم الباب ولما لم يسمع جوابا فتحه فوجد أريوس ميتا مطروحا على الأرض وأحشاؤه منسكبة أمامه بشكل مريع وكان ذلك فى سنة ٣٣٦ م . وهكذا انتهت حياة ذلك الشقى الكافر غير ماسوف عليه .

تطبيق قانون الايمان على نصوص الكتاب المقدس

يتساءل البعض لم رتبت الكنيسة أن يتلى دستور الايمان فى كل صلاة . فجوابا على ذلك نقول : —

حيث أن هذا الدستور مستخرج جميعه من كتاب الله وبما أن التلاوة فى كتاب الله هى تعبد ، لذلك رتبت الكنيسة أن يصلى بهذا الدستور أسوة بالمزامير والأناجيل لا سيما وإنه تضمن كل ما يجب على الانسان أن يؤمن به من جهة خالقه ومن جهة نفسه واليوم الأخير وهاك تطبيقه :

(نؤمن باله واحد)

فاعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه (تث ٤ : ٣٩) لا تضطرب قلوبكم انتم تؤمنون بالله فآمنوا بى (يو ١٤ : ١) الرب الهنا رب واحد (تث ٦ : ٤) انا الرب وليس آخر لا إله سواى (اش ٤٥ : ٥) آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص انت واهل بيتك (اع ١٦ : ٣١) الله واحد هو (رو ٣ : ٣٠)

أنا الرب وليس آخر . لا إله سواى . نطقتك وانت لم تعرفني . لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها ان ليس غيرى . أنا الرب وليس آخر (اش ٤٥ : ٥ و٦) لايكن لك آلهة أخرى أمامى (خر ٢٠ : ٣)

وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته (يو ١٧ : ٣) لأن الله واحد هو الذى سيبرر الختان بالايمان والغرلة بالايمان (رو ٣ : ٣٠) لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الاشياء ونحن له (١ كو ٨ : ٦) كيف تقدرون ان تؤمنوا وانتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض والمجد الذى من الله الواحد لستم تطلبونه (يو ٥ : ٤٤)

(الآب الضابط الكل)

ابو اليتامى وقاضى الارامل الله فى مسكن قدسه الله مسكن المتوحدين فى بيت . مخرج الاسرى الى فلاح (مز ٦٨ : ٥ و٦) اله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم (اف ٤ : ٦)

الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته (عب ١ : ٣) لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الاشياء ونحن له (١ كو ٨ : ٦)

خالق السموات والارض مايرى وما لا يرى

فى ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها (خر ٢٠ : ١١) اقسم بالحى الى أبد الآبدين الذى خلق السماء وما فيها والارض وما فيها والبحر وما فيه (رؤ ١٠ : ٦) فانه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الارض مايرى وما لايرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق (كو ١ : ١٦)

انت هو الرب وحدك أنت صنعت السموات وسماء السموات وكل جندها والارض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد (نح ٩ : ٦) فى البدء خلق الله السموات والارض (تك ١ : ١)

(نؤمن برب واحد يسوع المسيح)

ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الاشياء ونحن به ١ كو ٨ : ٦ ويعرف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (فى ٢ : ١١) نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الأخوة آمين (غل ٦ : ١٨) الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح (رو ٥ : ١٧)

(ابن الله الوحيد)

الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر (يو ١ : ١٨) حقا كان هذا ابن الله (مت ٢٧ : ١٦) أنت هو المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٧) لانه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به (يو ٣ : ١٦) الذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله (مت ١٤ : ٣٣)

(المولود من الآب قبل كل الدهور)

أنت ابنى أنا اليوم ولدتك (مز ٢ : ٧) من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ١١٠ : ٣) لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام (اش ٩ : ٦) وأما أنت يا بيت لحم افراته وأنت صغيرة ان تكونى بين الوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل (مى ٥ : ٢) . كذلك المسيح ايضا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له أنت ابنى انا اليوم ولدتك (عب ٥ : ٥).

وحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقا (يو ١ : ١٤)

﴿ نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق ﴾

فقال لهم يسوع : النور معكم زمانا قليلا بعد فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام . ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور (يو ١٢ : ٣٥)

وهذه هي الدينونة ان النور قد جاء الى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لأن اعمالهم كانت شريرة (يو ٣ : ١٩) ثم كلمهم يسوع قائلا : أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة (يو ٨ : ١٢) خرجت من عند الآب وقد اتيت الى العالم وايضا اترك العالم واذهب الى الآب (يو ١٦ : ٢٨) . من عند الله خرج والى الله يمضي (يو ١٣ : ٣) . من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك (مز ١١٠ : ٣)

﴿ مساو للآب في الجوهر ﴾

أنا والآب واحد (يو ١٠ : ٣٠) في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله (يو ١ : ١) . الذي رآني فقد رأى الآب (يو ١٤ : ٩) كل ما للآب هو لي (يو ١٦ : ١٥)

أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين اعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن (يو ١٧ : ١١)

﴿ الذي به كان كل شيء ﴾

كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو ١ : ٣) بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها (مز ٣٣ : ٦) فانه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل (كو ١ : ١٦ و ١٧) . انت مستحق ايها الرب ان تأخذ المجد والكرامة والقدرة لانك أنت خلقت كل الاشياء وهي

بارادتك كائنة وخلقت (رؤ ٤ : ١١) كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شيء الذى به أيضا عمل العالمين (عب ١ : ٢)

(الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا)

لان المسيح اذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار (رو ٥ : ٦) الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا رو ٥ : ٨ الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا اجمعين رو ٨ : ٣٢ فان المسيح ايضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الاثمة لكى يقربنا الى الله مماتا فى الجسد ولكن محيي فى الروح (١بط ٣ : ١٨) لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية (يو ٣ : ١٦)

(نزل من السماء)

ليس أحد صعد الى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء (يو ٣ : ١٣) لانى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى ارسلنى (يو ٦ : ٣٨) الذى نزل هو الذى صعد أيضا فوق جميع السموات (اف ٤ : ١٠)

(وتجسد من الروح القدس)

أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس (مت ١ : ١٨) الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥)

(ومن مريم العذراء)

ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (اش ٧ : ١٤) ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة (غل ٤ : ٤)

(وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر)

ولكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم اما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة امام جازيها فلم يفتح فاه من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الاحياء انه ضرب من أجل ذنب شعبي وجعل مع الاشرار قبره ومع غنى عند موته على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش (اش ٥٣ : ٤ — ٩) لانه فيما هو قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين (عب ٢ : ١٨) فلما رأى بيلاطس . . . اخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع وأما يسوع فجلده واسلمه ليصلب . . فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح (مت ٢٧ : ٢٤ و ٢٦ و ٥٠) فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ووضعه فى قبره الجديد (مت ٢٧ : ٥٩)

(وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب)

ليس هو ههنا لانه قام كما قال (مت ٢٨ : ٦) وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب (١ كو ١٥ : ٤) ان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا ايمانكم (١ كو ١٥ : ١٤)

(وصعد الى السموات وجلس عن يمين الآب)

وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد الى السماء (لو ٢٤ : ٥١) ثم

ان الرب بعـــد ما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله (مر ١٦ : ١٩) وأما هو فشخص الى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله (اع ٧ : ٥٥)

«وايضا يأتى فى مجده ليدين الاحياء والاموات»

قال ابن الانسان سوف يأتى فى مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله (مت ١٦ : ٢٧) لان من استحى بى وبكلامى فبهذا يستحى ابن الانسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين (لو ٩ : ٢٦) وأوصانا ان نكرز للشعب ونشهد بأن هذا المعين من الله ديانا للاحياء والاموات (اع ١٠ : ٤٢) أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الاحياء والأموات عند ظهوره وملكوته (٢ تى ٤ : ١) الذين سوف يعطون حسابا للذى هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات (١ بط ٤ : ٥)

«الذى ليس لملكه انقضاء»

ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية (لو ١ : ٣٣) أعطى سلطانا ومجداً وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والامم والألسنة سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض (دا ٧ : ١٤) يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً آمين وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد (دا ٢ : ٤٤)

ونؤمن بالروح القدس الرب المحيى

لمـــاذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس . . . أنت لم تكذب على الناس بل على الله (اع ٥ : ٣ - ٤) وبينما يخدمون الرب ويصومون قال الروح القـــدس إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه (اع ١٣ : ٢)

ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى (مت ١٢ : ٣٢) لان الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد (١ يو ٥ : ٧) عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية (٢ كو ٣ : ١٧) أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم (١ كو ٣ : ١٦) نحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الاشياء الموهوبة لنا من الله التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس (١ كو ٢ : ١٢)

المنبثق من الآب

روح الحق الذى من عند الآب ينبثق (يو ١٥ : ١٦)

المسجود له مع الآب والابن

الله روح والذين يسجدون لله فبالروح والحق ينبغى ان يسجدوا (يو ٤ : ٢٤) فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد (١ يو ٥ : ٧)

الناطق فى الانبياء

لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١ : ٢١) وامتلأ زكريا ابوه من الروح القدس وتنبأ قائلا (لو ١ : ٦٧) لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربى اجلس عن يمينى (مر ١٢ : ٣٦)

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

ان لم يسمع منهم فقل للكنيسة وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار (مت ١٨ : ١٧) له المجد فى الكنيسة فى المسيح

يسوع الى جميع أجيال دهر الدهور آمين (اف ٣ : ٢١) ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا انثى لانكم جميعا واحد فى المسيح يسوع (غل ٣:٢٨) أيها الرجال احبوا نساءكم كما أحب المسيح ايضا الكنيسة (اف ٥ : ٢٥)

(ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا)

رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة (اف ٤ : ٥)

توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس (ع ٣ : ٣٨)

الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١بط ٣ : ٢١ و٢٢) دفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الاموات بمجد الاب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة (رو ٦ : ٤)

مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم ايضا معه بايمان عمل الله الذى أقامه من الاموات (كو ٢ : ١٢)

ان كان أحد لايولد من الماء والروح لايقدر أن يدخل ملكوت الله (يو ٣ : ٥) من آمن واعتمد خلص (مر ١٦ : ١٦)

« ونترجى قيامة الاموات »

وكثيرون من الراقدين فى تراب الارض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الابدية وهؤلاء الى العار للازدراء الأبدى (دا ١٢ : ٢) متى قاموا من الاموات لايزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة فى السموات وأما من جهة الأموات انهم يقومون أفما قرأتم فى كتاب موسى فى أمر العليقة كيف كلمه الله قائلا : انا إله ابراهيم وإله يعقوب ليس هو إله أموات بل إله أحياء (مر ١٢ : ٢٥ — ٢٧)

« وحياة الدهر الآتى آمين »

فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٩)

ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء (مت ٢٥ : ٣٢)

ان كان المسيح يكرز به أنه قام من الاموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات فان لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضــا ايمانكم (١ كو ١٥ : ١٢)

ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب فى الاسفار بحسب أعمالهم وسلم البحر الاموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الاموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب اعماله وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النار . هذا هو الموت الثانى وكل من لم يوجد مكتوبا فى سفر الحياة طرح فى بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٢ - ١٥)

الفصل الثانى

فى

الآيات التى يعترض بها على لاهوت

ربنا له المجد والرد عليها

يعترض بعض الملحدين على الوهية ربنا ببضع آيات يوردونها من الكتاب المقدس زاعمين أنها تؤيد رأيهم الفاسد . وما كان رأيهم هذا من الحقيقة فى شىء وانما جهلهم أو تجاهلهم علل وأسباب تلك الآيات هو الذى أوقعهم فى شرك ذلك المعتقد الخاطىء الذى طوح بهم إلى مهاوى الموت والهلاك . فلو بحثوا عن الحقيقة ووقفوا على العلل الصحيحة التى لأجلها وضعت تلك الآيات لنبذوا هاتيك الشكوك والاوهام الكاذبة جانبا ولقالوا كما قال بطرس الرسول بعد أن عرف حقيقة السيد المسيح له المجد . يارب الى من نذهب كلام الحياة الابدية عندك (يو ٦ : ٦٩)

أما تلك الآيات فهى : —

(١) وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب (مر ١٣ : ٣٢)

(٢) أبى أعظم منى (يو ١٤ : ٢٨)

(٣) لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله (مت ١٩ : ١٧)

(٤) الهى الهى لماذا تركتنى (مت ٢٧ : ٤٦)

(٥) انى أصعد الى أبي وابيكم والهى والهكم (يو ٢٠ : ١٧)
(٦) وظهر له ملاك من السماء يقويه (لو ٢٢ : ٤٣)
(٧) ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له واما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى (مت ١٢ : ٣٢)
(٨) واما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو ٢ : ٥٢)
(٩) ليس لى ان اعطيه الا للذين اعد لهم من ابى (مت ٢٠ : ٢٣)
(١٠) وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته (يو ١٧ : ٣)
(١١) أنا الكرمة وأبى الكرّام (يو ١٥ : ١)
(١٢) ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضا سيخضع للذى أخضع له الكل (١ كو ١٥ : ٢٨)

(١٣) فأخذ بيد الاعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئا فتطلع وقال أبصر الناس كأشجار يمشون ثم وضع يديه أيضا على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحا وأبصر كل شيء جليا (مر ٨ : ٢٣ — ٢٧)

(١٤) جاء فى انجيل يوحنا أن إخوة المسيح (أولاد يوسف من الزوجة الاولى) طلبوا منه ان يصعد إلى العيد فرفض بقوله : اصعدوا أنتم إلى هذا العيد : أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد لان وقتى لم يكمل بعد (يو ٧ : ٨) والحال أنه عاد فصعد الى العيد حيث قيل : ولما كان اخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضا الى العيد لا ظاهرا بل كأنه فى الخفاء (يو ٧ : ١٠) ومن هنا يظهر انه غيّر رأيه ، وتغيير الرأى ليس من شأن الاله

(١٥) الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة كو ١ : ١٥

هذه هي أشهر الآيات التي يعترض بها الملحدون على لاهوت المسيح له المجد . والآن نبدأ في الرد على كل منها فنقول :ـ

(الرد على الاعتراض الاول)

«واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب» (مر١٣ : ٣٢)

لا يخفى ان الآب والابن والروح القدس متساوون في العلم والحكمة ، وما يعلمه احدهم يعلمه الآخر ايضا . وحيث ان الآب يعرف ذلك اليوم فاذن يعرفه الابن بالبداهة لانه قال : كل ما للآب هو لي (يو ١٦ : ١٥) وقال : أنا والآب واحد (يو ١٠ : ٣٠) فكيف يكون كل ما للآب له ان كان ليس له معرفة يوم الدينونة ؟ وكيف يكون هو والآب واحد بالجوهر إذا كان لا يمتلك معرفة الآب وعلمه ؟ هذا فضلا عن أنه قيل عنه أنه : يعلم كل شيء (يو ٢١ : ١٧)

وأوضح أن في هذه العبارة حد الاعتراف له بالالوهية الكاملة لأن احاطة العلم بكل شيء لا تكون الا لله وحده

ثم زاد على ذلك بأن عرف كل ما يحدث في هذا اليوم ووصفه وصفا دقيقا يؤخذ منه ان ذلك اليوم مكشوف وظاهر أمام عينيه (أنظر مت ٢٤ : ٢٩ – ٣٢) إذن ينتج مما ذكر أن المسيح له المجد يعلم ذلك اليوم حق العلم

أما قوله ان الابن لا يعلم ذلك اليوم فيحتمل ثلاثة معان وهي :ـ

أولا — أنه لا يعلمه علم من يشهره على الناس ويبلغه لهم لانهم لو عرفوا انه بعيد لغفلوا عن الاستعداد له واهملوا السهر والانتظار . ولو عرفوا أنه قريب لخافوا فعجزوا عن القيام بما يجب عليهم

ثانيا — انه بقوله ولا (الابن) لم ينكر عدم معرفة ذلك اليوم لا بلاهوته ولا بناسوته ولكنه أنكر كون هذه المعرفة مصدرها الناسوت

وحده دون اللاهوت إذ ان المراد (بالابن) هنا الانسان المأخوذ منا كما قال القديس اثناسيوس

ثالثاً — انه بقوله ولا (الابن) لم يقصد بذلك انه يجهل ذلك اليوم وانما قصد معنى آخر وهو : —

لا يخفى ان الافعال الالهية الخارجة وان كانت مشتركة ما بين الاقانيم الثلاثة إلا أن بعضها ينسب لأقنوم الاب وبعضها لأقنوم الابن وبعضها لأقنوم الروح القدس. فأفعال القدرة والتدبير تنسب للاب والحكمة والفهم للابن. والجودة والتعزية للروح القدس. وحيث أن معرفة يوم الدينونة ورسمه هو من فعل التدبير الالهي فهو يختص بالآب

غير ان ذلك لا ينفى اشتراك الابن والروح القدس معه كما ان نسبة التعزية للروح القدس لا تنفى نسبتها للآب والابن واختصاص وظيفة الدينونة بالابن لا ينفى نسبتها للثالوث الاقدس (راجع يو ١٥ : ٢٦ و ١٤ : ١٦ و ٥ : ٢٢)

مع العلم أن السيد لم يقل ان ابن الانسان فقط لا يعرف يوم الدينونة بل قال لا يعرف ذلك اليوم (الا الآب)

وبهذا التعبير حقق بحسب الحرف انه تعالى لم ينف عن نفسه فقط هذه المعرفة بل نفاها عن الروح القدس أيضاً والحال أن الروح القدس يفحص كل شيء حتى أعماق الله (١ كو ٢ : ١٠)

ومن ثم يتضح لنا أن السيد لم يقصد بهذا التعبير نفى المعرفة عنه بل قصد أن هذا الأمر من الامور المختصة بالاقنوم الاول فقط كما سبقت الاشارة

« الرد على الاعتراض الثانى »

« أبى أعظم منى يو ١٤ : ٢٨ »

ان السيد المسيح له المجد بقوله : أبى أعظم منى . لا يقصد بذلك الطبيعة الآلهية ولكنه قصد الطبيعة الانسانية فقط من حيث قبولها الصلب والآلام والاهانة والاحتقار كما قال بولس الرسول : الذى إذ كان فى صورة الله لم

يحسب خلسة أن يكون معادلا لله . ولكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٧)

قال القديس اثناسيوس ، ان المسيح وقتئذ كان متكلما بالطبيعة الانسانية كانسان ولهذا بكل حق نظراً الى ذلك الله الآب اعظم منه ، وقال القديس كيرلس ، ليس اصغر من الآب بذات الجوهر والمشابهة التامة من كل وجه بل أنه اصغر منه بذات الناسوت ،

ومما يبرهن على صحة هذا المعنى هو أن قوله (أبى أعظم منى) جاء عقب قوله (لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بمضى الى الآب) وكأنه يقول (يا تلاميذى افرحوا بمضى الى الآب كما أخبرتكم ولا تحزنوا لتركى هذا العالم لأن وجودى فيه كانسان صيرنى عرضة للآلام والاهانات حتى صار ممكنا أن يقال إن أبى أعظم منى)

فاذن لم يقصد السيد بهذا القول إظهار فارق بينه وبين الآب من حيث الجوهر والعظمة والقدرة وسائر الكمالات الالهية ولكنه قصد فقط تعزية تلاميذه لفراقه لهم بأن وجوده فى السماء وجلوسه عن يمين العظمة اكثر رفعة ومجداً له من وجوده بين أهل العالم الذين إذ نظروه فى صورة انسان اهانوه واحتقروه ولم يقدموا له الكرامة اللائقة بجلاله الالهى

اما مساواته للآب فقد صرح بها جل شأنه فى مواضع شتى منها قوله فى ليلة آلامه : أيها الآب مجد ابنك ليمجدك ابنك ايضا (يو ١٧ : ١) وفى قوله هذا دليل قاطع على مساواته للآب إذ لا يمكن لمخلوق كائنا من كان ان يقف امام خالقه ويقول له مجدنى فأمجدك (انظر يو ٥ : ١٨ و ١٤ : ٩)

﴿ الرد على الاعتراض الثالث ﴾

« لماذا تدعونى صالحا مت ١٩ : ١١ »

ان ربنا له المجد بقوله لماذا تدعونى صالحا ليس صالح الا الله وحده .

لم ينف انه معلم ولا انه صالح ولا انه إله لأنه لم يقل انى لست بصالح بل قال ليس صالح إلا الله وحده والحال انه هو الله اذن فهو صالح وانما اجاب بهذا الجواب للعلة الآتية وهى : —

ان ذلك الانسان كان يعتقد ان المسيح له المجد مجرد انسان ثم لقبه بالالقاب المختصة بالله على سبيل المديح والاطراء فقط كما اعتاد اليهود ان يخاطبوا رؤساءهم الدينيين بهذا اللقب اذ كان بالغ ميل هؤلاء الرؤساء الى المجد والرفعة مبلغا أرغم الناس على وصفهم بالصفات والكمالات المختصة بالله جل شأنه فاغتنم ربنا هذه الفرصة كما هى عادته الرشيدة لكى ينبه اولئك القوم على تلك العادات الذميمة ليقلعوا عنها بقوله لهذا الانسان (لماذا تدعونى صالحا وليس صالح الا الله وحده) وكأنى به يقول له ان كنت تعتقد انى مجرد انسان فلا تدعونى صالحا كما اعتدتم ان تلقبوا رؤساءكم بهذا اللقب لان الصلاح لله وحده . اما ان كنت تعتقد انى الاله الحق فأنت محق صادق فى قولك واستعمالك لهذا اللقب فى محله لانى انا هكذا . فاذن لم يتكلم السيد عن نفسه وبالتالى لم ينف الالوهية والصلاح عنه بدليل أنه لقب نفسه بهذا اللقب عينه الذى لقبه به هذا الانسان أكثر من مرة بقوله : أنا هو الراعى الصالح (يو ١٠ : ١١ و ١٤)

ومما تجب ملاحظته هنا أن خطاب السيد لتلاميذه فى هذا الموضوع كان بخلاف خطابه لهذا السائل فقال لتلاميذه : أنتم تدعونى معلما وربا وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك (يو ١٣ : ١٣) وسبب قوله هذا لتلاميذه أنهم كانوا يعتقدون فيه انه الاله الحق ومن ثم شكرهم على دعوتهم إياه (ربا) (١) . وأما هذا السائل فلأنه لم يعتقد إنه هو الاله الحق فلذلك وبخه على دعوته إياه معلما صالحا . لأنه تقدس إسمه كان يجيب الناس بحسب نياتهم لا بحسب ظاهر كلامهم

---

(١) ذكرت فى بعض النسخ (سيدا)

﴿ الرد على الاعتراض الرابع ﴾
« إلهي إلهي لماذا تركتني مت ٢٧ : ٤٦ »

قال القديس بطرس السدمنتي في شرحه لهذه الآية .

(ان قوله إلهي إلهي لماذا تركتني لم يكن عن ضعف ولا كان لمفارقة اللاهوت للناسوت ولا كان لطلب المساعدة والمعونة ولكن كان القصد التعليم والتدبير)

اما التعليم فلكي نلجأ إلى الله تعالى في وقت الشدائد ونرغب اليه في النجاة منها لانه قال : تعلموا مني (مت ١١ : ٢٨) ومثالا اعطيتكم (يو ١٣ : ١٥)

واما التدبير فيعلمنا انه إله متأنس وإنه تألم عنا حقا لا على سبيل الخيال . فلو لم يستعمل هذه الالفاظ لتوهموه خيالا وظنوا ان اللاهوت تشكل بصورة انسان كما زعم ماني ومرقيان

ويحتمل ايضا ان سيدنا نطق بهذا القول ليذكر اليهود بما ورد في المزمور الثاني والعشرين . لان علماءهم كانوا يعتقدون ان ما ورد في هذا المزمور يحمل على مسيا المنتظر فكان قوله هذا بمنزلة اشارة وتنبيه وأمر بقراءة هذا المزمور ليعلموا ان معاملتهم اياه وقتئذ انما هي عينها التي سبقت الانبياء فأنبأت بها وهو اتى مكملا لها . والدليل على ذلك أنه لما شرب الخل قال : كمل الكتاب (يو ١٩ : ٣٠)

والخلاصة أن قوله إلهي إلهي لم يجر مجرى الاستغاثة اللازمة للضعف ولكنه جرى مجرى الرمز والتنبيه لما ورد في ذلك المزمور

وهناك رأي آخر أيضا وهو ان قول ربنا يسوع المسيح على الصليب (إلهي إلهي لماذا تركتني) هو صادر على سبيل التعجب من أنه كيف يسمح الله الآب ويترك ابنه الوحيد لمثل هذه الآلام المبرحة وعار الصليب حبا في أناس خطاة ذوي طبيعة فاسدة

«الرد على الأعتراض الخامس»

أني أصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم (يو ٢٠ : ١٧)

لا يخفى أن الابوة لفظ مشترك بين الابوة بالطبع والابوة بالوضع فأبوة الآب للسيد المسيح هي طبيعية أزلية لأنه مولود منه قبل كل الدهور (مز ٢ : ٧ واع ٥:٥) أما أبوته للتلاميذ فهي أبوة الوضع والنعمة والفضل والخلق كما قال اشعيا النبي . الآن يارب انت أبونا نحن الطين وانت جابلنا (اش ٦٤ : ٨)

أما قوله (الهي) فلا يصح عليه إلا من جهة كونه انسانا فقط أما عن التلاميذ فيصح على اطلاقه لانه خالقهم ورازقهم وبيده حياتهم

والدليل على صحة هذا الشرح هو أنه لم يساو نفسه بالتلاميذ ويقول (ابونا والهنا) بل قال (أبي وأبيكم) ليجعل فرقا بينه وبينهم حتى لا يظن أنه مساو لهم

«الرد على الاعتراض السادس»

وظهر له ملاك من السماء يقويه (لو ٢٢ : ٢٦)

ذكر القديس بطرس الدمشقي جملة آراء للعلماء في شرح هــــذه الاية فقال : ـ

(زعم قوم أن هــــذا الملاك ظهر باختياره لاعانة السيد وهو جاهل أمره وذلك لأنه رآه مصليا طالبا لاقالة ما عساه ان يقع به . ولما كان من شيم الملائكة التحنن والرأفة اذ قد رتبوا من الله لاعانة من كان في شدة فلذلك ظهر له هذا الملاك راغبا في اعانته وهو لم يدع لذلك)

(وقال قوم ان هذا الملاك كان ملازما للسيد منذ التجسد الى حين الصعود وكان عارفا بحاله معرفة جيدة ورأى بذاته المعجزات التي صنعها له المجد وتحقق اقتداره وسلطانه الفائق ولم ير منه ضعفا او خوفا أو احتياجا الى مساعدة ما . ولما رآه في ذلك الحين يسأل الاقالة استغرب واندهش وبادر

مسرعا قاصداً اعانته من غير ان يتحقق هل هو محتاج اليه فى ذلك أم لا)

(وقال قوم شاءت العناية أن يظهر هذا الملاك من السماء وقت صلاة السيد ليعلمنا ان ملائكة السماء مرتبون من قبل الله لاعانة من كان فى شدة لا على أن السيد المسيح كان محتاجا اليه لان نص الانجيل يقول (ظهر له ملاك ليقويه) ولم يقل أنه قواه (وهنا حل الأشكال)

واذا اعتبرنا حال هذا الملاك اعتباراً تاما لوجدناه قريبا من حال بطرس الرسول . فبطرس لما رأى الجند مقبلين على السيد استصعب ذلك جداً وأظهر من الحمية والغيرة ما كان يليق به كخادم مخلص لسيده فاستل سيفه ورام المقاتلة عنه مع ما كان يعلمه من اقتدار سيده وعدم الاحتياج اليه . وهكذا هذا الملاك لما رأى السيد تعبا قلقا على خلاف العادة رام مساعدته إخلاصا منه لسيده غير ان سيده لم ير حاجة فى استخدامه استخداما يليق بالضعفاء . فبطرس والملاك إذن يشكران على مافعلاه والسيد أيضا يمجد لانه اثبت بالقول والفعل انه غير محتاج اليهما

(الرد على الاعتراض السابع)

من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له واما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى (مت ١٢ : ٣٢)

لايستدل من هذه الآية على أن الابن أحط شأنا من الروح القدس لان الاقانيم الثلاثة متساوون فى جميع الكمالات الالهية . غير ان من جدف على الابن وهو فى صورة إنسان على الارض كأن يقول عنه انه سامرى او مضل او اكول او محب للعشارين . فهذه الخطايا يلتمس لصاحبها عذر بالنسبة لاحتجاب لاهوت السيد عن اعين الناس بشرط أن يقدم صاحبها توبة قلبية

أما الروح القدس فلأن من وظيفته الانارة والارشاد والتجديد

والاتيان بالخاطيء الى الله (اع ٨ : ٢٩ و ١٠ : ١٩ و ١٣ : ٤ و ١٦ : ٦) فمن جدف عليه عمداً بعد أن رأى أعماله الالهية ونسبها للشيطان كما فعل الكتبة والفريسيون فذلك الجدف لا غفران له لان مقاومته لروح الله عمداً جعلته ان يفارقه ويتركه لنفسه . ومتى ترك الانسان لطبيعته الفاسدة أوصدت فى وجهه أبواب التوبة والغفران

مع العلم ان من جدف على الروح القدس بعد أن رأى اعماله كالتى رآها اليهود ونسبوها للشيطان يعتبر مجدفا على المسيح ايضا ويعد من الذين لامغفرة لهم لان هذه الاعمال كشفت لاهوت المسيح الذى كان محتجبا بالجسد فصار المجدفون عليه بلا عذر اسوة بالمجدفين على الروح القدس

وهناك رأى آخر وهو (ان السيد بقوله : من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له وأما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له) كأنه يقول من اخطأ ضد ناسوتى وجدف عليه بقوله عنه أنه (انسان اكول وشريب خمر) أو ما شابه ذلك فيغفر له لانه لم يسيء بارادته بل قد جدف عن جهله بالحقيقة . واما الذى يشاهد افعالى ومعجزاتى التى لا يستطيع ان يصنعها الا الله وحده وينسبها الى قوة بعلزبول (مثلا) فيجدف على الروح القدوس اى على اللاهوت لانه اعتبر اسم الروح القدس من حيث دلالته على الذات التى تصدق على الثالوث كله . لان كل اقنوم منه روح قدس

ومن الواضح ان من فعل ذلك فقد اساء باختياره وارادته واهان الله عن معرفته فأخطأ بلا عذر فكان خطاه لا غفران له

(الرد على الاعتراض الثامن)

اما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو ٢ : ٥٢)

لا يخفى ان ربنا يسوع المسيح كان إلها متأنسا ولهذا اعتاد الكتاب ان يصفه احيانا كانسان من جهة الناسوت واحيانا يصفه كإله من جهة

اللاهوت . فقول الكتاب هنا انه كان يتقدم فى الحكمة هو وصف له بالنسبة لناسوته وليس بالنظر للاهوته . فالحكمة خاصة بنفسه والقامة خاصة بجسده

اما معنى تقدمه فى الحكمة . اى انه كان يعلن للناس ظاهراً كنوز الحكمة المخفية فى نفسه شيئاً فشيئاً وبهذا كان يظهر لهم انه ينمو بالحكمة

قال القديس اثناسيوس (ان ناسوت المسيح ازداد حكمة من الكلمة وقتاً بعد وقت وقد كان له جسد بشرى واختبر فى حياته كل احوال البشر فكان طفلا فصبيا فشابا فرجلا)

(الرد على الاعتراض التاسع)

« ليس لى ان اعطيه إلا الذين اعد لهم من ابى » (مت ٢٠ : ٢٣)

جاء فى مواضع شتى من الانجيل أن الدينونة للمسيح وحده وهو المجازى عبيده على مايفعلون ان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً حيث قيل : لان الآب لا يدين أحداً بل أعطى كل الدينونة للابن (يو ٥ : ٢٢ ومت ٢٥ : ٣٠) ولا يمكن أن يكون الابن دياناً للناس وليس فى وسعه مجازاتهم لان ذلك لا ينطبق على المنطق ولا يسلم به العقل السليم . قال بولس الرسول : واخيراً وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا (أى المسيح) (٢ تى ٤ : ٨) ومن هنا يستدل على أن الذى يدين هو نفس الذى يهب المجازاة . وقال جل شأنه عن نفسه : ها أنا آتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله (رؤ ٢٢ : ١٢)

اذن ليس المراد من قوله (ليس لى أن أعطيه) نفى المقدرة عنه على اعطاء الثواب والمجازاة لمستحقيها بل قال ذلك لأمرين :—

أحدهما — توبيخا لأم ابنى زبدى التى كانت تزعم أن مجرد قرابتها للقديسة مريم يحمل السيد على اعطائها ما تروم لابنيها وكأنه يقول لها أيتها

المرأة كفى عن طلبك هذا ولا تلحى للحصول عليه لأنه ليس لى أن أعطيه لابنيك لصلة القرابة ولكنه يعطى لمن يستحقه بأعماله الصالحة

والأمر الاخر — هو أن السيد بقوله (بل للذين أعد لهم من أبى) لم يقصد بهذا القول أنه لم يعد حقيقة لتلاميذه مع ابيه وروح قدسه الملك السمائى بل لأن ذلك يخص الاب وحده

لأنه وان كانت جميع أفعال الثالوث الخارجية مشتركة ما بين الاقانيم الثلاثة إلا ان بعضها ينسب لاقنوم الآب وبعضها ينسب لأقنوم الابن ، وبعضها لأقنوم الروح القدس

فأفعال القدرة والتدبير تنسب للآب ، والحكمة للابن ، والمواهب للروح القدس، والحال أن أعداد الملك هو انتخاب ، والانتخاب هو فعل التدبير ينسب للاب . فاذن اعداد الملك ينسب للاب ، لا لأن الابن والروح القدس لا يشتركان معه ، ولكن لان ذلك يخص الاب وحده

(الرد على الاعتراض العاشر)

وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته (يو ١٧ : ٣)

لا يؤخذ من هذا النص تخصيص الألوهية بالاب وحــده دون الابن والروح القدس لان الثلاثة واحد كما مر بنا فى مواضع شتى ولكن المقصود به تخصيص الالوهية بالاله الحق ونفيها عن الأوثان والالهة الكاذبة فقط . لانه من المقرر فى القواعد اللاهوتية ان الحصر فى الذوات فى الكلام على احد الاقانيم الالهية لايخرج غيره من الاقانيم بل ما هو سواهم أما فى الصفات الاقنومية كقولك الاب وحده والد . والابن وحده مولود ، والروح القدس وحده منبثق ، فان الحصر فى واحد منهم يخرج الآخر ، ومن ثم فمثل هذا التعبير وهو « انت هو الاله وحدك » لا يخرج الابن ولا الروح القدس من الالوهية لاستوائهما معه فى الذوات ، كما ان حصر الالوهية فى السيد المسيح حسبما هو فى « يهوذا ١ : ٢٤ » لم يخرج الاب

ولا الروح القدس من الالوهية لاستوائهما معه فى الذات

ومن يمعن النظر فى هذا النص من بدايته يراه مؤيداً لألوهية السيد لا ناقضا لها ، حيث ينص على ان الحياة الابدية لا تقوم الا بمعرفة الاب ويسوع المسيح معا. وواضح أن من تقوم الحياة الأبدية بمعرفته لايمكن أن يكون انسانا ولا ملاكا بل إلها قادراً على ايهاب تلك الحياة واعطائها لمن يؤمن به .ولا يخفى ان المسيح هو مصدر الحياة ومنبعها بدليل قوله : انا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيـــا ومن كان حيا وآمن بى فلن يموت الى الأبد (يو ١١ : ٢٦)

وحيث أن المسيح له المجد هو مصدر الحياة ومانحها لمن يعرفه ويؤمن به فاذن هو الاله الحق ويحسن أن يقرأ النص هكذا « انت وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته الاله الحق »

(الرد على الاعتراض الحادى عشر)

« انا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام » (يو ١٥ : ١)

يعترض البعض بهذه الآية على لاهوت المسيح له المجد فيقولون الكرمة والكرام يكونان مختلفين طبعا والحال أن المراد بالكرام الآب والكرمة المسيح فاذن المسيح يختلف عن الآب طبعا وليس إلها . فنقول ان المسيح هو الكرمة بالنظر الى الطبيعة البشرية وهذه بلا شك تختلف عن الآب

(الرد على الاعتراض الثانى عشر)

« ومتى اخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه ايضا يخضع للذى أخضع له الكل » (١ كو ١٥ : ٢٨)

يقول المعترض حيث ان الابن سيخضع للآب فهو ليس مساويا له لان الذى يخضع لغيره لايكون إلها

فرداً على ذلك نقول ان هذا النص لايدل على عدم مساواة الأبن للآب بل معناه بالايجاز هو : —

انه متى خضع كل شيء للابن فالابن ايضا بحسب كونه انسانا يخضع هو وكنيسته لله الآب ويحمدونه ويسبحونه الى الابد

(الرد على الاعتراض الثالث عشر)

«فأخذ بيد الاعمى وأخرجه الى خارج القرية وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئا فتطلع وقال أبصر الناس كأشجار يمشون ثم وضع يديه أيضا على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحا وأبصر كل شيء جليا » (مر ٨ : ٢٣ -٢٥)

يلوح للبعض من عمل هذه المعجزة تدريجيا لا دفعة واحدة أن المسيح له المجد أخفق على نوع ما فى بادى الأمر لأن الاعمى لم يستطع أن يميز بعض المرئيات من بعض فنظر أشباحا ظنها من كبرها أشجاراً ومن حركاتها تحقق أنها أناس . ولكن لو علمنا أن سبب ذلك هو ضعف إيمان الرجل المريض وليس ضعف قوة المسيح الشافية لزال الشك والريب من قلوبنا . لان الشفاء لا يسبق الايمان بل يسير معه ويكمل مع كماله . أى أن المريض لا يتم شفاؤه إلا إذا تم إيمانه

(الرد على الاعتراض الرابع عشر)

جاء فى انجيل يوحنا ان اخوة المسيح (اولاد يوسف من الزيجة الاولى) طلبوا منه ان يصعد الى العيد فرفض بقوله : اصعدوا انتم الى هذا العيد . انا لست اصعد بعد الى هذا العيد لان وقتى لم يكمل بعد (يو ٧ : ٨) على انه عاد فصعد الى العيد حيث قيل : ولما كان اخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو ايضا الى العيد لا ظاهراً بل كأنه فى الخفاء (يو ٧ : ١٤)

ومن هنا يظهر أنه غير رأيه وتغيير الرأى ليس من شأن الاله

فرداً على ذلك نقول أن ربنا لم يغير رأيه مطلقا ولم يعمل قط بخلاف ما تكلم وانما اخوته طلبوا منه ان يصعد الى العيد لا لفائدة الناس وتمجيد اسمه تعالى وانما ارادوا بذلك اكتساب المجد لانفسهم ، حتى اذا عرف فى اورشليم وظهر انهم اقاربه فيكرمهم الناس ويجلونهم . والدليل على ذلك

قولهم له : لانه ليس احد يعمل شيئا فى الخفاء وهو يريد ان يكون علانية (يو ٧ : ٤)

ولما كان جل شأنه فاحصا القلوب ومطلعا عليها رفض ان يصعد الى العيد لهذه الغاية . غير انه بعد أن صعدوا هم وانتصف العيد صعد هو حسب مسرته ومشيئته الصالحة ولذلك قيل : ولما كان اخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو ايضا للعيد لا ظاهراً بل كأنه فى الخفاء (يو ٧ : ١٤)

ويحتمل ايضا انه قصد بقوله انى لا اصعد بعد الى هذا العيد ، لا رفضا للصعود على اطلاقه ، وإنما رفض الصعود فى الايام الأولى للعيد فقط . ويؤيد هذا الرأى قوله تعالى رداً على طلبهم : ان وقتى لم يحضر بعد وأما وقتكم ففى كل حين حاضر (يو ٧ : ٦) وذلك لان لكل عمل عنده وقتا معينا

(الرد على الاعتراض الخامس عشر)

« الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة » (كو ١ : ١٥)

يعترض الاريوسيون على لاهوت السيد المسيح بهذه الآية قائلين : (حيث ان المسيح هو بكر جميع الخليقة فهو أخ لها ومخلوق مثلها لأن بكر الاخوة من كان أخا لهم وأقدمهم مولداً)

غير أنهم قد ضلوا فى ذلك ضلالا عظيما لأن اعتراضهم باطل ومنقوض لاسباب ثلاثة :-

اولا : ان لفظة بكر هنا بمعنى مولود أولا كما وردت فى أصلها اليونانى . وعلى ذلك يكون معنى الآية ان المسيح بكر جميع الخليقة فى المولد لا فى الخلق أى أنه مولود من الآب قبل سائر المخلوقات . وليس من ينكر أن ابن الله مولود من الآب منذ الازل قبل الخليقة كلها

ثانيا : من قول الرسول الوارد فى صدر هذه الآية وهو (الذى هو صورة الله غير المنظور) ومعنى ذلك ان المسيح مشابه للآب ومساو له مساواة تامة فى الجوهر والطبع . ومن كان هكذا فلا يصح أن يكون مخلوقا كسائر المخلوقات

ثالثا : من قول الرسول أيضا فى الآية التالية وهى (فانه فيه خلق الكل) وإذا كان المسيح خالق الكل فكيف يعقل أن يكون مخلوقا وأخا للخليقة ؟

اذن المراد بقول الرسول ان المسيح (بكر كل خليقة) أى انه جل شأنه أقدم سائر الموجودات من حيث أنه مولود من الآب قبل كل الدهور. وقد شرح القديس كيرلس هذا النص بقوله « اما المقصود بصورة الله غير المنظور فهو كلمة الآب الذى ظهر من جوهره . وأما البكر فلأنه صار انسانا ومن بين أخوة كثيرين »

* * *

هذه هى أهم اعتراضات المعترضين على لاهوت ربنا له المجد . وقد تبين من الردود عليها أنها لم تكن سوى افتراءات باطلة وتخرصات كاذبة لم تؤثر على الحقيقة بشىء ما بل بالرغم من كثرة المرددين لها وظهورهم فى كل مكان وزمان فان نتيجتها لم تكن الا كالنتيجة التى أحرزها أمثالهم من الأمة اليهودية قديما أولئك الذين رغم اماتتهم اياه موتا مهانا لكى يشينوا سمعته ويلاشوا ملكه ويخفوا ذكره ويمنعوا الناس عن قبول الايمان به . ثم ادعائهم عليه بأنه مجنون (يو ٨ : ٤٨) وأنه رجل خاطىء (يو ٩ : ٢٤) وانه ببعلزبول يخرج الشياطين (مت ٩ : ٣٤) فانه بمقدار ما أفرطوا فى تلك التهم الباطلة والافتراءات الكاذبة تعاظمت سمعته ولمعت قداسته وأثارت الجميع لقبول الايمان باسمه (يو ١٢ : ٣٢)

الباب التاسع

فى

عمل الاقنوم الثانى تقدس اسمه

(تجسده وصلبه)

تمهيد — للاقانيم الالهية أعمال عامة كالخلق ، وأعمال خاصة كالتجسد .

وبما أن معرفة هذه الاسرار لايستطيع أن يدركها عقل بشرى كما قال جل شأنه : ليس أحد يعرف الابن الا الآب ولا أحد يعرف الاب الا الابن (مت ١١ : ٢٧)

لهذا كانت معرفتنا بتلك الاسرار قاصرة على ما أعلنه لنا الكتاب المقدس فقط

وبما أن الكتاب قال : والكلمة صار جسداً (يو ١ : ١٤) فاذاً الذى تجسد هو الاقنوم الثانى وحده

ولقد كان لائقا أن يتجسد الابن دون الأقنومين الآخرين لأن هذا الاقنوم يدعى أقنوم الكلمة أو النطق ولما كان النطق هو سبب اتصال الانسان بالله لذلك لاق بهذا الاقنوم جل شأنه ان يتجسد ويظهر للناس . قال بولس الرسول : الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه (عب ١ : ١و٢)

ثم ليبقى كل اقنوم على حالته الخاصة به فلا يكون الآب ابنا . ولا الروح القدس ابنا . لئلا يحصل للخواص الجوهرية تغيير او تبديل وهى

منزهة عن ذلك فوجب الائتلاد لمن له خاصة الولادة فقط ، وهو الابن المولود من الآب قبل الدهور

أما فعل التجسد فكان مشتركا بين الاقانيم الثلاثة فالروح القدس هيأ جسد المسيح فى بطن القديسة مريم والآب أرسل الابن . غير أن إرسال الآب للابن لم يكن كارسال المولى خادمه لان الابن مساو للاب فى السلطة وإنما أرسل كما ترسل الشمس شعاعها بصدوره عن ذاتها .

قال يوحنا فم الذهب « اذا سمعت ان الاب ارسل الابن لا تظن بالاله لان الاله لم يرسل انما هى الفاظ دالة على الفعل »

أما العلة التى لاجلها لم يعد الابن الازلى لنفسه الجسد الذى اتحد به بل أعده له الروح القدس . فأجاب عليها العلامة القس أبو الفرج المعروف بالمشرقى بقوله . ان ذلك كان لاسباب كثيرة : —

(اولا) لاظهار سر التثليث . فأقنوم الاب ظاهر فى الخليقة ، والابن ظاهر بالاتحاد ، والروح القدس ظاهر باعداده جسد الكلمة

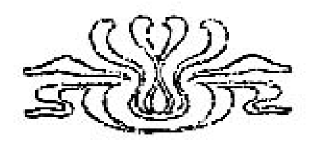
(ثانيا) ليقوم الروح القدس مقام الرجل الذى جرت العادة به فى اتمام الولادة على السنة الطبيعية . ولم يتكون جسد ربنا يسوع المسيح من زرع بشر حتى تصح دعواه أنه ليس ابن رجل بل هو ابن الله ويتعالى عن الضعف والنقص والانفعال . لأن من كان فى أصل وجوده وخلقته تابعا للضعف والنقص والانفعال لم يتهيأ له الاتصال والاتحاد بمن له الكمال وهو اللاهوت الاقدس . ومن ثم كان الروح القدس هو الفاعل فى المادة المختارة من الاحشاء المريمية فهيأ له جسداً من النوع الانسانى كما شاء منزها عن خطيئة النقص وضعف المباضعة

(ثالثا) لأجل أن الروح القدس يطهر الجنس البشرى من اللعنة التى حلت عليه من حواء

غير ان الروح القدس لم يمكن ان يدعى أبا للمسيح لأنه لم يأخذ شيئا من جوهره

وحيث أن حادثة التجسد الألهى واصاب المجيد هى أجل وأعظم حادثة وقعت فى تاريخ العالم فلا بد وان يكون لها أسباب وعلل جوهرية تتفق مع أهميتها وعظمتها .

ولما كانت معرفة تلك الأسباب ضرورية وواجبة لكل انسان لأنها من أقوى الأدلة على محبة الله الفائقة للجنس البشرى وجب ان نأتى بذكر الأهم منها وهو أمران . أحدهما من جانب الأنسان ، والآخر من جانب الخالق جل شأنه



الفصل الأول

فى

(الاسباب الموجبة للتجسد والصلب من جانب الانسان)

أولا : — لتحرير الجنس الانسانى من الخطية الجدية والفعلية : —
جاء فى كتاب الوحى الالهى ان الله جل شأنه جبل الانسان على صورته ومثاله ووضعه فى فردوس عدن وأمره أن يأكل من كافة أشجار الجنة ما عدا شجرة واحدة وهى شجرة معرفة الخير والشر بقوله : من جميع أشجار الجنة تأكل أكلا وأما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لانك يوم تأكل منها موتا تموت (تك ٢ : ١٧) أى تفقد حياة النعمة وتصبح تحت حكم الموت والهلاك الأبدى . غير ان آدم لم يطع هذه الوصية بل انخدع من الشيطان وأكل من تلك الشجرة المنهى عنها ساخراً بالاوامر الالهية وبذلك جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته المتناسلين منه لانهم كانوا فى صلبه وكان هو نائبا عنهم فآلت الخطيئة اليهم بحق الوراثة عنه (١)
اما وراثة الابناء ما فى طبيعة آبائهم فهى حقيقة مقررة ثابتة لا ينكرها احد . قال الكتاب : بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم

---

(١) تعتقد الكنيسة اعتمادا على ما جاء فى الكتب الالهية أن خطيئة آدم عمت جميع نسله ومن ثم أخطأ كل البشر وصاروا يولدون بطبيعة فاسدة عاجزة عن عمل الصلاح وذلك خلافا لمعتقد بلاجيوس الفاسد ومن ذهب مذهبه
ولد بلاجيوس فى احدى مدن بريطانيا سنة ٤٠٥ م وكان راهبا عالما غير انه سقط فى بدعة شنيعة مؤداها ان الخطيئة الجدية لم تكن . وانه وإن فرضنا ان الجدين الاولين اخطأ آ فخطيتهما لم تسر فى الجنس البشرى بأسره . فكل انسان يولد بلا خطيئة وان نعمة الله ليست بضرورية الانسان لكى يعيش عيشة صالحة زاعما انه لو كان العون الالهى ضروريا للانسان لكان لا وجود للحرية ،

وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس (رو ٥ : ١٢)
ولا ظلم عليهم فى ذلك لانهم كانوا على رجاء الربح كما كانوا على خطر
الخسارة فلو ثبت آدم لثبت الجميع بأن حسبوا طائعين بطاعته ونالوا به
الحياة الابدية . ذلك لان آدم فى حال بره كان ينظر اليه بحسب وجهين .
أى أنه كان ينظر اليه (أولا) بحسبما هو آب أول للبشر كافة (ثانيا) بحسبما
هو رئيس ووكيل رسم الله جميع المولودين منه . او بعبارة اخرى كان
ينظر اليه بوجهين اى وجهى الطبيعة والارادة

فحسبما هو ابونا لم يستطع ان يخلف لنا سوى الطبيعة البشرية المعتلة
فورثناها عنه صاغرين

اما اتخاذنا منه خطاة وشركاء فى اثمه فذلك لا لان كل واحد منا فعل
هذه الخطيئة بارادته الذاتية بل لكون ذلك الجد فعلها بارادته وحده ،
والله جل شأنه بقوة سلطانه المطلق على ارادة البشر اقامه شخصا عاما
حاويا ارادة البشر كلهم فى ارادته . نعم اننا لم نكن حينئذ فى الوجود
ولكننا كنا فيه من حيث انه مقام بأمر الله رئيسا علينا
ووكيلا لنا ولهذا لم تكن فعلته كفعل شخص خصوصى
بل كفعلة (ولى) عام على جميع العائلة ومن ثم تنسب
اليهم جميعا وان لم يشتركوا فيها معه

ليت شعرى أليست ارادة القاصر متعلقة بارادة وليه حتى ان كل مايفعله
الولى يحتسب ان القاصر نفسه فعله ؟ فاذن لا يجب ان كنا نرى الخالق جل
شأنه يعلق جميع ارادة البشر بارادة ابيهم الذى أقامه وليا عليهم لكى يكون
كما أراده هو أرادوه هم انفسهم

اما كون طبيعتنا قد فسدت لاننا ورثناها عن جدنا هكذا معتلة فسلم به
لانه حكم عادل لاظلم فيه . ولكن لماذا رسم الله ان يضع فى ارادتنا ارادة
آدم أبينا لنشترك فى خطيئته وتعذيبه ؟ ان ذلك كان لسببين

(اولها) سلطان الله المطلق وارادته المطلقة

(وثانيهما) لكي يصير آدم بهذا الوجه عبارة عن المسيح الذي هو آدم الثاني الذي اراد الله ان يجعل في يديه وارادته خلاصنا الابدي لكي يستحق لنا النعمة والمجد كما ان آدم استحق لنا الخطيئة والعذاب

واذن لا محل لأعتراض البعض ببطلان نيابة آدم عن ذريته الذين لم يختاروه نائبا عنهم لانه كما ان الوصي يقام بدون اختيار الموصى عليه والوالد يحق له ان يختار وصيا لولده كذلك يحق لله أن يختار نائبا عن اولاد البشر

واذ فقد آدم وذريته حياة النعمة ومشاهدة الجلال الالهي طردوا من الفردوس وحرموا منه ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا اولا إلا بعد الحصول على مغفرة تلك الخطية

ومن المحقق انه لم يكن سبيل للاستغفار عن هذه الخطية من قبل الخليقة مطلقا حيث ان هذه الخطية حصلت على شر غير متناه باضافتها الى الله المصنوعة في حق جلاله الغير المتناهي

لأنه من المقرر ان السيئة تقاس بقياس شرف ورتبة المصنوعة في حقه. فالاهانة اللاحقة بأدنياء الناس ليست كالاهانة اللاحقة بالملك وان كانت واحدة في نوعها لان فعلها في حق الملك يجعلها تحرز قدراً مساويا لقدر الملك نفسه . فالسيئة إذن تكتسب قوتها وضعفها من الخارج أي من جهة الشخص المصنوعة في حقه . وعلى هذا القياس نقول حيث أن الخالق جل شأنه ذو شرف غير متناه فاذن تكون الخطية التي صنعت في حق جلاله ذات شر غير متناه أيضا

ومن ثم أصبح غير ممكن للخليقة كلها . الناس والملائكة معا أن يكفروا عن هذه الجريرة لان أفعالهم متناهية بنسبة طبيعتهم . وأما الخطية ففعل غير متناه بنسبة طبيعة الله جل شأنه الا اذا خولف فيها العدل (١) الالهي وهذا محال لانه تعالى كما أنه يتمجد برحمته كذلك يتمجد بعدله والله عدل هو

---

(١) العدل هو عبارة عن فضيلة ادبية راسخة بها تنعطف الارادة الى ايفاء كل ذي حق حقه .

وحيث انه لم يكن ممكنا للانسان أن يقدم كفارة عن هذه الخطية لعجزه وتسلط الخطيـة على طبعه وبالتالى غير ممكن مخالفة العدل الالهى أيضا ، لهذا دبرت الحكمة الألهية واسطة عجيبة بها يخلص الانسان ويستوفى العدل الالهى حقه

أما تلك الواسطة فهى ترقية طبيعة الانسان الى حال فائقة ورتبة الهية باشتراكها مع طبيعة الله نفسه حتى يتسنى لها أن تكفر عن تلك المعصية وتفى العدل الالهى حقه لان فعلها حينئذ يكون صادراً من مساو لمساو

ولا سبيل للحصول على تلك الغاية إلا بواسطة تجسد ابن الله وتأله طبيعته البشرية وبغير هذه الواسطة لايمكن أن تتم المصالحة مع الله والناس لانه من البديهى لايمكن لغير الانسان المساوى للجلال الالهى شرفا ان يفى عن مخالفة الانسان الخاطىء وفاء كاملا مساويا لاستحقاق البارى جل شأنه الذى صدرت المخالفة فى حقه . لانه من ذا الذى يستطيع ان يتوسط بين الله والناس الا من كان ذا شرف مساو له نفسه . قال الوحى الالهى : لانه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح (١ تى ٢ : ٥)

ولقد حصلت الطبيعة البشرية على ذلك الشرف السامى بمجده يوم أن تنازل الاقنوم الثانى واتخذ له جسداً كوّنه الروح القدس من أطهر دماء سيدتنا القديسة مريم البتول كما ورد فى الكتب السماوية وتقرر من مجمع نيقية حيث قيل (الذى نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء) غير أن نزول ابن الله من السماء كان خلواً من ان ينفصل من اللاهوت أو يترك السماء لأن ابن الله هو الله حقا ولذلك فهو غير متناه وغير محصور فى مكان لكونه مالىء الكون . فكان نزوله كنزول اشعة الشمس على الارض بدون انفصال أو انقطاع عن جرمها

ولقد اتحد جل شأنه بهذا الجسد نفسا (١) عاقلة ناطقة منزهة عن الجهل المقترن بتكويننا وبريئة من دنس الخطية الاصلية التي وصمنا بها جدنا الأول ومشرقة بأنوار العلوم البالغة وممتلئة من فيضان كل النعم الالهية وباتحاد هذا الجسد الطاهر بأقنوم الكلمة اتحاداً جوهريا طبيعيا ، ذلك الاتحاد الذي يصفه القديس اوغسطينوس بأنه ليس ابلغ من اتحاد الروح بالجسد بل ابلغ من اتحاد الابن بالاب بقوله «لان الاقانيم تتحد في الثالوث منقسمة بحسب ذواتها لكن في اتحاد اللاهوت بالناسوت منفي انقسام الذوات» ومن ثم دعيت هذه الطبيعة طبيعة ابن الله حقا فحصلت على كمال غير متناه وبذلك أصبح متيسراً لها دون غيرها تقديم الكفارة عن هذه الخطية الغير المتناهية لان بواسطة اتحادها بالجسد استطاعت ان تكون قابلة للموت . وبواسطة اتحادها باللاهوت استطاعت ان تكفر عن خطايا العالم كله اذ صارت نيابتها عنه ذات قيمة لا حد لها . وذلك بخلاف ما لو كانت هذه الطبيعة انسانية فقط

والترضية المثل الالهي في الفترة الكائنة بين المخالفة والتجسد كانت تقدم الذبائح الدموية مؤقتا . وهي وان كانت في حد ذاتها ليست لها قدرة على تكفير الخطية وتبرير الاشرار ولكنها اكتسبت قيمتها وثمنها برمزها الى تلك الذبيحة الحقيقية التي قدمها يسوع المسيح ربنا عن العالم اجمع .

قال بولس الرسول : قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل

---

(١) وذلك ضد بدعة (ابو ليناريوس) أسقف اللاذقية بالاناضول الذي ظهر سنة ٣٨٨ م وعلم بنقص في طبيعة ربنا البشرية حيث ذهب بسوء معتقده الى أن الكلمة الازلي كان في سيدنا يسوع المسيح بمنزلة النفس وان جسده لم يتخذه من سيدتنا مريم العذراء بل اتى به من السماء وهو جوهر الكلمة نفسه الذي استحال الى جسده من غير نفس ناطقة لان اللاهوت كان للجسد بمنزلة نفس وعقل بشري وبهذا السبيل تألم الكلمة نفسه ومات على الصليب

الذى يخدم ... فقط موضوعة إلى وقت الاصلاح » أى التجسد «(عب ٩:٩)

لقد ثبت من قولنا ومن هذا النص ان نظام العهد القديم كان قاصراً عن ايلاء البر والقداسة والكمال لاصحابها ولكن لا يلزم من هذا انه لم يحصل أحد من أهل الشريعة القديمة على الكمال فان منهم كثيرين ابراراً وقديسين وانما كان حصولهم على ذلك لا من ذات النظام العتيق بل من ايمانهم بالمسيح أنه سيأتى . فهذا الايمان قواهم وأمدهم فحصلوا على ماحصلوا عليه من البر والكمال . انظر يو ٨ : ٥٦ »

أما كون الذبائح الدموية ليست كافية للوفاء عن الخطية فلأن الوفاء يجب ان يكون :

(١) اختياريا

(٢) كائنا فى الطبيعة التى ارتكبت الخطية نفسها

(٣) ذا ثمن غير متناه

والحال أنه لا يوجد شيء فى الحيوانات من هذه الشروط . وفى الانسان يوجد بعضها . وأما فى سيدنا يسوع المسيح فتوجد بتمامها . فالوفاء فيه كان اختياريا وكائنا فى الطبيعة البشرية وذا ثمن غير متناه من جهة أقنومه الالهى المتحد . فمن ثم لم يكن أحد قادراً على أن يقدم وفاء كاملا عن الخطية إلا هو وحده دون غيره

ولم تقدم تلك الذبائح الدموية لترضية العدل الالهى فقط ولكنها رسمت أيضا لكى يتجدد بواسطتها فى عقول اليهود ذكر خطاياهم . وهذا الذكر ينتقل بهم إلى تأمل آخر وهو أنهم مفتقرون إلى ذبيحة أخرى أعنى ذبيحة المسيح المخلص ويتضاعف اضطرام اشتياقهم إلى مجيئه لمعرفتهم أنه غير ممكن أن يخلصوا إلا بواسطته

ثانيا : — لاتمام الشريعة : حيث أن العدل الالهى يقضى أن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت (تك ٢ : ١٧) فلأجل إتمام هذه الشريعة أخذ السيد له المجد طبيعة الإنسان لكى يحمل قصاص الخطاة فيها . ومما يدل على

وجوب أن تكون الكفارة فى الطبيعة التى أخطأت نفسها وصارت عرضة للمديونة قول بولس الرسول : فاذ قــد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى إبليس . . . لانه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم (عب ٢ : ١٤ - ١٦) أى أن المسيح لم يتخذ طبيعة الملائكة وانما اتخذ طبيعة الإنسان لاتمام عمل الفداء لانها هى التى أخطأت

قال أحد اللاهوتيين (أنه لم يمكن أن يرد الينا حياة النعمة المفقودة الا الاله المسيح اذ كان قد صار انسانا لانه كما ان الفساد حصل بتوسط انسان فكذلك ينبغى ان يكون الوسيط فى النعمة انسانا أيضا ولا يصح الحصول على هذه النعمة بكل انسان كيفما اتفق اذ كان الناس قد فسدوا جميعا بتوسط الخطية النوعية والشخصية معا وليس بجائز أن يعطى الانسان انسانا آخر ما هو عادمه فلهذا وجب اتصال الاله بانسان مخصوص مطهر من الروح القدس ليمنح النعمة لجميع البشر بتوسطه)

ثالثا : — للحصول على النعم والبركات الالهية : حيث ان أجلّ النعم وأسمى البركات التى يتمتع بها المؤمنون الآن لم يكن ممكنا الحصول عليها الا بواسطة التجسد الالهى كسر الجسد والدم الاقدسين ونعمة البنوة والميلاد الثانى والشريعة الجديدة والتقرب من الله والى غير ذلك من نعم وبركات التجسد المجيد . لاسيما وأن الانسان بواسطة هذا التجسد رفع الى رتبة مجد أشرف وأسمى مما كان عليه قبل سقوطه فى الخطية ولهذا قال بطرس الرسول : قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤)

رابعا : — ليوضح لنا صرامة العــدل الألهى وشدة انتقام الله من الخطاة فى العقوبات الابدية لان تجسد السيد المسيح المرسوم منذ الازل كواسطة ضرورية لمحو الخطيــة يرشدنا الى المناسبة الموجودة ما بين الخطية

التي هي مخالفة الجلال الالهي ومابين العقوبات الابدية المخصصة بالخاطيء . لأنه اذا كان ابن الله البار القدوس بل ذات القداسة يتألم هكذا لأنه ناب عن الخطاة . فالخاطيء المذنب العاصي المخالف لشريعة الله المتدنس بكل ضروب القبائح والآثام من يستطيع أن يفهم شدة عذاباته الابدية

خامسا : لمعرفتنا ماهية الخطية وقبح شناعتها لأننا بتجسد ابن الله علمنا ان الخطية هي شر عظيم بهذا المقدار حتى أنه ينبغي للوفاء عنها ان إلها متجسداً يبذل نفسه ويصير موضوع اللعنة والعار . قال بولس الرسول : المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لاجلنا (غل ٣ : ١٣)

أي أنه لما علق له المجد على خشبة الصليب وتحمل ما كان على الناس من الخطية واللعنة ظهر حينئذ في كل شكل ملعون : (لأن المعلق ملعون من الله تث ٢١ : ٢٣)

سادسا : — ليعلمنا أن خلاصنا هو خير جليل بهذا المقدار حتى أنه للحصول عليه بذلت حياة الهية وأنه هكذا ثمين وكريم حتى أن ابن الله لم يحتسب أنه بذل اكثر من ثمنه إذ سفك جملة دمه على خشبة الصليب فداء عنا (رؤ ٥ : ٩)

الفصل الثانى

فى

الاسباب الموجبة للتجسد والصلب من جانب الله

أولا : — للتوفيق بين عدله تعالى ورحمته

لايخفى أن الله سبحانه وتعالى كان قادراً أن يجرى على آدم أحد الامرين إما أن يهلكه عقابا لجريمته أو يسامحه تعطفا على ضعف طبيعته ، دون أن يلجأ إلى وسيلة كوسيلة التجسد التى كلفته ما هو فى غنى عنه . غير أنه لدى التأمل بعين الحكمة والروية نجد أن عقاب آدم على أثمه انما هو اجراء العدل فقط ، وان تبريره بلا كفارة انما هو رحمة تدوس حقوق العدل . ولايمكن مخالفة إحدى هاتين الصفتين لان فى المخالفة نقصا والخالق منزه عنه بالبداهة .

لهذا كانت وسيلة التجسد من اسمى الوسائل وأحكمها لانها عظمت العدل والرحمة معا . ووفقت بينهما إذ أعطت كلا منهما حقه . فالعـــدل لم يزل عدلا عند ما ظهرت الرحمة ، والرحمة لم تزل رحمة عندما استوفى العدل حقه كما أنها أعطت الناموس حقه والخطية عقابها وبذلك أثبتت أن الشريعة عادلة وأجراؤها هو بدون محاباة وان العدل والرحمة والقداسة والجودة والحق هى من خواص طبيعة الله وحكمه

قال القديس اثناسيوس (ان العدل يقتضى النقمة لأن وظيفته هى ان يرى الشريعة نافذة . والله العادل الذى لايفعل امراً بنا فى كلامه لابد من ان يعاقب الشرير على شره ؛ لأن ذلك يعظم اسمه ويزيد مهابته .

وكذلك الرحمة تطلب مفعولها وهو الاحسان والمغفرة وترك عقوبة من يستحق العقوبة . ومن ثم بات لا مناص لخلاص الخاطىء من شيء يوفق بين عدل الله ورحمته . لأنه من الضرورى ان تعمل صفات الله جميعها بالاتفاق بعضها مع بعض . وهذا الامر لايعجز عنه اساطين حكماء البشر فقط بل الملائكة ايضا . ولكن الحكمة الآلهية لايعجزها شيء . فالله احب العالم ولكى يوفى عدله حقه ويظهر وفرة رحمته بذل ابنه الحبيب لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية . وهـــذا البذل استلزم ان يكون له طبيعة كل من الآله والانسان . فوجب ان يكون انسانا لينوب عن الناس ويموت فداء عنهم . ووجب ان يكون إلها لكى تكون نيابته ذات قيمة لا تحد

نعم ان ربنا بحسبما هو اله كان قادراً على عمل الفداء إلا أنه لكى يكون مناسبا لاجرائه اقتضى الحال ان يكون ليس إلها فقط بل انسانا ايضا . اذ لو بقى له المجد فى طبيعته الالهية فقط لم يكن فى حال موافقة لاقتناء الخلاص لنا وذلك ليس لانه يوجد نقص أو عجز فى الطبيعة الالهية . بل لأجل ذات كمالها المطلق غير المحدود . لأن الطبيعة الالهية غير قابلة للآلام لانها فوق جميع الآلام. ولا قادرة على طاعة الشريعة المعطاة للانسان لان الاله المحض لايمكن ان يخضع للشريعة التى اعطيت للانسان ولا يحتمل قصاص الانسان . وفضلا عن ذلك فانه كان من الضرورى لاجل اتمام الشريعة ان نفس الطبيعة التى اخطأت هى التى تموت . لان قوله تعالى لآدم موتا تموت يتجه الى الطبيعة البشرية . والطبيعة التى وقع عليها النهى هى نفس الطبيعة التى اتجه إليها التهديد

واذا ادركنا هذا التدبير الالهى العجيب وجب علينا ان نصرخ بحق قائلين لعظيمة وعجيبة هى اعمالك ايها الرب الاله القادر على كل شيء عادلة وحق هى طرقك ياملك القديسين» (رؤ ١٥ : ٣)

ثانياً ـ لاظهار جودته تعالى لمخلوقاته

من المسلم به ان الله جل شأنه يهمه كثيراً أن تقتنع مخلوقاته بأنه ذو صفات سامية مجيدة ولاسيما صفات الجودة والفضل والسخاء والرحمة تلك التي تجعل الناس يسيرون في الحياة بمنتهى الاطمئنان والثقة (مز ٤٢ : ٨)

أنه ولئن كانت الخيرات التي يجود بها جل شأنه عليهم من أدل البراهين على ذلك غير أنها لم تكن كافية لأن تظهر هذه الصفات السامية الكريمة بحسب ما هي عليه في طبيعته الالهية

واذ ذاك كانت الضرورة داعية لعمل تتجلى فيه هذه الجودة بحسب حقيقتها وأسمى مظاهرها . ولم تكن هناك وسيلة تكشف للناس عن ذلك سوى التجسد حيث أنه لم يكن ممكناً الاستدلال على تلك الجودة الفائقة بأي نوع من أنواع الخيرات الاخرى . لان تلك إنما صدرت عن مقدرته أو أمره فقط . أما التجسد فدل على أنه جاد على عبيده بذاته عينها . وفي ذلك أقصى الجود ومنتهى الاحسان

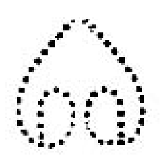
قال الشيخ العلامة ابو زكريا يحيى بن عدى « الباري تعالى أفضل الجائدين . وأفضل الجائدين هو الجائد بأفضل الذوات . فينتج من هاتين المقدمتين ان الباري تعالى هو الجائد بأفضل الذوات . واذا أضيف الى هذه قضية اولية وهي أن أفضل الذوات ذات الباري لزم بالضرورة أن الباري يجود بذاته »

ولقد أثبت له المجد في محادثته مع نيقوديموس أن أصل الفداء إنما هو جودة الله واحسانه حيث جاد على الناس بذات ابنه التي هي ذاته لان للاب والابن ذاتا واحدة بقوله : هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد (يو ٣ : ١٦) ثم حذا حذوه في ذلك رسوله العظيم بولس فقال : ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا (تي ٣ : ٤)

ثالثا ـ لبيان مقدار مجد جلاله الفائق :

ليس من ينكر أن التجسد الالهي كما أنه أعطى كلا من الرحمة والعدل حقه وأعلن جودة الله على عبيده بصورة صحيحة كاملة تمثل ما في طبيعته الالهية . هكذا أيضا بواسطته تجلى لنا مقدار مجد جلاله الفائق حيث علمنا ان الله تعالى ذو وجود فائق الجلال والكرامة بهذا المقدار حتى انه إكراما لمجده لم يمكن استعطافه وجلب رضاه بواسطة انسان أو ملاك بل بواسطة إله متأنس

فحقا أن هذه المعرفة هي ماهية تعريف الجلال الالهي بأكمل وأشرف من كل ما يكون في حيز الامكان . لان معرفة جلال الله الواصلة الينا من قبل خلقة العالم والكتب السماوية إن هي إلا ظل ورسم بالنسبة الى نور المعرفة الذي أشرق علينا من قبل تجسد السيد المسيح اذ رأينا إلها متأنسا مصلوبا اكراما للمجد الالهي الذي أهانه الانسان



الفصل الثالث

في

علة خلاص الانسان بالصليب

دون غيره من الوسائل الأخرى

لا شك أن الله جلّ شأنه كان قادراً على خلاص الانسان بوسائل أخرى غير وسيلة الصلب تكون أليق بجلاله الاقدس ولكنه آثر خلاصنا بهذه الوسيلة لمنفعتنا لاننا عندما نرى أن ابن الله لم يجد وسيلة أنسب للتكفير عن الخطايا سوى الموت على الصليب نوقن تمام الايقان أنه من الجهالة الفائقة والغرور المتناهي أن نحصل نحن الخطاة على ذلك الخلاص بواسطة الكسل والتراخي والانغماس في الافراح والملاذ والملاهي . وإنما نحصل عليه بمنتهى المكاره والمشاق ومكابدة التعب الجهيد (١) وكفى بالصليب على ذلك دليلا لانه لا تعب يوازي تعبه ولا عار يفوق عاره (راجع عب ٤ : ١٨)

قال أحد اللاهوتيين (إنه من كمال الحكمة في الله أن يخلص الانسان بهذا السبيل الشاق (أي سبيل الخلاص) لانه لم يكن من المستطاع أن يجتذبنا جل شأنه الى استعمال هذه الوسائط وهي الاتعاب والمشاق في

---

(١) ان تكبد الاتعاب والمشاق في سبيل الخلاص لم تفرضه المسيحية فقط على تابعيها بل فرضته سائر اديان العالم . فالمسلمون واليهود والوثنيون يقاسون اعمالا شاقة من صوم وصلاة وزكاة وكبح جماح الشهوات في سبيل الحصول على مجد سعادة الآخرة

سبيل الخلاص ويسهلها لنا ويحببها الينا أكثر مما هو نفسه يتجرب بها ويستعملها بذاته لانه خلو من ذلك كان غـــير ممكن على الاطلاق أن نميل الى محبتها ونلزم أنفسنا باستعمالها لكونها مضادة لميلنا الطبيعي ومستكرهة للغاية)

وهب ربنا له المجد عوض الآلام وعار الصليب عاش بالملذات والسرور والشرف العالمى فمن منا كان يرضى بالهوان والآلام والفقر وترك الغنى والملاذ والشرف العالمى ولو فى سبيل خلاصه ؟ أما كان يجد كل منا سبيلا للاعتذار باشباع ميوله ورغباته المنعطفة على هذه الاشياء الطبيعية التى هى سبب كل إثم ومعصية ؟ ولكن بعد أن اجتاز ربنا حياته بالاتعاب والآلام وعار الصليب لم يبق لنا سبيل للاعتذار فى رغبة الخيرات الزمنية وعدم قهر شهواتنا المنعطفة إليها

قال أحد القديسين (ان المسيحى الحقيقى يرى من العار أن يكون عضواً منغمسا فى الملاذ تحت رأس مكلل بالشوك) .

الفصل الرابع

في

عدم مضادة التجسد للطبع الالهى

يتوهم بعض الناس أن التجسد مضاد لطبيعة الله ولكن الحقيقة ليست هكذا لأن هذا السر العظيم لم يضاد بساطة الله ولم يوجد فيه تركيبا أو تغييرا أو تجزئا أو انتقالا مكانيا بل تنازلا إلهيا نحو مذلتنا اشفاقا على طبيعتنا الساقطة

لانه وان كان المسيح ركب من الناسوت والكلمة الأزلى إلا أن ذلك لم يحدث تركيبا أو تأليفا في الاقنومية الألهية بل استمر الاقنوم الالهى على بساطته، فلا الأزلى تغير عن جوهره فصار له خاصية الزمنى ، ولا الزمنى تغير عن خاصيته فصار له خاصية الازلى ، لكن كل منها حفظ خاصيته وحقيقته بعد الاتحاد

وخير مثال يقرب فهمنا لهذه الحقيقة هو الانسان الذى وان كان مركبا من نفس وجسد إلا أن هذا التركيب لم يوجد تركيبا أو تأليفا أو تغييرا فى جوهر النفس هكذا تركيب السيد المسيح من الناسوت والكلمة الازلى لم يوجد فى اللاهوت نفسه تركيبا أو تأليفا أو تغييرا بل بقى على بساطته كما كان قبل التجسد

اذن ممكن وموضوع قابل من جهة الله ومن جهة الانسان تجسد الاقنوم الثانى من الثالوث الاقدس كما تم فى شخص ربنا يسوع المسيح المولود من الآب أزليا ومن القديسة مريم زمنيا .

الخلاصة

نتهى من البحث السابق الى ان التجسد الألهى والصلب المجيد كان واجبا وضروريا لمنفعة الانسان ولاظهار جودة الله ولتمجيد عدله ورحمته

أما أنه كان ضروريا لمنفعة الانسان فلكونه لا يليق بالمراحم الالهية أن تهمل ذلك المخلوق الذى أبدع لمجد الله وميراث السماء وتتركه محروما من الغاية التى خلق لأجلها بل تدبر له طريقة بها ينجو من الهلاك والغضب الالهى . ولما كان ذلك غير ممكن إلا بواسطة التجسد والصلب كما أثبتنا فيما سلف . لهذا كان التجسد والصلب فى غاية الوجوب والضرورة لمنفعة الانسان

أما جودة الله وسعة غنى رحمته فظهرت للناس بصورة غير متناهية حيث ثبت لديهم أن الخالق والرب جاد بذاته الكريمة على المخلوق والعبد . وكذلك العدل والرحمة

فالعدل تمجد لكونه لم يقبل الكفارة عن الاهانة التى لحقت سموه الا بحسبما تستحق تلك الاهانة من القصاص

والرحمة تمجدت أيضا لكون طبيعة الانسان ترقت إلى شرف غير متناه فأمكنها أن تقدم وفاء كاملا للجلال الالهى

الباب العاشر

في

اتحاد الله الكلمة الازلى بالناسوت

أو طبيعة الاقنوم الثانى المتحدة

الفصل الأول

في

حد الطبيعة والاقنوم وما يتعلق بهما

قبل أن نلج هذا الباب الذى هو موضوع جدال بين الطوائف المسيحية نطرح الاسئلة الآتية تحت نظر القارىء الكريم مشفوعة بالاجابة عليها حتى يكون الكلام فى هذا الباب واضحا جليا فنقول : —

س — ما هى الطبيعة ؟

ج — الطبيعة تطلق على ماهية الشيء (أى حقيقته) وذاته فقولنا طبيعة الله أى الله ذاته

س — ما هو الاقنوم ؟

ج ـ الاقنوم يطلق على قيام ذلك الشيء بذاته أو بعبارة اوضح، الأقنوم جوهر روحى شخصى لطبيعة قابلة الاشتراك بكثيرين شأنه ان يقيمها بذاتها ويحجز عن الاشتراك (١)

س ـ هل كان لسيد المسيح طبيعة بشرية واقنوم بشرى ولمَ

ج ـ من المحقق انه كان المسيح طبيعة بشرية واقنوم بشرى لان الطبيعة شيء والاقنوم شيء آخر . ولا يخفى ان طبيعة ربنا البشرية كانت كاملة أى فاهمة وحرة وفاعلة بذاتها وحاوية مبدأ كل افعالها العقلية والحسية والطوعية وذلك لا يصدق إلا على الطبيعة القائمة بأقنوم

س ـ ماذا ينتج لو اعتقدنا أن للسيد المسيح طبيعة بشرية بلا أقنوم بشرى؟

ج ـ ينتج (أولا) أن الآلام وقعت على اللاهوت كما وقعت على الناسوت والحال أن اللاهوت منزه عن كل ألم وموت بالجملة كما ترى ذلك مفصلا فيما يلى .(ثانيا) أن ناسوته له المجد كان ناقصا . ومعلوم أن الناسوت الاقدس باتحاده مع اللاهوت لم يفقد شيئا من جوهر الانسانية بل كان مستوفيا حقيقة النوع استيفاء تاما . ومن البدهى أن الجوهر الكامل ذا الطبيعة الكاملة لا يليق أن يوصف بأنه جوهر غير كامل وغير قائم بنفسه

قال القديس كيرلس (ان الكلمة المساوى لله الآب فى الازلية كما هو كامل فى اللاهوت كذا هو كامل فى الناسوت) وعليه فالذين ينفون الاقنومية عن الناسوت إما ان يعتقدوا ان الناسوت كان كاملا وحينئذ لا سبيل لنفى الاقنومية عنه وإما ان يعتبروه ناقصا وذلك باطل بالبداهة لأنه ضد النصوص الالهية وشهادة المجامع المسكونية وحكم العقل والاجماع

جاء فى تاريخ الانشقاق صحيفة ١٩٠ :

(ان الكنيسة لما رأت كثيرين من المبتدعين علموا بنقص فى طبيعة المسيح البشرية حكمت على تعاليمهم وقررت حقيقة كمال ناسوت المخلص)

---

(١) اى ان الاقنوم هو الذى يميز الاشخاص من بعضهم فيميز عيسو من اسحاق واسحاق من رفقة

س ـ ما هى حجة الذين يعتقدون ان للسيد المسيح طبيعة بشرية بلا اقنوم بشرى ؟

جـ ـ يقولون (أن عدم الاقنومية البشرية ليس بنقص فى ناسوت المسيح إذ باتحاده مع اللاهوت لم يفقد شيئا من جوهر الانسانية بل ارتقى الى درجة سامية من الكمالات لا يعطى لخليقة البلوغ اليها) وهى حجة واهية ضعيفة إذ بالتأمل فيها على ضوء الاسئلة والاجوبة السابقة يتحقق فسادها وبطلانها

س ـ هل كان السيد المسيح قائما من طبيعتين احداهما إلهية والاخرى بشرية ؟

جـ ـ نعم تعتقد الكنيسة القبطية وتؤمن أن السيد المسيح كان قائما من طبيعتين الهية وانسانية لان عمل الفداء استلزم ان يكون للفادى طبيعة كل من الاله والانسان معا . فوجب أن يكون انسانا لينوب عن الناس ويموت فداء عنهم . ووجب أن يكون إلها لكى تكون نيابته ذات قيمة لا حد لها غير انها تعتقد ان هاتين الطبيعتين كانتا متحدتين اتحاداً لا مثيل ولا نظير ولا يوجد لفظ يطابق له فى كل لغات البشر وانما عرف وعبر عنه بالفاظ مألوفة مستعارة على سبيل التقريب فقط لانها رأت اذا عتقدت كما تعتقد الكنائس الاخرى بالطبيعتين بعد الاتحاد أو انها جعلت ما يخص اللاهوت للاهوت وما يخص الناسوت للناسوت فان ذلك يشعر بافتراق الطبيعة اللاهوتية عن الناسوتية كما انه يجعل موت الفادى ذا ثمن غير كاف لخلاص البشرية جمعاء . وهذه هى العلة الوحيدة التى حملت آباء الكنيسة القبطية على الاهتمام بهذه العقيدة والاستماتة فى المدافعة عنها لانها من اخص العقائد المسيحية

س ـ هل يجوز أن يقال عن السيد المسيح أن له طبيعتين بعد الاتحاد ؟

جـ ـ كلا وحسبنا ما جاء عن ذلك فى الجواب السابق

س ـ هل يجوز أن يقال عن السيد المسيح أن له أقنومين إلهى وبشرى

بعد الاتحاد

جـ ـ كلا لان هذا اعتقاد نسطور الكافر الذى كان يرى فى المسيح اقنومين الواحد الهى والثانى انسانى وهو المسيح . ويعتقد انهما كانا على سبيل المصاحبة وليس على سبيل الاتحاد . اما نحن وان كنا نقول ان له أقنوما بشريا غير أننا لا نقصد بذلك ان الناسوت كان مستقلا بأقنوميته وشخصيته لمحة من الزمن أو طرفة عين عن الاتحاد بل نقصد بقولنا هذا ان الناسوت الشريف كان جوهرا قائما بذاته . لا عرضا محمولا على غيره . خاصا مفرداً لا عاما . تاما كاملا لا ناقصا . فالاقنومان ليسا بمفصولين مستقلين بطبيعتيهما مجردين عن الاتحاد الذاتى ولا بمفقودين من الوجود . بل أنهما اتحدا وصارا اقنوما واحداً متحدا هو اقنوم الاله المتأنس بالكمال . وباتحاد الاقنوم الالهى بالاقنوم البشرى اتحاداً جوهريا حصلت الطبيعة الناسوتية على ما لم تكن حاصلة عليه من قبل وأصبحت أفعالها إلهية غير متناهية ودعيت بحصر اللفظ أفعال ابن الله نفسه

س ـ اذا كان للسيد المسيح طبيعة واحدة متحدة وأقنوم واحد متحد فكيف يقال عنه أنه بكى وجاع وتألم ومات والحال ان الاله منزه عن الاعراض والآلام

جـ ـ أن السيد المسيح له المجد اقتبل هذه الاعراض والآلام بناسوته وليس بلاهوته . غير أنه لا يقال أن الناسوت هو الذى تألم ومات بل يقال إن ابن الله الازلى نفسه هو الذى ولد من البتول وتألم وصلب ومات « اع ٢٠ : ٢٩ ، ١ كو ٢ : ٨ » فى حين أننا نعلم حق العلم أن الولادة والآلام والصلب من لوازم الانسانية البحتة . وتسمية الله بها بسبب الاتحاد ومن باب تسمية الشيء بصفة جزئه وحسبنا مثلا على ذلك (الانسان) لانه اذا ضحك إنسان مثلا كان ذلك من قبل طبيعته البشرية وليس من قبل طبيعته الروحية لانه إنما هو ضاحك من حيث هو إنسان له الطبيعة البشرية التى هى مصدر الضحك فقط

ومع ذلك فلا يقال طبيعـــة فلان ضحكت ولـكن فلان ضحك ،فيوصف الانسان كله بما صدر عن الطبيعة

وحيث ان ابن الله الازلى كان متحداً بالطبيعة البشرية اتحاداً جوهريا لهذا وصف بالصفات الالهية والبشرية معا فقيل عن المولود من الآب أزليا أنه ولد من القديسة مريم زمنيا ، وقيل عن عديم الآلام والموت أنه تألم ومات . مع أنه حاشا للاهوت أن تلحقه هذه الاعراض ولـكنها نسبت اليه لاتحاده بالطبيعة البشرية فقط

قال القديس كيرلس (كان من الضرورى أن نفس عمانوئيل المتحدة بجسدها تتألم معه الا أنه لا يجوز أن نقول أن الله الكلمة اشترك بالآلام لان الله غير قابل الآلام إلا أنه كان متحداً بالجسد ذى النفس الناطقة ولما كانت تتألم لم يكن الكلمة يتألم الا أنه كان عالما بما يحدث للنفس وبما أن الجسد كان خاصته لهذا كان يعتبر آلام الجسد آلامه وبذا يقال أنه جاع وعطش)

وقال أيضا (لا يجوز القول عن الله الكلمة أنه يحس معنا بالآلام لان له الكلمة غير قابل الآلام ولا يوجد وجه للمشابهة بينه وبين أمورنا . حقا أنه كان متحداً بالجسد ذى النفس الناطقة الذى لما كان يتألم كان يعلم من غير قبول ألم تلك الامور التى كانت تجرى للنفس وكان يطرد ضعف الجسد من حيث أنه إله إلا أنه كان يحتسبه خاصا به لانه خاص بجسده فمن ثم يقال عنه أنه جاع وعيى وتألم لاجلنا ،

وقال فى رسالة له عن موت الانسان وما فيه من المناسبة على وجه ما لموت الفادى :

(هل يزعم أحد من الناس وهو ذو عقل صحيح إنه إذا مات هذا الجسد الأرضى تموت معه النفس أيضا . لا أظن أحداً من الجميع يزعم هذا الزعم ومع ذلك فالجارى على العموم لا يدعى موت الجسد بل موت

الانسان فعلى هذا المنوال يجوز أن نزعم فى عمانوئيل أيضا لان الكلمة كان فى الذى أخذه من المرأة كأنه فى جسده المخصوص به وأسلم هذا الجسد نفسه فى الزمن المرسوم إلى الموت من غير أن يحتمل شيئا من الآلام فى طبيعته لانه هو الحياة ويحيي سائر الاشياء)

قال القديس ابيفانيوس أسقف قبرص (انه هو الحكمة وهو الله الغير المتألم وذلك معلوم أنه بآلامه عتق الجسدانيين فأنه لم يبعث رسولا ولا ملاكا ولا أحداً من الأنبياء السالفين لكن الرب هو نفسه قد أتى وأخذ المتألم وفيه قد تألم حقا ولكن اللاهوت بقى غير متألم)

قال القديس ساويرس (قد تجسد وتأنس ولم يتغير عما كان عليه وهو ولو أنه تجسد لكنه لم يذق الموت بطبعه)

قال أحد العلماء (ان اللاهوت وان كان متحداً اتحاداً جوهريا بالناسوت الا انه لم يلحقه شيء من هذه الآلام كما أن النفس مع اتحادها الجوهري بالجسد فلا يقع عليها شيء من آلامه — قال وأما فعل الجسد بالنفس فاذا اعتبرت النفس صورة جوهرية للجسد وقد جعلها الله متحدة به توليه الحياة والحركة وتحافظ عليه من كل مضر وتسعى لكل مفيد له فيظهر لك سهلا شرح تأثرات النفس عندما يتأثر الجسد فان الحركات التى تطرأ على الحواس من الموضوعات الخارجة لا تخلو من أن تكون إما مطابقة لمحافظة النفس على الجسد واهتمامها به أو مخالفة لذلك ، ففى الاول تجعل تلك الحركات النفس متأثرة بالسرور والرضى والعذوبة وفى الثانى تجعلها متألمة مشمئزة كارهة .هكذا يفعل الجسد بالنفس لا كأنه ينزل بها فعلا وضعيا بل من حيث أن ما يطرأ على الجسد يجعل النفس تشعر به وتتأثر منه بحسب نوعه من حيث أنها حاضرة دائما فى الجسد ومتحدة به طبيعيا ويتعلق بها حفظه وراحته ولا لزوم من هذه الجهة أيضا الى الملامسة والى وقوع أجزاء الجسد على النفس الخالية عن الاجزاء

الفصل الثانى

فى

هرطقات القرون الأولى وقرارات المجامع

المسكونية بشأن هذه القضية

تعتقد الكنيسة بناء على ما ورد فى النصوص الالهية ان الله الكلمة الازلى اتخذ جسداً بشريا ذا نفس عاقلة ناطقة واتحد به اتحاداً حقيقيا ذاتيا طبيعيا أقنوميا لا ادبيا كاتحاد ارادة لان بارادة ابيه مثلا أو عرضيا خارجيا كالاتحاد فى الرأى والمقام بل قد توحد الجوهران بطبيعتيهما وحدة ذاتية باطنية فصارا واحداً بغير اختلاط (١) ولا امتزاج ولا استحالة ولا انحلال منذ حصوله والى آباد الآباد ودهور الدهور

ولئن كان اتحاد كلمة الله بطبيعتنا يفوق كل ما يتصوره الفكر البشرى من ضروب الاتحاد المذكورة آنفا كالالتصاق والاختلاط والامتزاج بل هو غير موصوف وغير معلوم عند أحد البتة الا عند الله وحده الذى يعلم كل شىء . غير أنه حبا فى تقريب ذلك لافهامنا نمثله باتحاد النفس العاقلة مع البدن

---

(١) قام فى اوائل القرن الخامس رجل يقال له اوطيخا كان رئيس دير فى القسطنطينية ولعداوته الشديدة لنسطور لم يكتف بما حدده المجمع المسكونى الثالث ضد تعاليم نسطور بل تطرف فى تعبيره عن سر التجسد الى ان قال بوحدة طبيعة المسيح وأن جسده مع كونه جسد اله ليس مساويا لجسدنا فى الجوهر لان الطبيعة البشرية على زعمه قد ابتلعت وتلاشت فى الطبيعة الالهية

غير انه عاد فاعترف بالايمان الارثوذكسى فحل من حرمه ولما ظهر منه بعد ذلك من سوء العقيدة اعلن الانبا ديسقورس رذله وشجب رأيه واعتبره من الهراطقة

فى الشخص الانسانى (١) . أى كما أن الانسان قائم من طبيعتين مختلفتين طبيعة النفس البسيطة الروحانية وطبيعة الجسد الكثيف المحسوس اللذين باتحادهما معا بغير اختلاط ولا امتزاج صارا ذاتا واحدة طبيعة واحدة شخصا واحداً انسانا واحداً . بل اقوى من ذلك لان وحدة الطبيعة الانسانية تنفصل وتنحل بالموت واما تلك فلا . هكذا السيد المسيح له المجد وان يكن مركبا من طبيعتين مختلفتين أى الطبيعة الالهية الكاملة والطبيعة الانسانية الكاملة إلا أنه بهذا الاتحاد الالهى الحقيقى الذاتى الطبيعى هو واحد وحدة حقيقية بغير اختلاط ولا امتزاج . قال القديس اثناسيوس « كل من اعترف أن جسد مولانا نزل من السماء ولم يقل أنه من مريم العذراء أو قال أن اللاهوت استحال الى الناسوت واختلط وتغير فان الكنيسة تحرمه »

وكما أن عدم اختلاط وامتزاج طبيعتى النفس اللطيفة والجسد الكثيف لا يوجب اعتبار الشخص الانسانى جوهرين وطبيعتين . هكذا اختلاف الجوهر الالهى وطبيعته عن الجوهر الناسوتى وطبيعته لا يوجب اعتبار المسيح له المجد جوهرين وطبيعتين منقسمتين بأى وجه من الوجوه . بل ان الذى ولد من الآب أزليا ومن البتول زمنيا هو نفسه ابن الله وابن القديسة مريم

قال القديس كيرلس « ان المسيح الواحد هو عينه الابن الوحيد المولود من جوهر الآب . وهو ذاته البكر بين أخوة كثيرين . هو عينه أزلى كالله ، وهو ذاته صار له ابتداء الجسد . هو عينه كائن أزليا ، وهو ذاته مولود فى الزمان جسديا . هو عينه قدوس حسبما هو اله ، وهو ذاته تقدس معنا لما

---

(١) لما كانت النفس بسبب اتحادها بجسدها تحس بكل ما يحدث له وان كانت لم تتحمل فى طبعها شيئا من هذا فن ثم نقول ان اتحاد عمانوئيل إلهنا فائق على هذا أيضا

ظهر انسانا وذلك خلافا لاعتقاد نسطور (١) الشقى الذى زعم أن المولود من القديسة مريم هو المسيح الانسان وليس الله وأنه ذو أقنومين وطبيعتين منفصلتين مع ان طبيعة المسيح البشرية لم توجد فى عالم الوجود لمحة ولا طرفة عين قائمة بأقنوميتها مستقلة مجردة عن لاهوت الكلمة . بل من اول احوال ابداعها بسر الكلمة وجدت متحدة معه الاتحاد الذاتى ولهذا استحق الحرم والفرز من الكنيســـة بواسطة مجمع أفسس الذى عقد سنة ٤٣١ ميلادية وكان مركبا من مائتى أسقف اعترفوا جميعا وأقروا بأن فى المسيح اقنوما واحداً وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ثم وضعوا مقدمة دستور الايمان التى تثبت أن القديسة مريم هى والدة الاله . أما المقدمة فهى : —

« نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديســة

---

(١) ظهر نسطور فى أوائل القرن الخامس وكان بطريركا للقسطنطينية وابتدع بدعة شنيعة مؤداها انكار الوهية السيد المسيح . وابتدأ فيها بانكار كون السيدة العذراء والدة الاله قائلا « انى اعترف موقنا ان كلمة الله هو قبل كل الدهور الا انى انكر على القائل بأن مريم والدة الاله، فذلك عين البطلان لانها كانت امرأة ولا انكر انها ام المسيح الا ان الامومة من حيث الناسوت »

وقال ايضا « ان مريم لم تلد الها بل ما يولد من الجسد ليس الا جسداً وما يولد من الروح فهو روح . ان الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت انسانا آلة اللاهوت » وبهذا المعتقد الفاسد قسم السيد المسيح الى شخصين معتقداً ان الطبيعة الالهية لم تتحد بالانسان الكامل اتحادا طبيعيا واقنوميا بل اراديا فقط وذلك باطل . لانه لو كان الاتحاد اراديا لا طبيعيا واقنوميا للزم منه ان يطلق على الآب والروح القدس ولا يمكن ان يقال ان الآب والروح القدس تجسدا مع الابن . ولو كان الاتحاد اراديا فقط للزم منه ان تتحد الثلاثة الاقانيم مع الانبياء والقديسين وذلك باطل . ولو كان اتفاق الارادة هو الاتحاد لما كان محل لقول الانجيلى « والكلمة صار جسداً »

والدة الاله لانك ولدت مخلص العالم كله. اق وخلاص نفوسنا المجد لك ياسيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا . نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب بارك آمين »

ولقد زاد القديس كيرلس البابا الاسكندري على ذلك بأن وضع اثنى عشر بنداً حرم فيها كل من لايعتقد بأن عمانوئيل هو الاله الحق وان الذى ولد من العذراء هو الله . قال : -

١ - من لم يعترف أن عمانوئيل هو اله حقيقى ومن أجل هذا ان العذراء الطاهرة هى والدة الاله لكونها ولدت جسدانيا الكلمة المتجسد الذى من الله لكون الكلمة صار جسداً . فليكن محروما

٢ - من لم يعترف بأن كلمة الله الآب صار واحداً مع الجسد كالاقنوم وان المسيح واحد فقط مع جسده وهو اله وهو انسان. فليكن محروما

٣ - من فرّق من بعد الاتحاد المسيح الواحد الى اقنومين وطابقهما فى بعضهما بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان ولم يحسن أن يوحدها بوحدانية طبيعية . فليكن محروما

٤ - من ميز تلك الاصوات المذكورة فى كتب الانجيليين أم فى رسائل الرسل أم نطق بهـا الآباء القديسون أم قالها المسيح على ذاته وفرزها الى اقنومين أم الى اثنين قائم بذاته ويفهم أن البعض منها هى لائقة لانسان خصوصى وحده فقط كأنه غريب عن كلمة الله وان البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده . فليكن محروما

٥ - من تجاسر وقال ان المسيح الذى يستعمل السلطان الالهى انه انسان ساذج ولم يحسن أن يقول انه اله بالحقيقة وابن واحد بالطبيعة الذى كالاتحاد الاقنومى واشترك معنا فى اللحم والدم لكون الكلمة صار جسداً على ما فى الكتب. فليكن محروما

٦ ـ من قال أن كلمة الآب هو الله أم رب المسيح وليس يحسن الاعتراف بأن المسيح هو نفسه الله وهو انسان لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب . فليكن محروما

٧ ـ من قال ان الله الكلمة كان يفعل في الانسان يسوع وان عزة ابن الله الوحيد اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة . فليكن محروما

٨ ـ من تجاسر وقال ينبغي أن يسجد للانسان الذي أصعد الى السماء مع الله وان يمجد معه أو يسمى معه إلها كأن واحداً مع آخر .. الخ فليكن محروما

٩ ـ من قال ان ربنا يسوع المسيح الوحيد أنه كان ممجداً من قبل الروح القدس بقدرة غريبة عنه وانه بنعمة الروح القدس كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على إخراج الارواح النجسة وبه يتم الآيات اللاهوتية في البشرية ولا يقول ان الروح خاصة له وأنه كان يفعل به آيات اللاهوت. فليكن محروما

١٠ ـ أن الكتاب المقدس يقول أن المسيح صار رسولا وعظيم أحبار إيماننا وانه قرّب نفسه لله لاجلنا ولاجل خلاصنا بخوراً طيبا لله الآب . فاما من قال أن كلمة الله ليس هو الذى صار رسولا ورئيس الكهنوت وتجسد وصار انسانا مثلنا بل انه اخذ جسداً خارجا عنه وهو انسان فقط من امرأة دون الكلمة . ثم ومن قال ايضا ان المسيح قرب نفسه لله الآب لاجل نفسه ولم يحسن القول انه قرب نفسه لاجل خلاصنا نحن البشر فقط لانه لم يحتج الى قربان اذ لم يعرف خطية . فليكن محروما

١١ ـ من لم يعترف بأن جسد الرب شاف محي كونه لكلمة الله الآب ويعكس الحق ويقول انه آخر خارجا عنه اجتمع بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهراً ويقول انه محي على ما قلنا لكون الله الكلمة كان ساكنا فيه غير متحد به باتحاد اقنومي ولم يحسن كما سبق قولنا انه معطى

الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذى هو قادر ان يحي الكل . فليكن محروما

١٢ ـ من لم يعترف بأن الله الكلمة تألم فى الجسد وصلب فى الجسد وذاق الموت وانه بكر الأموات مثلما انه الحياة وهو المحي كالاله . فليكن محروما . » اه

قال احــد مشاهير اللاهوتيين « إن الاله والانسان اتحـدا فى اقنوم المسيح الواحد اتحاداً قويا وشديداً حتى انك لا تضل إذا عرّفت الواحد بالآخر فيمكنك ان تقول عن المسيح ان هذا الانسان هو إله وهذا الاله هو إنسان . وعليه فلا تتخصص الالوهية واعمالها بالكلمة الازلى وحده ولا البشرية واعمالها بالناسوت وحده بل كل ما فعله يسوع المسيح انما فعله جميعه الكلمة الأزلى وكذلك شعائر العبادة لا تقدم للاهوت وحده دون الناسوت ولكن تقدم للمسيح الاله الواحد المتجسد »

وحيث ان اتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص ربنا صيره واحداً بحيث لا يمكن ان نميز بين الكلمة المولود من الآب ازليا والمولود من القديسة مريم زمنيا . فاذاً قد أخطأ مجمع خليقدون(١) حيث قرر ان للسيدالمسيح طبيعتين ومشيئتين بقوله « ومعروف هو نفســه مسيحا وابنا وربا ووحيدا واحدا بطبيعتين » « تاريخ الانشقاق ص ٢٣١ »

لان هذا الاعتقاد يقرب القائلين به الى مذهب نسطور المار ذكره وهو الاعتقاد (بوجود شخصين فى السيد المسيح)

أما اذا زعموا ان التسليم بطبيعة واحدةفى السيد المسيح يجر الى الاعتقاد بمذهب (أوطيخا) وهو الاختلاط والامتزاج ووقوع الآلام على اللاهوت

---

(١) اجتمع هذا المجمع فى مدينة خليقدون سنة ٤٥١م مؤلفا من ٦٣٠ اسقفا غير ان كنيستنا لاتعترف بقانونيته

فنجيبهم بما أجاب به القديس ديوسقوروس بابا الاسكندرية حيث قال :
« ان اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ اذا عبر الكور واتحد بالنار فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئا واحداً . أما احتجاجكم عن ذلك بايجاب وقوع الآلام على اللاهوت فعندنا الدليل الكافي من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون ما كانت تعاقب أنفسهم وتتألم . والله قبل الآلام بجسده أما لاهوته فمنزه عن قبول الآلام بالكلية »

(ملاحظة) : تعتقد بعض الكنائس باطلا ان القديس ديسقوروس البطريرك الاسكندرى كان اوطاخي المذهب ولكن الحقيقة أنه كان ضد مذهب أوطاخي على خط مستقيم وظل يدافع ويناضل عن الطبيعة الواحدة في السيد المسيح بغـــير اختلاط ولا امتزاج حتى آخر نسمة من حياته وقد كتب رسالة في منفاه ضد اوطاخي يقول فيها هكذا :
« يجب علينا ان نقلع ونخرج عنا كل من يقول ان الله الكلمة تألم أو مات باللاهوت . أما نحن فما نؤمن هكذا بل نؤمن ان الله الكلمة صار جسداً بحق وبقى بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته . لكن قوما يظنون ويقولون أننا اذا قلنا ان المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد في هذا القول موافقين لمجمع خليقدون . ونحن نجيبهم ونقول اذا كان أهل مجمع خليقدون يعترفون ان الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فاننا نوافقهم »
ثم ختم هذه الرسالة بالحث على الاعتقاد بالطبيعة الواحدة للاقنوم الواحد الذى هو الابن الوحيـــد المتجسد مستشهداً بقول اثناسيوس وكيرلس .

قال احد الآباء سائلا الذين يعتقدون بطبيعتين للسيد المسيح « هل ولدت مريم إلها أم انسانا . فان قلتم إلها ضللتم لأن الله لا يولد وان قلتم إنسانا كانت أم انســـان لا أم إله وذلك تنكرونه طبعا . وان قلتم

ولدت إلهاً وانساناً كانت أم اله وانسان فلها ابنان أحدهما إله والآخر انسان . وهذا قول ينقضه العقل ويزيفه . فاذاً لا يصح الا ان تقولوا ان الاله والانسان صارا واحداً ولذلك مريم ولدت واحداً . فالذى ولدته لا إلهاً بالاطلاق ، ولا انساناً بالاطلاق ، ولا إلهاً وانساناً ، بل إلهاً متأنساً وهذا هو الحق »

ويستدل على وحدة طبيعة الله الكلمة المتجسد بعد الاتحاد من شهادة الوحى الالهى ثم شهادة الآباء الأول الذين يعتمد على آرائهم فى الحقائق اللاهوتية



الفصل الثالث

فى

شهادة الوحى الالهى لطبيعة المسيح المتحدة

إذا تأملنا بعين الروية فى النصوص الالهية الخاصة بهذا الموضوع لوجدناها تنص جليا على وحدة الطبيعة فى مخلصنا إذ تنسب فعل الازلى للزمنى والزمنى للازلى فتصفه فى صدر النص الواحد بالابتداء وفى عجزه بعدم الابتداء، أو تنعته بالازلية والخالقية فى عجز النص، والحدث والمخلوقية فى صدره . وما ذلك إلا لأنه إله وإنسان اتحدا معا بوحدة ذاتية طبيعية فصارا واحداً ولكن بدون اختلاط أو امتزاج

أما تلك النصوص فهى :-

قال صاحب الرؤيا : أنا هو الأول والآخر والحى وكنت ميتا وها أنا حى الى أبد الآبدين (رؤ ١ : ١٧)

فقوله الأول والآخر يناسب طبيعة اللاهوت . أما قوله الميت والحى فلا يناسب سوى طبيعة الناسوت . أما كونه يصف اللاهوت بأنه حى وميت ويصف الناسوت بأنه الأول والآخر فلا يستقيم به المعنى الصحيح إلا إذا إعتقدنا بالوحدة الجوهرية التى صيرتهما ذوى طبيعة واحدة فينسب لأحدهما ما يلائم الآخر

وقوله تعالى : ليس أحد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء (يو ٣ : ١٣ و ١ كو ١٥ : ٤٧) والحال أن الذى نزل من السماء هو أقنوم الكلمة الأزلى، أما ابن الإنسان فتكوّن من فعل الروح القدس ومريم العذراء يوم أن أرسل الله ملاكه مبشراً القديسة مريم بهذا التجسد المنيف ، ولكن لاتحاد أقنوم الكلمة الأزلى مع الجسد

الزمنى وصيرورتهما طبيعة واحدة أصبح فى غاية اللياقة أن يقال عن المولود من القديسة مريم أنه نزل من السماء

وقوله : هكذا أحب الله العالم حتى بـذل ابنه الوحيد (يو ٣ : ١٦) وواضح أن البذل والموت انما هما من خصائص الناسوت دون اللاهوت ولكن لصيرورة أقنوم الكلمة الأزلى طبيعة واحدة مع جسده لاق أن يقال عنه أنه بذل ومات عن خلاص العالم

وقوله : قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن (يو ٨ : ٥٨) فان لفظة (أنا) من أقوى الحجج على بطـلان دعوى من يدّعى فى اعتقاد اتحاد الكلمة طبيعتين اذ كانت هذه اللفظة أعنى لفظة (أنا) لا تدل على التثنية بل على تحقيق الوحدة

وقول بولس الرسول :احترزوا اذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم عليها الروح القدس أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠ : ٢٨) ولا يخفى أن اللاهوت منزه عن اللحم والدم وسائر أنواع المادة ، ولولا وحدة اللاهوت والناسوت لما كان هذا التعبير لائقا ولا متيسراً

وقوله : لو عرفوا لما صلبوا رب المجـد (١ كو ٢ : ٨) ومن الواضح أن الذى كان منظوراً على الصليب هو ابن الانسان ولكن وحدة الطبيعة هى التى صيرت هذا القول لائقا بالكلمة الأزلى الذى اذ لم يمكنه بما أنه اله ان يتألم ويموت من أجل خلاصنا أخذ هذا الجسد البشرى فصار أهلا للتألم والموت فاطلق على الكل صفة الجزء نظراً للاتحاد الذاتى الجوهرى الكائن بين اللاهوت والناسوت

قال يوحنا الرسول : الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر (يو ١ : ١٨ و ٣ : ١٦) ولا يجوز عقلا ان يكون هذا الابن الواحـد

الوحيد واحداً بالعرض بل بالجوهر. فاذاً بموجب النص والعقل هو واحد في الجوهر كما انه ابن واحد أقنوم واحد وقال « الكلمة صار جسداً » يو ١ : ١٤ ليس بالتحويل والتغيير بل بقوة الإتحاد الغير الموصوف.

وقس على ذلك النصوص الآتية وهي: ـ

هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (مت ٣ : ١٧) الذي نزل هو الذي صعد أيضا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (اف ٤ : ١١)

رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به (١ كو ٨ : ٦) كانوا (اي بنو اسرائيل) يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح (١ كو ١٠ : ٤) لا نجرب المسيح كما جرب ايضا أناس منهم فأهلكتهم الحيات (١ كو ١٠ : ٩) من أين لي هذا ان تأتي ام ربي الىّ (لو ١ : ٤٤)

ومن هذه النصوص الالهية العديدة يتضح أن بين كلمة الله الازلي والجسد المجبول من الروح القدس والقديسة مريم وحدة حقيقية طبيعية منزهة عن التثنية والانقسام

ولا يفوتني ان اذكر في ختام هذا الفصل ما جاء في خطبة القديس ثاوروطس اسقف انكورنا احدى مدن ايطاليا التي تليت في المجمع الافسسي المقدس وقبلت بالاجماع شرحا للنص القائل « يسوع المسيح هو هو امسا واليوم والى الابد . عب ١٣ : ٨ » قال « ان الواحد عينه هو الازلي وانسان له ابتدأ من الزمن . فأحد هذين الامرين كان في الوجود سابقا والآخر صار من بعد . فان قلت كيف صار الوحيد عبدا باقيا على ما كان وصائراً ما لم يكن . اجبتك ان كنت تريد ان تعلم هذا . فأعلم انه صار ولكن كيف صار فلا يعلم ذلك إلا صانع العجائب وحده »

الفصل الرابع

في

شهادة الآباء لطبيعة السيد المسيح المتحدة

١ – قال القديس اثناسيوس الرسولي : –

(إنه يجب أن نعتقد بطبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال ومن لا يقول كذلك فانه يخاصم الله ويحارب الآباء القديسين)

وقال أيضا (هذا الواحد الأله هو ابن الله بالروح وهو ابن الانسان بالجسد وليس للابن الواحد طبيعتان إحداهما مسجود لها والأخرى غير مسجود لها بل طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد الذى نسجد له مع جسده سجودا واحداً . الى ان قال : فالذى يعلّم غير هذا التعليم الذى هو من الكتب الالهية ويقول ان ابن الله غير الانسان المولود من مريم ويجعله ابنا بالنعمة مثلنا حتى انه يكون اثنين واحداً طبيعيا هو ابن الله وآخر بالنعمة هو الانسان الذى من مريم العذراء . والذى يقول ان جسد الرب من السماء ليس هو من مريم العذراء . أو ان اللاهوت استحال الى الناسوت . او ان لاهوت الابن تألم . فهذا الكنيسة المقدسة تحرمه)

٢ – قال القديس باسيليوس الكبير : –

(وليس أننا نقول على الابن الوحيد أنه إنسان ولا نقول إن اللاهوت منفرداً بذاته ولا الناسوت بذاته بل نقول طبيعة واحدة وأقنوما واحداً لان بطرس السليح لم يذكر طبيعتين لكن اعترف وقال ، ان المسيح تألم من اجلنا بالجسد ، وايضا من جهة ولادته بالجسد بشر الملاك الرعاة قائلا « انه قد

ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب ، وقوله اليوم ولد ليس يعلمنا انه ابتدأ وجوده لانه قبل الدهور كلها . بل لانه ظاهر جيدا انه يعلمنا نه اليوم ولد انسانا)

٣ ـ قال القديس اغريغوريوس : ـ

هو ابن واحد وليس المسيح طبيعتين بعد الاتحاد ولا مفترقا ولا مختلطا فيما اجتمع من الجهتين طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا إلى وحدانية وصارتا واحدا .وقال ايضا . قال واعنى الله الآب ، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت : ليس هو ابنى وآخر ابن مريم . ليس هو واحداً الذى ولد فى المغارة وآخر غيره سجدت له المجوس. ليس هو الذى اصطبغ وآخر لم يصطبغ. بل هذا هو ابنى الحبيب . وهذا هو الواحد وحده الذى تعقلونه وتنظرونه هو ازلى فى كل وقت وصار الآن تحت الزمن.هو الواحد وحده من جوهرى باللاهوت وهو من جوهركم بالناسوت فى كل شيء سوى الخطية . لا تطلبوا التجسد على الارض أبا .ولا تطلبوا له فى السماء اما هو بلا أب على الارض وهو بلا أم فى السماء)

٤ ـ قال القديس يوحنا فم الذهب : ـ

(ولكنى أبين الامر أن الله الكلمة أخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل فى كل شيء وله أقنومه فيه أعنى الكلمة فلاجل هذا نقول عنه أنه طبيعة واحدة ـ الله الكلمة صار جسداً)

٥ ـ قال القديس اغريغوريوس العجايبي : ـ

(الله الحقيقى الغير جسد ظهر فى الجسد وهو تام فى اللاهوت الحقيقى الكامل ليس هو شخصين ولا طبيعتين ولا نقول إنا نعبد ربوعا الله وابن الله وانسانا والروح القدس ، ومن أجل ذلك نحرم المنافقين الذين يعتقدون هذا الاعتقاد . أما نحن فنقول ان كلمة الله صار انسانا)

٦ـ قال القديس كيرلس بابا الاسكندرية فى رسالة للقيصر ثودوسيوس :ـ

(اننا لانعرى الناسوت من اللاهوت ولا نعرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذى لا يمكن تفسيره بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين قد اجتمعا إلى واحد مؤلف من كليهما لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف الى الغاية بوجه عجيب)

وقال (إن الطبيعتين اتحدتا وان الكلمة صار أنسانا وتجسد ونقول إن هذا الاتحاد طبيعى لننفى الغير الحقيقى والاضافى الذى لنا مع الله بالايمان والقداسة لاننا صرنا شركاء الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤)

وقال (نحن نقول إن الوسيط بين الله والناس مركب من ناسوتنا الذى هو فى حد ذاته كامل ومن الابن الذى ظهر من الله طبيعيا أى الابن الوحيد ونقول أن الاتحاد صار باجتماع طبيعتين غير متساويتين وغير متشابهتين قد اجتمعتا الى واحد باتحاد واجتماع لا يمكن تعبيره وإيضاحه بالكلام لكننا نعترف بمسيح واحد فقط لا باثنين وأيضا برب واحد يسوع المسيح لا باثنين وأخيرا بابن واحد لا باثنين)

وقال (وقد علمت أنه يوجد من يستفهم قائلا أى الاثنين هو يسوع المسيح . هل هو الانسان الذى ولد من العذراء أم الكلمة المولود من الله ؟ حقا ان المخاصمة بكلمات باطلة حماقة والمقاومة بخرافات العجائز سماجة ولكن مع ذلك أجيب أنه لأمر خطر جدا بل مضر أيضا أى فصل الانسان من الكلمة وإقامة كل منهما وحده بعد الاتحاد لكون سر التدبير لا يقبل مثل هذا الانقسام ويعلم أيضا الكتاب الالهى أن المسيح هو واحد فقط . من أجل ذلك أقول أن كلمة الله لا يدعى يسوع المسيح بانفصاله من الناسوت ولا الهيكل أيضا المولود من امرأة يسمى يسوع المسيح الا باتحاده مع الكلمة . لأن كلمة الله المتحد بالطبع البشرى باتحاد تدبيرى عجيب

يعرف أنه المسيح .

وقال ايضا « ولعل أحداً من الذين يضادون هذا المجد العظيم المقدار ويقول من هو ذلك الذى كان يقول للمرأة السامرية أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم . فكيف يسجد بالصواب لمن هو محسوب من جملة الساجدين . فاجيب عن ذلك قائلا : ان السؤال من هو عن المسيح حماقة وجهل مطلقا لان المسيح لم يكن منقسما أبداً . فلهذا أن الذى كان يتكلم مع المرأة كان يسوع المسيح الواحد وحده المؤلف من الناسوت الساجد ومن اللاهوت الواجب له السجود الحاوى فى ذاته ما به يصدق عليه بالحقيقة أنه إله وانسان لكنه مع ذلك هو واحد » .

فيتضح مما تقدم سواء أكان من شهادة الوحى الالهى أم من شهادة الآباء القديسين الذين تؤخذ أقوالهم حجة فى هذا المبحث الخطير ، أن فادينا المعظم هو ذو طبيعة واحدة واقنوم واحد ومن ثم لا يسوغ لنا ان نقول ان فى ربنا طبيعتين او انه إله وانسان باضافة واحد الى الآخر كمن يتكلم عن شخصين بل نقول بالتوحيد « إله متأنس » كما قال بولس الرسول « بالواحد يسوع المسيح رو ٥ : ١٧ » ومن يقول بغير ذلك فهو مخاصم الله ومحارب القديسين

تذييل

ولا يخفى أن الاعتقاد بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد لم يكن اعتقاد الكنيسة الاسكندرية وحدها بل كان اعتقاداً عاما لسائر الكنائس المسيحية شرقا وغربا كما يتضح مما جاء : —

اولا — فى تاريخ الانشقاق صحيفة ١٩٣ حيث قيل :

« وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين فى المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس الاسكندرى فى أواسط القرن الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناداً على قول الانجيل « والكلمة صار بشرا » وقول بولس « رب واحد يسوع المسيح »

ويعترف بطبيعة واحدة للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم .

ثانيا ـ ما جاء عن المجمع اللاتراني المنعقد بأمر البابا مرتينوس سنة ٦٥٩م الذي أيد الاعتقاد بالطبيعة الواحدة كما ورد في كتاب « الايمان الصحيح » تأليف احد الاساقفة الرومانيين المطبوع في القدس وبيروت حيث قال في صحيفة ١٤٢ و ١٤٣ ما نصه « من لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين انها موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً دلالة على ان المسيح الاله اخذ جوهرنا كله كاملا ماعدا الخطية فليكن محروما » .

ثالثا ـ ما ورد في مختصر المقالات اللاهوتية لبيروني اليسوعي الذي ترجمه الخوري يوسف الدبس الى اللغة العربية في صحيفة ١٧١ حيث قال « فان اريد انهم يعلمّون ان الطبيعة المتجسدة صارت واحدة بعد الاتحاد فسلم . او انهم يقولون ذلك في الطبيعة بالاطلاق فنكر » .

الفصل الخامس

فى

مشيئة الله الكلمة المتجسد الواحدة

كان كل آباء الكنيسة حتى أواخر القرن السابع وفى مقدمتهم بابا رومية أنوريوس وبطاركة القسطنطينية سرجيوس وبيروس وبطرس وبولس والبطريرك الانطاكى مكاريوس والبطريرك الاسكندرى كيرلس يعتقدون بالمشيئة الواحدة الى أن قام الامبراطور قسطنطين اللحيانى سنة ٦٦٨ — سنه ٦٨٥ وامر بعقد مجمع فى القسطنطينية تحت رئاسة البطريرك القسطنطينى جورجيوس وألزمه ان يحرم كل واحد يعتقد بالمشيئة الواحدة ففعل وهاك نص اعتراف ذلك المجمع :

نؤمن بمسيح وابن ورب ووحيد واحد هو هو نفسه بطبيعتين واقنوم وشخص واحد وبمشيئتين طبيعتين وفعلين طبيعيين »

ومن هذا التاريخ ابتدأت تنتشر فى الكنائس المسيحية بدعة المشيئتين وهى بدعة غريبة فى بابها تستدعى مزيد الدهشة والعجب . ليت شعرى أليس ثابتا من الكتاب المقدس أن البشر يستطيعون أن يكونوا مع الله واحداً بالمشيئة مع التباين العظيم بين طبيعتهم الفاسدة وطبيعته الصالحة شأن عدم مساواة المحدث بمبدعه . واذا كان ذلك متيسراً للبشر فأولى به اللاهوت ربنا وناسوته

قال له المجد « ولست اسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما انك انت أيها الآب فىّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحداً فينا (يو ١٧ : ٢٠)

ويستحيل أن يكون المؤمنون واحداً مع الله بالذات فتعين ان يكونوا واحداً بالمشيئات أي تكون مشيئتهم موافقة لمشيئة سيدهم . واذا كان ذلك مستطاعاً عند الناس فهو بالبداهة اكثر استطاعة عند اللاهوت والناسوت الاقدسين لاسيما وان اتحاد الذوات والطبائع أصعب وأغرب من اتحاد المشيئات . وحيث أنه ثبت مما أوردناه اتحاد ذات الله بذات الانسان اتحاداً جوهرياً حتى صارتا واحداً فليس بعجيب أن تتحد المشيئات أيضاً لانها تابعة للذوات ومتى اتحد الاصل تبعه الفرع بلا محالة

فينتج ضرورة انه لم تكن لفادينا مشيئتان بل مشيئة واحدة متحدة

أما الذين يعتقدون أن للسيد المسيح مشيئتين بناء على ما ورد في قوله : ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد انت (مت ٢٦ : ٤٠) وقوله : وان لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس إلا ان اشربها فلتكن مشيئتك (مت٢٦ : ٢٤) فقد اخطأوا في هذا التأويل لان سيدنا لم ينطق بهذا القول ليدل على أن مشيئته غير مشيئة الآب بل نطق به لأمرين :—

(١) ليرسم للمؤمنين طريقة الصلاة وكيفية استعمالها أبان التجارب حتى اذا ما وقع أحدهم في تجربة ما فلا يتذمر ويطلب الاقالة منها لانها ربما كانت لخيره وهو لايعلم بل يعتصم بالصبر ويفوض الامر لله قائلا « لتكن مشيئتك وليست مشيئتي »

(٢) ليدل على أنه جل شأنه صار آدم الثاني (١ كو ١٥ : ٤٥) اذ ان ما نطق به في صلاته هذه كان نيابة عن آدم الاول . وكأنه يقول : حيث ان آدم الاول لم يصنع ارادتك بل سار حسب ميوله ورغباته فها اني لبست جسده واتممت ارادتك فاغفر له ذنبه وامح خطيته وعوضا عنه اقول: (لا كما اريد انا بل كما تريد انت)

قال العلامة القس ابو الفرج في شرحه لهذه الآية :—

أما قول سيدنا « ليس كما أريد انا بل كما تريد انت » لايستدل منه أن

أرادة الابن غير أرادة الآب وأنما قال هذا (أى المسيح) لانه فى ذلك الوقت أقام نفسه مقام الخليقة بأسرها فكأنه نطق بلسانها لانه تحمل خطايانا كلها والدليل على أن ارادتهما واحدة قوله : صدقونى انى فى الآب والآب فىّ (يو ١٤ : ١٢)

وقوله «الكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى ارسلنى» وقوله لايقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئا الا ماينظر الآب يعمل لانه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك ، وقوله : أنا لا أقدر ان افعل من نفسى شيئا (يو ٥ : ١٩ و ٣٠)

قال أحد العلماء تعليقا على قوله « ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » لا يخلو أن تكون مشيئة الناسوت وافقت مشيئة اللاهوت فى الصلب والموت أو لم توافق . فان كانت وافقت فليس هناك مشيئتان . وان كانت لم توافق لزم معاندة الناسوت للاهوت وهذا باطل »

وهنا يحسن ذكر رأى القديس بطرس السدمنتى فى هذه العقيدة ايضا لانه من أسد الآراء وافضلها

(١) قال « ليس للابن مشيئة غير مشيئة الاب والدليل عليه قوله : انا والآب واحد (يو ١٠ : ٣٠) وكل ما للآب فهو لى (يو ١٦ : ١٥) فقوله انا والآب واحد لا يخلو إما أن يكون فى الذات أو الصفات . واجماع النصارى على اختلاف مذاهبهم واقع على أن الابن والآب واحد فى الذات . ومتى كان كذلك فهما بلازم الضرورة واحد فى الصفات . ومن المتفق عليه أن المشيئة تابعة للذات . فمتى ثبت توحد الآب والابن بالذات فقد ثبت توحد مشيئتيهما »

(٢) وقال (ثم نقول أن المسيح وان كان فيه مشيئة هى غير المشيئة الالهية من قبل وجود كمال الانسانية الا ان جملة افعاله واقواله الضعيفة منها والقوية لاتنسب إلا إلى المشيئة الألهية إذ كانت هى العلة فى جميعها . والفعل أبداً ينسب إلى من شاءه نسبة أولية ولما كانت المشيئة الألهية قد اتحدت

بالمشيئة الانسانية لتكميل مرادها بجميع مايصدر اذاً من المسيح يجب أن ينسب إلى لاهوته بعضه نسبة حقيقية وبعضه نسبة مجازية لوقوعه جميعه عن مشيئة واحدة وقد ثبت ان الفاعل واحد وهو المسيح فالمشيئة اذاً واحدة لانه يستحيل توحد الفاعل مع تثنية المشيئة)

(٣) وقال (نقول للخصم هل فعل السيد فى حال تجسده فعلا يخص مجرد الناسوت أم لم يفعل ذلك أصلا فان كان الاول كان ذلك نقضا لقول الانجيل عن السيد له المجد (إنى ما نزلت من السماء لاعمل مشيئتى بل مشيئة من أرسلنى (يو ٦ : ٣٨) وان كان الثانى فقد بطل قول الخصم وثبت قولنا)

(٤) وقال (ثم نقول أن الرسل والانبياء وسائر القديسين والاولياء لما تجردوا من الدنيا وطرحوا خاصة مشيئاتهم اختياراً منهم وصاروا فى العالم حسب مرضاة الله دعوا أبناء الله . وسببه كونه يفعلون مشيئته ومراده كما قال بولس الرسول : إن الذين ينقادون بروح الله هم أبناء الله (رو ٨ : ١٤) فان كان الذين ألزموا أنفسهم العمل بمرضاة الله والتخلق بحسب الامكان بطل منهم فعل خاصة مشيئاتهم وصاروا يسيرون حسب مايراه الله لهم فكم بالاكثر من اتصل باللاهوت نفسه وصارهو وإياه واحداً)

(٥) وقال (ولقد قال السيد فى صلاته للآب بسبب التلاميذ ، ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضا من اجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك . ليكونوا هم أيضا واحداً فينا (يو ١٧ : ٢٠) ويستحيل وجود المؤمنين مع البارى واحداً فى الذات فبقى انه يكون أراد بالتوحد هنا توحد المشيئات . ومن الواضح أن الادنى إذا اتصل بالاعلى انقاد اليه . فان الجسم والحواس وأكثر القوى تنقاد للنفس انقياد الآلة للفاعل وكذلك تنقاد النفوس للجواهر العالية وتوافق على المراد فأولى وأولى بناسوت المسيح للاهوته

(٦) ثم ختم كلامه بقوله (وهذه الادلة وما عسى أن يضاف اليها تبطل قول من يقول أن للمسيح مشيئتين بعد الاتحاد موجودتين فيه بالفعل لكل

واحدة منهما فعل مخصوص فى زمان مخصوص ومكان مخصوص . فقد ثبت ثباتا شافيا فيما تقدم من القياسات العقلية والادلة الشرعية أنه ليس للسيد المسيح مشيئة غير مشيئة الآب . وانه لم يقصد بقوله (لتكن مشيئتك ياأبتاه لا مشيئتى أنا) مشيئتين

فان قيل إذا كان الامر على ما قلتم فما الذى قصده سيدنا بقوله (لتكن مشيئتك لا مشيئتى أنا) فنقول انه لما ثبت فيما تقدم بكثير من القياسات العقلية والشرعية أن المراد بصلاة سيدنا هذه الدفعة تعليم الناس فنون الصلاة وكيفية استعمالها على الوجه المرضى والقصد الانفع لذلك نقول إنه أراد بقوله (لتكن مشيئتك لا مشيئتى أنا) تعليم الناس وهو أن يعتمد المصلون هذه الهيئة بعينها وان يتلفظوا بهذا الخطاب عينه فى صلاتهم لاسيما فى صلاة يخشون وقوع الموت بهم بعدها . والسيد له المجد قد علم تلاميذه هذا الامر نفسه حينا آخر بالقول فقط وفى هذا الحين علمهم أياه بالفعل ليتأكد ذلك بالفعل عندهم . لان التعليم بالفعل أبلغ من التعليم بالقول كما أنه يسهل العمل على العامل .

وتقدير صورة الحال ان يسألوا ان تكون مشيئة الله لهم وأن يكمل مراده فيهم فى كلتا الحالتين : وطرح الانسان مشيئته فى هذا الوقت أمر يقتضيه العقل فان لم يطرحها اختيارا وهو مع ذلك مشكور فهو يطرحها مع ذلك اضطرارا وهو مذموم

هذا هو الرأى الصحيح المطابق للحقيقة ولما ورد فى قول الوحى الالهى كما انه مطابق لاعتقاد علماء الكنيسة الرومانية المعتدلين . حيث جاء عن أحد اساقفتهم فى كتابه المعنون « بالايمان الصحيح » المطبوع فى القدس وبيروت فى صحيفة ١٩٩ ما نصه « نحن نعلم ان كثيرين باقتناعهم من شهادات الانجيل والآباء القديسين ومن القياس والبرهان يعتقدون حقا بمشيئتين فى المسيح لكن بنوع ان الواحدة موافقة للاخرى ولا يمكن القول انهما اثنتان بل

واحدة . فبالحقيقة ان الكنيسة الرومانية تقر وتعتقد ان هاتين المشيئتين متفقتان فى المسيح كأنهما واحدة فقط » وقال فى صحيفة ٢١٣ « ان مشيئته الانسانية لم تضاد او تخالف قط المشيئة الالهية القادرة على كل شيء بل خضعت لها دائما . لانه كان يجب ان تتحرك مشيئة الجسد لكن بنوع ان تخضع للمشيئة الالهية كموجب رأى اثناسيوس الكلى الحكمة لانه كما ان جسده يقال عنه انه جسد الله الكلمة وهو حقا فهكذا مشيئة جسده الطبيعية يقال انها خاصة لله الكلمة وهى حقا »

الفصل السادس

في ما

أجمع عليه واختلف فيه المسيحيون

من جهة الاقنوم الثاني له المجد

الاجماع

لقد أجمعت كل الكنائس المسيحية على ما يأتي :ـ

(١) أن الاقنوم الثاني جل شأنه هو ابن الله وهو مساو للآب والروح القدس في الازلية والابدية والجودة والصلاح وجميع الكمالات الألهية

(٢) ان الذي تجسد هو الاقنوم الثاني فقط من الروح القدس والقديسة مريم

(٣) ان عمانوئيل هو الاله الحق ويجب ان تقدم له فروض العبادة

(٤) ان خطية آدم عمت جميع نسله وصار البشر عامة عاجزين عن ايفاء العدل الالهي حقه والتكفير عن معصيتهم وظلوا على ذلك حتى تجسد الاقنوم الثاني جلّ شأنه ووفى دينهم وكفر عن معصيتهم

الإختلاف

لقد اختلفت الكنائس المسيحية فيما يأتي :ـ

١ ـ الكنائس

المصرية
والحبشية
والسريانية
والارمنية

تعتقد

بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة لله الكلمة الازلي المتجسد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير

٢ – الكنائس

الكاثوليكية

واليونانية

والبروتستانتية

تعتقد

بطبيعتين ومشيئتين لله الكلمة الازلي المتجسد

صلاة ختامية

أيها الرب الاله الكلي العظمة والجلال كلمة الله الازلي الذي جوداً وتفضلا منه تنازل وأخذ جسداً كمثلنا لينقذنا من حكم الموت والهلاك الابدي

اننا نخجل ونخزى من شر قلوبنا وفساد طبيعتنا حيث أنه عوضا عن أن نمجدك ونشكرك كاله صالح على انعاماتك وخيراتك المفاضة علينا مجانا وأدويتك الناجعة التي شفيت بها جراح أنفسنا ، وأثوابك البهية التي سترت بها عيوبنا ونقائصنا تجاسر أولئك الذي أعمى رئيس هـذا العالم أذهانهم فتطاولوا على مقامك الاسمى ونسبوا لجلالك ما لا يليق بصلاحك كإله ممجد مع أبيه وروح قدسه منذ الازل والى الابد

فأشرف اللهم من سماء مجدك وأفض نعمة روح قدسك على هؤلاء الجهال البائسين لكي ينيرهم ويرشدهم ويخرجهم من الظلمة وظلال الموت الى نور مجد معرفتك الاسنى

أما انا وان كنت ليس بأهل أن ابرهن على حقيقة لاهوتك المجيد لجهلي وعجزي وقصوري عن الخوض في هذه اللجة العميقة التي لا يسبر غورها غير اني لم أتجاسر على هذا العمل الجزيل سموه والرفيع شأنه الا بدافع الغيرة والاخلاص الذي اضرمته في قلبي نار محبتك . وللشكر على ما غمرتني به من فيض حسناتك . وللقيام بفروض العبودية الواجبة عليّ من نحو لاهوتك

فاقبل اللهم من يد عبدك وابن أمتك هذه الخدمة ، عبادة حية مرضية مقبولة على مذبحك الطاهر المقدس آمين ؟

تقاريظ

لقد تفضل حضرات أصحاب النيافة الآباء المطارنة العلماء والكهنة الموقرين والأساتذة الأجلاء وقرظوا المجلدات الثلاثة من كتابي (علم اللاهوت) بما افصح عن بليغ الكلم وكريم الخلق اذ وفوني بما رفع من شأن ذلك الكتاب وعظّم مكانته ، واني لجد معترف بفضلهم العظيم لذا اتشرف بنشر صورة ما وصل الى يدى من بعض تلك التقاريظ مرتبة بحسب تواريخها : —

١ — حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا كيرلس مطران كرسي قنا وقوص ودندره

أرسل خطابين أحدهما خاص بالمجلد الأول بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٤ والآخر خاص بالمجلد الثاني بتاريخ ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٦

الخطاب الأول : تناولت مؤلفكم الجليل في — علم اللاهوت — وما كدت أقرأه حتى سحرني بقوة بيانه وجلال بلاغته . واني وجدت فيه مبدأ لا ينضب وفيضا لا ينقطع بل ألفيته مفخرة في عالم المطبوعات وفنية دينية تبهج النفس وتجمل المكاتب لما حواه من الأبحاث القيمة التي دلت على سعة اطلاعكم وغزير علمكم . وجعلني أشعر بانه سد فراغا كبيراً في كتب العقائد ولا سيما الارثوذكسية منها . لذا أعرب في هذه الكلمة الوجيزة عن اعجابي بسفركم الجليل وبروحكم الطامحة الى رفع كنيستكم واعلاء مجدها . بارك الله في هذه العقلية العلمية والمواهب السامية التي يغتبط بها كل محب لطائفته

كيرلس

مطران كرسي قنا

الخطاب الثاني : وبعد فبمزيد السرور تناولت كتابكم المجلد الثاني في — علم اللاهوت — فألفيته جمع عناصر البلاغة واساليب الفصاحة . فكنت اذا تلوت جملة أشعر بنزعة تتماسكني وتسيطر على نفسي فتدفعها الى تلاوة غيرها من أخواتها المتصلة بموضوعاته لفظا ومعنى

بارك الله فى هذه العبقرية الفذة . وأملنا أن يوفقكم الله الى اخراج المجلد الثالث ليجتلى فيه طلاب علم اللاهوت طارق الحقائق ويلمحوا فى سبيله جمال العقائد

كيرلس
مطران كرسى قنا

٢ — حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا تيموثاوس مطران كرسى الدقهلية والغربية ومحافظة دمياط .قال فى كتاب أرسله بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

تناولت بيد الامتنان كتاب علم اللاهوت تأليفكم الثمين وما شرعت فى التجوال بين رياضه ومروجه مقلبا النظر فى أزهاره متأملا فى انواره حتى انتهى فى الامر الى الايقان بأن ما ورد فكركم وما رسمته وسطرته أناملكم من بديع التنسيق وجميل الطريق كان ذلك بارشاد روح الله القدوس الذى حين دعا كم أنار فكركم فنسجوا على منوال آباء البيعة الارثوذكسيين فكنتم من الفعلة العاملين . وقل من سبقكم فى نظم قلائد هذه الدرر النفيسة التى طوقتم بها جيد الكنيسة . جواهر يجب اقتناؤها ونفائس لا تقدير لقيمتها

فلكم من الله أجر من حمل سراجا تحت مكيال واضعا اياه على جبل عال مكملين ما بدأتم به لمجد اسمه الاقدس .

تيموثاوس
مطران الدقهلية

٣ — وقال جناب الأب الموقر القمص ابراهيم لوقا صاحب مجلة اليقظة الغراء بعددها الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٣٣ وراعى كنيسة مصر الجديدة:
أصدر جناب الأب الموقر القمص ميخائيل مينا ناظر المدرسة اللاهوتية بحلوان المجلد الاول من مؤلفه الثمين — علم اللاهوت — مشتملا على مقدمة فى أصول علم اللاهوت والرد على العقليين والماديين فشرح الاصحاح

الاول من سفر التكوين ، فتفنيد الاراء الكفرية للملحدين فباب فى الادلة على وجود الله ، فآخر فى الكلام عن صفات الله ، فبحث فى التثليث والتوحيد وكل ذلك بطريقة جمعت بين متانة الاسلوب وقوة البرهان ، ورجاؤنا أن يلقى الكتاب من الاقبال والتقدير ما يتفق مع المجهود العظيم الذى بذل فى تأليفه

٤ — وقال جناب الاب المحترم القمص سيداروس غالى وكيل البطريركية (وصلنى المجلد الثانى من كتاب علم اللاهوت تأليف حضرتكم وإذ به كتاب قيم وذخيرة فاخرة لمنفعة الكنيسة وعقائدها ، ولا شك انه سيحفظ لكم ذكراً جميلا فى جبهة التاريخ فشكراً جزيلا)

٥ — ارسل جناب القس نجيب صالح البروتستانتى الى جناب القس حنا لطف الله البروتستانتى جوابا قال فيه :

ارجو ايها الحبيب ان تتكرم وتقابل جناب الزميل المحبوب واللاهوتى القدير والعالم الكبير الاب القمص ميخائيل مدير مدرسة اللاهوت القبطية بحلوان علة يتكرم بتقديم كتابه علم اللاهوت لنا واكون شاكرا والرب يكثر من امثاله النافعين للكنيسة

القس نجيب صالح

٦ — وقالت مجلة الشرق والغرب الغراء فى عددها الصادر فى ابريل سنة ١٩٣٤ :

اهدانا جناب القمص ميخائيل مينا ناظر مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان المجلد الاول من مؤلفه (علم اللاهوت) وقد عالج جناب المؤلف فى مقدمته أصول علم اللاهوت وتناول تفنيد حجج الماديين والطبيعيين ثم دلل على وجود الله وصفاته وأسهب فى عقيدة التثليث والتوحيد ثم عرج الى تفصيل عقيدة لاهوت المسيح وتجسده وطبيعته المتحدة . والحق أن هذا مجهود يذكر فيشكر . وأحسنا الكنيسة القبطية فى مسيس الحاجة الى مجهودات من هذا القبيل لانارة اذهان القسوس وطلاب الدين . ونرجو أن يكون

هذا السفر بداية نهضة جديدة تبشر بمستقبل مجيد لهذه الكنيسة العريقة في المسيحية ؟

٧ — وقال رئيس تحرير مجلة الايمان بعددها الصادر بتاريخ ١ اكتوبر سنة ١٩٣٦ تحت عنوان :—

علم اللاهوت

بحسب معتقد الكنيسة القبطية الارثوذكسية المجلد الثاني لجناب الأب العلامة الايغومانس ميخائيل مينا ناظر مدرسة اللاهوت بحلوان .

ظهر هذا المجلد الثمين الذي يحوي بحوثاً شتى فهو يشمل لاهوت الروح القدس ، الملائكة الاخيار والاشرار ، النفس والقيامة ، نعيم الابرار وعذاب الاشرار ، مدة الالف السنة ، المسيح الدجال ، الكنيسة طقوسها وأسرارها ويشرح كل باب على حدته بأسلوب سلس وشيق ويقع في ٥٦٢ صحيفة حافلة بذكر أهم الحقائق التي يحتاج اليها كل قبطي ليكون على بينة من دينه ومعتقده ، وخاصة الامور التي كثرت فيها المناقشات فنحث الجميع على اقتنائه

وقد شرع جنابه في تجهيز الجزء الثالث ، أكثر الله من أمثاله الغيورين العاملين لمجد الكنيسة

٨ — وقال جناب الاب الفاضل القمص يوسف مجلى صاحب مجلة طريق الحياة وراعي الكنيسة المرقسية بالاسكندرية بالمجلة المذكورة بعددها الصادر بتاريخ فبراير سنة ١٩٣٧ : (ظهر في عالم المطبوعات المجلد الثاني من كتاب علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ويشمل هذا الكتاب العظيم البحث في لاهوت الروح القدس . الملائكة الاخيار والاشرار . النفس . القيامة . نعيم الابرار . عذاب الاشرار . مدة الألف السنة ، المسيح الدجال ، الكنيسة طقوسها أسرارها ، بحثا ليس هو بالتطويل الممل ولا بالتقصير المخل . وقد جاء تحفة ثمينة ودرة يتيمة لابناء الكنيسة القبطية الارثوذكسية . وكل أرثوذكسي ليس عنده هذا الكتاب ينقصه الكثير جدا

لأنه عبارة عن مكتبة من الكتب النافعة والمفيدة

فنحث الجميع على اقتنائه ونرجو له الرواج والانتشار الذى يستحقه :

٩ -- وقالت جريدة المقطم الغراء تحت عنوان « علم اللاهوت » بتاريخ ١١ يوليه سنة ١٩٣٦ :

« أصدر جناب الأب المحترم الايغومانس ميخائيل مينا ناظر مدرسة الانبا بؤانس للرهبان فى حلوان « المجلد الثانى فى « علم اللاهوت » فأبان معتقدات الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى كثير من الموضوعات الدينية الهامة بما عرف به جنابه من علم وسعة اطلاع وقد أهدى هذا المجلد كما أهدى المجلد السابق الى حضرة صاحب الغبطة الحبر الجليل الانبا يؤانس البطريرك فنثنى على علمه وفضله »

١٠ -- وقالت الاهرام الغراء بتاريخ ١٨ يوليه سنة ١٩٣٦ تحت العنوان نفسه :

(اهدى الينا حضرة المحترم الايغومانس ميخائيل مينا ناظر مدرسة الانبا يؤانس اللاهوتية بحلوان المجلد الثانى من كتاب علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وقد عالج موضوعاته بأسلوب لطيف قريب المتناول وهو يقع فى ٥٦٣ صفحة متوسطة القطع وقد طبع فى المطبعة العصرية الاهلية الحديثة بالقاهرة فنشكر له هذه التحفة النفيسة ونتمنى له التوفيق لانجاز هذا الكتاب الثمين)

١١ -- وقالت جريدة مصر الغراء تحت ذات العنوان بتاريخ ١٩ يوليه ســــنة ١٩٣٦ :

(أتم حضرة الفاضل المتبحر القمص ميخائيل مينا ناظر المدرســــة اللاهوتية بحلوان وضع المجلد الثانى من كتابه علم اللاهوت وهو مجلد ضخم يقع فى ٥٦٢ صفحة ومطبوع طبعا نظيفا متقنا على ورق صقيل

هذا من حيث الطبع وعدد الصفحات أما من حيث البحث الكلى والدقة

فى الموضوعات وجزالة المعنى فهذا يستدعى أن يلم القارىء بكل محتويات الكتاب وهى كثيرة تشمل لاهوت الروح القدس والملائكة الاخيار والاشرار والنفس ثم القيامة فنعيم الابرار فعذاب الاشرار فمدة الالف السنة فالمسيح الدجال فالكنيسة وطقوسها وأسرارها . وكلها مباحث جلية يخرج منها القارىء وهو على علم بلاهوت كنيسته واسرارها وجملة القول أن الكتاب يستحق كل تقدير ويستدعى أن يقتنيه كل أبناء الاقباط للاستفادة بما فيه ولكى يكونوا على بينة من عقائد كنيستهم وطقوسها . أما حضرة المؤلف الفاضل فلا الشكر يفى بحقه ولا الثناء يفيض بمقدار جهوده فى خدمة طائفته)

١٢ — وجاء بجريدة الوطنية الغراء بعددها الصادر فى ٩ يوليـــو سنة ١٩٣٦ مقال مسهب بقلم حضرة الاستاذ الفاضل ميخائيل أفندى ابراهيم نقتطف منه ما يأتى :—

(علم اللاهوت — اسم المجلد ثانى ظهر حديثا فى عالم المطبوعات لمؤلفه الفاضل حضرة الايغومانوس ميخائيل مينا وقد تصفحنا الكتاب من ألفه إلى يائه فوجدناه محتويا على مواضيع لاهوتية هامة لا يستغنى عن الاطلاع عليها والالمام بها المشتغلون فى حقل الرب من أساقفة وقساوسة وشمامسة ومبشرين وطلبة لاهوتيين وعمانيين ممن لهم لذة خاصة فى دراسة القضايا المتصلة بالدين . ولا نغالى إذا قلنا أنه مجلد نافع يخرج المطلع عليه بفائدة تجمع بين الدنيا والدين . وفى الحق أن الكتاب مشحون بمواضيع جليلة الشأن عميقة الأثر فى حياة المؤمن المسيحى الراغب فى الوقوف على كل ما له مساس بحياته الحاضرة والمستقبلة .

وعلى الجملة فقد هيأ حضرة الايغومانوس ميخائيل مينا بكتابه عظيم القدر الفرصة لدراسة مواضيع تعد فى ذاتها جوهر المسيحية وقوام صلبها . فنحث على اقتنائه ومطالعته وعساه أن يردف هذا المجلد الثانى بالمجـــلد الثالث الذى وعد به

بارك الله فى جهوده وأكثر لكنيسته من أمثاله .

١٣ — وقال حضرة الفاضل رزق أفندى تادرس رئيس نقطة بوليس سدمنت الجبل — بنى سويف .

(وبعد ، فوصلنى المجلد الاول والثانى من كتاب حضرتكم فى علم اللاهوت، وقد اطلعت على المجلد الاول فكانت النتيجة أنه ولّد عندى عقيدة راسخة ثابتة غير متزعزعة وبدد ما كان يحوم من الشكوك فجازاكم الله خير الجزاء وساعدكم فى الاكثار من مثل هذه الكتب الروحية ، وانى منتظر المجلد الثالث وأرجو ارساله بمجرد طبعه

١٤ — وقالت مجلة المحبة الغراء فى عددها الصادر بتاريخ اول يوليه سنة ١٩٤٨ تحت عنوان

علم اللاهوت

بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أصدره فى ثلاثة مجلدات جناب الأب الفاضل العالم الجليل واللاهوتى الضليع الايغومانس ميخائيل مينا مدير كلية اللاهوت بحلوان وهو مؤلف نفيس وكتاب ثمين حوى بين دفتيه أبحاثا لاهوتية قيمة . فقد عالج جنابه الموضوعات العقائدية والحقائق الدينية والأسرار والطقوس الكنسية بأسلوب شيق وبرهان قوى وعبارات بليغة وحجج متينة دلت على سعة الاطلاع وغزير العلم ووفرة المادة . وهو يعد بحق مفخرة المكتبة القبطية والمرجع الأمين للطلاب والباحثين . لا يستغنى عنه أى قبطى ليكون على بينة من أمور دينه ومعتقدات كنيسته لا سيما الموضوعات التى كثرت فيها المناقشات وزاد حولها الجدل

وقد عالج حضرة المؤلف فى المجلد الاول أصول علم اللاهوت وفند حجج الماديين والطبيعيين ثم أثبت وجـــود الله وأسهب فى شرح عقيدة التثليث والتوحيد ولاهوت السيد المسيح وتجسده وطبيعته المتحدة ـ وفى الثانى لاهوت الروح القدس . الملائـــكة الاخيار والاشرار . النفس والقيامة . نعيم الابرار وعذاب الاشرار . مدة الالف السنة. المسيح الدجال الكنيسة وطقوسها وأسرارها ـ وفى المجـــلد الثالث . القضاء والقدر . العناية الالهية . الانتخاب والرذل . الآجال . الاختلافات العقدية بين الكنيسة القبطية والكنائس الاخرى

وقد نالت مؤلفات جناب الايغومانس ميخائيل مينا ما تستحق من التقدير والانتشار حتى نفدت عدة طبعات منها وها هو المجلد الاول يعاد طبعه للمرة الرابعة بعد ان اضاف اليه حضرة المؤلف الكثير من الابحاث النافعة

وليس لنا إلا أن نشكر جنابه على جهوده المباركة فى خدمة أمته وكنيسته لان عمله هذا لم يسبقه احد فيه ونطلب إلى الله أن يساعده ويجزيه خير الجزاء ويكثر من أمثاله الغيورين العاملين لخير الكنيسة وبنيان النفوس . ونحث إخواننا على اقتناء هذه المجلدات النافعة ليكونوا على بينة من عقائد وطقوس كنيستهم.

وتطلب المجلدات الثلاثة من مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية بشبرا مصر

هذا واننا نعتذر لحضرات الاساتذة الذين لم تنشر تقاريظهم مقرين بفضلهم الذى حبونا به طالبين من الله أن يتولى عنا مكافأتهم

لقد تم بتوفيقه تعالى المجلد الاول ويليه المجلد الثانى فالثالث فله المنة والفضل دوما

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
يحمد	يدمج	٦٢	١٨
فسفرى	كسفرى	٦٤	١
المقدص	المقدس	٦٦	١٣
وما	يوما	٦٦	٢٣
١٤٠٥	١٤٥	٦٩	٩
بالانوار	بالامور	١٠٥	٥
ظهور	ظهوراً	١٤٦	٧
مكانه	مكان	١٦٤	١٦
جوهر	هو جوهر	١٦٨	٧
هذه	وهذه	١٧٠	٥
كلمة	كلمة واحدة	١٩٤	٧
من بشر	بشر من بشر	١٦٩	٣
محاولته	مجادلته	١٩٧	١٠
فليتعظوا	فليقطعوا	١٩٧	٨
قرار	اقرار	٢٠٠	٦
لسكونها	لسكونهما	٢٠٤	٣
لا ينطق	لا ينطبق	٢٠٤	١٥
اختيارية	لااختيارية	٢٠٩	٥
ندركه	لاندركه	٢١٠	١٤
مفسر	مفسرو	٢٢٢	١٢
كثيرون	كثيرون	٢٥٦	٨



